



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة -1-



نيابة العمادة لما بعد التدرج

كلية العلوم الإسلامية

والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

قسم أصول الدين

التأويل التحريفي للنص القرآني عند الباطنية

- تفسير أبي النضر العياشي (320هـ) أنموذجا -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إشراف الأستاذ الدكتور:

حسين شرفة

إعداد الباحث:

عبد الحفيظ شنن

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عيسى بوعكاز	أستاذ	جامعة باتنة-1-	رئيسا
حسين شرفة	أستاذ	جامعة باتنة-1-	مشرفا ومقررا
نورة بن حسن	أستاذ	جامعة باتنة-1-	عضوا
خالد ذويبي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة باتنة-1-	عضوا
رضوان لخشين	أستاذ	جامعة الأمير - قسنطينة-	عضوا
هشام شوقي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الأمير - قسنطينة-	عضوا

الموسم الجامعي: 2022م-2023م/1443هـ-1444هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى من وفقني الله بدعائهما وأسأل الله أن يحفظهما:

-والدتي العزيزة.

-والدي الغالي.

إلى أفراد عائلتي الصغيرة:

-زوجتي الكريمة.

- أبنائي: أنس - سراج الدين،

- إلى إخوتي وأخواتي الكرام واختي العزيزة

- إلى صغار العائلة: منيب-تميم-أبرار.

شكر وعرفان

أحمد الله جل جلاله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على تيسيره إتمام هذا البحث، ثم
أثني بجزيل شكري إلى الأستاذ الدكتور: حسين شرفه الذي شرفني بإشرافه
وتوجيهه طيلة سنوات البحث فكان نعم السند والناصح والموجه جزاه الله عنّي خير
الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث،
وصرفهم جزءا من وقتهم لأجل قراءته وإبداء ملاحظاتهم فيه.
وأخيرا أشكر كل من مد يد العون لي على إتمام هذا البحث أسأل الله لي ولهم
التوفيق.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد على آله وصحابه أجمعين وعلى التابعين لهم وعلى من اقتفى أثرهم إلى يوم الدين أما بعد:

فقد أرسل الله رسوله ﷺ وأنزل عليه أفضل الكتب وأجلها وأعظمها قدرا، الموصوف من رب العزة بصفات الجلال والجمال، ففي آية يصفه ربنا بأنه روح ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:52] ووصفه في آية أخرى بأنه نور فقال عز من قائل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:15]؛ وفي آية أخرى جعله شفاء ورحمة ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:82]؛ فالقرآن أعظم معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ وهو معجزته الخالدة

فتحمل النبي ﷺ هذه المعجزة عن رب العزة جل جلاله بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وقدرها حق قدرها، فكان متعلقا بكتاب الله تعالى تلاوة وتدبرا وعملا، يتمثل القرآن في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، وعنه تلقاه الصحابة رضي الله عنهم، فكان لهم شرعة ومنهاجا.

فهو كتاب عزيز أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين، سهل الفهم ميسورا، يفهمه أصحاب السليقة العربية غالبا، وما أشكل منه كان يبينه الله جل وعلا، فيفسر القرآن بعضه بعضا، وتارة يفسره المصطفى ﷺ، فيفسر القرآن بالسنة وهكذا...

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى بقي الصحابة على هذا التعظيم للقرآن الكريم، وبرز من الصحابة من نبغ في القرآن الكريم تلاوة وتفسيرا وتأويلا، وظهر خلاف التنوع بينهم في تفسير بعض الآيات، وظل تفسيرهم وفق منهج سليم، بحدرون القول في كتاب الله بغير علم، وعنهم أخذ التابعون تفسير القرآن الكريم، فتوارث الأمة ذلك العلم وتناقلته في خير القرون.

ولكن مع بداية الانقسام وظهور الفرق والطوائف بدأ تأويل القرآن الكريم انتصارا للمناهج والمذاهب المبتدعة، ففسرت كل طائفة كتاب الله تعالى وفق اتجاهها، فأنجحت تفسيرها دحيفا وتأويلا خاطئا، كان أخطرها الاتجاه الباطني الذي تبنته مختلف الطوائف الشيعية، فخرجت بالتفسير عن دائرة المأثور وخالفت المعهود من كلام العرب، فجاءت بأقوال وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان.

واستشعاراً لخطورة ذلك الاتجاه ورغبة في كشف أباطيله كانت فكرة هذا الدراسة، فأردت أن أتناول بالبحث هذا الاتجاه المنحرف في تفسير القرآن الكريم، فوقع اختياري على أنموذج للتأويل التحريفي، هو تفسير العياشي لأبي النضر محمد بن مسعود العياشي (ت: 320هـ).

فكان عنوان هذه الدراسة:

التأويل التحريفي للنص القرآني عند الباطنية - تفسير أبي النضر العياشي (320هـ) أنموذجاً -

إشكالية البحث:

من القواعد الأساسية التي يجب أن تراعى في تفسير القرآن الكريم، ما اتفق عليه العلماء من ضرورة استكمال شروط علمية وأخلاقية في شخص المفسر، وأخرى في المنهج الذي يحفظ سلامة النص القرآني من التحريف، وتحمله ما لا يحتمل، ولكن تلك القواعد والشروط لم تحظ بالتقدير والاتباع لدى كل الطوائف التي كتبت في التفسير، فراح بعضها -وعلى رأسها الباطنية- يحاكم النص إلى المنهج والمذهب، فيعتقد المفسر معنى من المعاني، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده، بدل اعتبار النص معياراً للصواب والخطأ، فكانت النتيجة أن عدلوا عن مذاهب الصحابة والتابعين، وفسروا بمجرد الرأي والهوى، غير مستندين إلى تلك الأصول التي يجب على المفسر أن يعتمد عليها. ولا متسلحين بتلك العلوم التي هي أدوات لفهم كتاب الله والكشف عن أسراره ومعانيه.

فلما انتصرت كل فرقة لمذهبها ولوت أعناق النصوص لتبرير صنيعها، كان لا بد من كشف تلك الانحرافات بمحاكمتها إلى المنهج الصحيح.

ذاك هو الإشكال الذي تروم هذه الدراسة الخوض فيه، والبحث عن القول الفصل فيه.

ولإبراز تلك الحقيقة يتعين الإجابة عن عدة أسئلة فرعية ومكملة تمثل فصول ومباحث هذه الأطروحة

ومنها:

- إلى أي مدى يمكن اعتبار الاتجاه الباطني اتجاهها مقبولاً في تأويل القرآن الكريم؟
- هل توفرت شروط المفسر التي وضعها العلماء في مفسري الشيعة؟
- هل يمكن اعتبار تفسير العياشي تفسيراً مقبولاً يعتمد عليه المسلمون في فهم القرآن الكريم؟
- هل الخلاف بين أهل السنة والشيعة في التعامل مع النص القرآني خلاف سائغ؟

أهمية الموضوع:

تكمُن أهمية هذا الموضوع في ارتباطه بكتاب الله تعالى الذي يمثل حبل الله المتين وصراطه المستقيم الذي يتعين على الأمة المحافظة عليه، لا أقول في لفظه ورسمه، فإن ذلك مما تكفل الله به، فله الحمد والمنة، ولكن الخوف من تحريف الكلم عن مواضعه، وتأويل نصوصه انتصاراً للمذاهب المنحرفة والمناهج المبتدعة، وهو ما ظهر جلياً لدى بعض الفرق الضالة، مما استوجب كشف تلك الضلالات والتحذير من خطورتها.

وتظهر أهمية الموضوع أيضاً في تمييز الدخيل عن الأصل في التفسير ودفع الطعون الموجهة للقرآن الكريم التي بقيت إلى هذا العصر ماثرة في كتب المخالفين، وكذا تبصير المخدوعين بطائفة الشيعة التي فسرت القرآن بما لا يحتمله، موافقة لأهوائهم وإثباتاً لعقائدهم الباطلة.

ولو أن هذه اللوثة بقيت في زوايا التاريخ منسية، أو حظيت باهتمام أصحاب المذهب -على خطورتها- لكان الخطب، ولكن شرها وجد صدى لدى بعض الملوّثين فكراً من الملحدّين والعلمانيين والحدائثيين -وهم باطنية العصر- فتجرأوا على القول في كتاب الله بغير علم، وفسروا القرآن الكريم بمقتضى الهوى فلبسوا الحق بالباطل وغرروا بعقول السذج من الناس فصدوهم عن سبيل الله.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختياري لهذا الموضوع لعدة أسباب ذاتية وموضوعية أخصها في النقاط الآتية:

- كون الموضوع متعلقاً بكتاب الله تعالى، وشرف العلم بشرف المعلوم، كما أنه يدخل في دائرة تخصصي وهو التفسير وعلوم القرآن.
- قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت التفاسير الباطنية بالنقد وفقاً لقواعد التفسير الصحيح.
- الجِدَّة في الموضوع؛ حيث لم أجد حسب اطلاعي دراسة تناولت التأويل التحريفي للنص القرآني لدى الباطنية.
- منزلة تفسير العياشي لدى الشيعة؛ فهو عمدة التفاسير عندهم، وله الأثر البالغ في كل من جاء بعده.
- نشاط الشيعة في نشر مذهبهم الباطل، بالترويج لمرويات كاذبة.
- دخول هذا الاتجاه الباطني التحريفي إلى تفاسير بعض من ينتسبون للسنة.

الدراسات السابقة

حسب اطلاعي في فهارس الرسائل والمذكرات وجدت دراستين حول تفسير العياشي هما:

تفسير العياشي دراسة عقديّة نقدية رسالة ماجستير للطالب: سامي بن سعد الأسمري نشرت بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقديّة، المملكة العربية السعودية، 1433هـ، وقد تناولت الدراسة الجانب العقدي من الكتاب كما هو موضح في العنوان ودراستي تركز على الجانب التفسيري الباطني، وقد تقاطعت دراستي معها في عدد من المواضع.

المرويات التاريخية في كتاب تفسير القرآن للعياشي المتوفى: 320هـ / 932م رسالة ماجستير للطالب: ضياء رزاق خلاوي، نوقشت بجامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الإنسانية ابن رشد، 2017م، وقد تناولت الروايات التفسيرية التي لها علاقة بالتاريخ، وما يلاحظ على هذا البحث تركيزه على المرويات المتعلقة بالتاريخ فقط، كما أن الباحث لم يكن ناقدا بسبب انتمائه لطائفة المؤلف.

كما وجدت عدة دراسات لها علاقة ببعض جوانب البحث المدروسة منها:

الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن: أ.د محمد إبراهيم العسال رحمه الله أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه طبعت سنة 1427هـ، وهذه الدراسة ذكرت نماذج تحريفية فقط في تفاسير الشيعة ولم تتناول كل تفسير بالتفصيل، كما لم تذكر التأويل التحريفي في تفسير العياشي.

منهج علي بن إبراهيم القمي في تفسيره - عرض ونقد - للطالبة: أمل بنت إبراهيم الشيخ، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، العام الدراسي، 1431هـ-1432هـ. ويشترك القمي مع العياشي في التأويل الباطني التحريفي؛ حيث تقاطعت هذه الدراسة مع دراستي في العديد من النماذج للروايات التي ذكرها القمي والتي تحوي العديد من التأويل الباطني.

هذا مجمل ما وقفت عليه من بحوث ودراسات لها علاقة ببحثي، وهي في مجملها تتقاطع معه في بعض

الجزئيات، مما يجعل دراستي مستقلة وتطرح موضوعا جديدا.

منهج البحث:

إنّ طبيعة الموضوع هي التي تفرض المنهج المتبع في إنجازه، ولما كان بحثي يتعلق بدراسة اتجاه تفسيري لدى علم من الأعلام، فقد اقتضت المنهجية المزج بين عدة مناهج وفق آليات تبعا لطبيعة كل فصل، وعليه فإنّ المنهج الغالب في دراستي هو **المنهج التحليلي** الذي يستند إلى آليتي التجميع والاستقراء لحصر المادة أولا، ثم محاولة استنباط ما اشتملت عليه من قضايا وأحكام، ولجأت في بعض المواطن إلى **المنهج المقارن** عند الموازنة بين مرويات المدرستين السنية والشيعية لإبراز التأويل الباطني الذي لا يستند إلى أصول التفسير وقواعده، كما هو مقرر لدى سلف الأمة في خير القرون، كما كان **للمنهج النقدي** حضور من خلال تتبع كل آية فسرت برواية تحمل معانٍ باطنية تحريفية، وذلك بإيرادها ونقدها وفق أصول التفسير، وذكر المعنى الصحيح للآية من القرآن والسنة وأقوال السلف، وأقوال أئمة اللغة إن وجد، وربما لامست جوانب من **المنهج التاريخي** - وأن لم يكن وفق قواعده المعروفة لدى أهل هذا الفن - وذلك عند الترجمة للمؤلف وتحديد بيئته وعصره.

هذه لمحة عن المنهج الذي رأيته مناسباً لهذه الدراسة ذات الأبعاد المختلفة مما اقتضى إدراجها ضمن هذه المناهج ومحاولة الربط بينها بما يتناسب ومحتوى كل فصل، وأتمنى أن أكون قد وفقت في ذلك.

بقي أن أشير إلى بعض الترتيبات التي أحسب أنّها ذات صلة بالمنهج أخصها فيما يلي:

- لم أذكر جميع الروايات الواردة في التفسير وهي كثيرة، إذ إن نقد بعضها يغني عن نقد الباقي لاشتراكها في نفس المخالفة لأصول التفسير.
- اقتصر على الروايات التي تحمل تأويلية باطنية فقط دون غيرها، لأنّ هذا محور دراستي، مع العلم أنّ العياشي أورد الكثير من الروايات الباطلة لكنّها ليست ذات معانٍ باطنية.
- لم أبحث في سند الروايات الواردة في تفسير العياشي ولا في صحّتها إذ أنّ التفسير له مكانته عندهم وتلقوه بالقبول.

أهم مصادر البحث:

لما كانت مادة هذا البحث متنوعة، وفصولها متكاملة، فقد تطلّب مصادر مختلفة تبعا لكل مبحث؛ فكان الحضور الأبرز للمادة التفسيرية التي استقيتها من مصادر التفسير عند الشيعة والسنة، أما المادة الحديثية فكان لزاماً أن أعتمد مصادر المعروفة في التخريج لدى المدرستين، يضاف إلى ذلك مصادر لغوية وظفتها في

التعريفات، وأخرى تاريخية استفدتُ منها في التعريف بالمؤلف وبيئته وعصره، ولم استعِنَ عن كتب التراجم والسير التي كانت عوناً لي في التعريف ببعض الأعلام المذكورين في البحث، فأرجو أن أكون قد وُفقت إلى حسن استثمار تلك المصادر.

طريقة تحرير البحث:

أما طريقي في تحرير البحث فكانت كالاتي:

- اعتمدت مصحف المدينة للنشر الحاسوبي برواية حفص عن عاصم.
- عزوت الآيات الكريمة إلى مواضعها بعد نهاية الآية مباشرة مع ذكر السورة ورقم الآية.
- عزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها، فإن كان مخرجا في الصحيحين أو أحدها اكتفيت به، وإن كان في غيرها ذكرت له مصدرا واحدا غالبا.
- عند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة أشير في الهامش إلى جميع بياناته وفق الترتيب الآتي: (اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق إن وجد، ثم أذكر بيانات النشر (دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، تاريخ الطبعة، الجزء والصفحة، وأكتب عبارة: (د. ط) و (د. ت) إن كان الكتاب بدون رقم أو تاريخ طبعة).
- إن تكرر ذكر المصدر في موضع آخر أكتفي بذكر المؤلف وعنوان الكتاب، وقد أقتصر على اسم الشهرة للكتاب مع ذكر الجزء والصفحة فقط.
- ركزت على الترجمة للأعلام المعروفين بالتفسير غالبا وكذا المغمورين، وعند إيرادي لترجمة أي علم فإني أنقل ما قيل فيه حسب المصادر دون تعقيب، خاصة أعلام الشيعة وما تبعها من ألقاب التفخيم والتعظيم، فإني أنقلها غالبا كما هي حتى أبين مكانة العلم عند الشيعة.
- عند نقدي للرواية التفسيرية أذكر الآية ثم بعدها مباشرة الرواية التي ساقها العياشي، ثم أبين المعنى العام الذي ذهب إليه، وبعد ذلك أقوم بنقدها وفق أصول التفسير حسب الجهد.
- ذيلت البحث بفهارس فنية للآيات القرآنية، والأحاديث والآثار، والأعلام، وختمت ذلك بفهرس للمصادر والمراجع.

صعوبات البحث:

لما كان البحث العلمي جهدا بشريا يعتوره النقصان، فقد قابلتني بعض الصعوبات التي لا يخلو منها بحث، منها تشعب المادة وكثرة المروييات، مما احتاج إلى تصنيف وانتقاء، ثم تنفيذ ونقد، مع قلة البضاعة ونقص الخبرة لدى باحث يتكلمسُ دروب البحث العلمي الوعرة، فأرجو أن أكون قد ذلت بعض تلك الصعوبات، وخرجت من تلك الدروب سالما، ومن الله وحده أستمد العون والتوفيق.

خطة البحث:

انتظمت خطة هذا البحث اجمالا في مقدمة، وفصل تمهيدي وثلاث فصول رئيسية، وخاتمة وجاءت الخطة مفصلة كالآتي:

المقدمة: وقد تضمنت عنوان البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسباب الاختيار، كما تم ذكر الإشكالية التي يعالجها البحث، مع التعرّيج على ما توفر من دراسات سابقة تعالج الموضوع أو تتقاطع معه، إضافة إلى المنهج المتبع في معالجة جزئيات البحث، وختامها خطة البحث.

الفصل التمهيدي: وقد اخترت له العنوان التالي: **مفاهيم حول التفسير والتأويل**. وقد ضمّنته أربعة مباحث، ففي **المبحث الأول:** عرّفت الفسّير لغة واصطلاحا مبينا اشتقاقه من كتب اللغة والقواميس، معتمدا على كتب علوم القرآن والتفسير، مبرزاً علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي، وفي **المبحث الثاني:** عرفت التأويل في اللغة من حيث اشتقاقه ووروده في كلام العرب بمعانيه المختلفة، كما عرّفته في اصطلاح المتقدمين وكذا ووروده في الكتاب والسنة، و أوردت تعريفه عند جمهور الأصوليين.

وفي **المبحث الثالث**، تناولت أهم الفروق بين التفسير والتأويل، وذلك بإيراد عدة أقوال في التفريق بينهما وذكر ثمرة الخلاف بينهما، وفي **المبحث الرابع** تناولت شروط وآداب المفسّر، حيث أوردت أهم الشروط المعرفية الخادمة للعملية التفسيرية والتي يجب على المفسّر اكتسابها، وكذا الشروط الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها المفسّر حتى يكون متجردا من الهوى والخلفية العقديّة. وختمت الفصل بخلاصة ضمّنتها نتائج المباحث في هذا الفصل.

أمّا **الفصل الأول**، فقد عنونته بـ: **التعريف بالمؤلف وتفسيره**. ويحتوي على ثلاثة مباحث، ذكرت في **المبحث الأول:** عصر المؤلف، وما صاحب نشأته من حيث وصف مكان إقامته ونشأته، وذكر أهم أعلام

منطقته، وذكرت الأوضاع السياسية لعصر المؤلف وما صاحبها من أحداث كبرى أثرت على الحركة العلمية، وتناولت الحياة العلمية والدينية لعصر المؤلف مع أهم الفرق التي ظهرت في عصره.

وتناولت في **المبحث الثاني**، حياة العياشي وسيرته العلمية حيث ضمنها اسمه وكنيته ونسبه، مع سيرته العلمية ورحلاته، وذكر مشايخه وتلاميذه والرواة عنه، كما نوهت بمكانة العياشي من خلال إيراد بعض أقوال علماء الشيعة فيه، مع ذكر مؤلفاته الكثيرة، أما **المبحث الثالث** فقد عرّفت فيه بتفسير العياشي من حيث اسم التفسير، ونسبته إلى مؤلفه، مع وصف عام للكتاب منبهاً إلى طبعاته المختلفة، وقد أوردت منهج العياشي في تفسيره و تحدثت عن أسانيد رواياته. كما أوردت مطلباً في هذا المبحث ضمنته أثر تفسير **العياشي في تفاسير الشيعة من بعده**، مع ذكر أربعة تفاسير كنماذج، معرّفاً بها ومؤلفيها والمواضع التي يظهر فيها أثر العياشي.

أما **الفصل الثاني** فقد وضعت له العنوان التالي: **أصول التفسير بين أهل السنة والشيعة الباطنية**، ويحتوي على ثلاثة مباحث، ذكرت في **المبحث الأول**: أصول التفسير وأثرها في عصمة معاني النصوص القرآنية من الخطأ والتحريف، معرجاً على تعريفها لغة واصطلاحاً. وتناولت في **المبحث الثاني**، أصول التفسير عند أهل السنة، وبعض تطبيقات كل أصل، وجاء **المبحث الثالث** في أهم أصول التفسير عند الشيعة الباطنية، مع ذكر أمثلة تطبيقية عند كل أصل من أصولهم.

الفصل الثالث: وقد عنونته بـ: **التأويل التحريفي للنص القرآني في تفسير العياشي**، ويحتوي على أربعة مباحث حيث ذكرت في **المبحث الأول**: موقف العياشي من عصمة القرآن الكريم، مع ذكر موقف الشيعة من القرآن وموقف أهل السنة من عصمته وحكم من يدعي التحريف، وتناولت في **المبحث الثاني**: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات الإمامة مع ذكر مكانتها عند السنة والشيعة، ونماذج الروايات التحريفية التي أوردها العياشي انتصاراً لعقيدته في باب الإمامة. وتناولت في **المبحث الثالث**: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات فضائل الشيعة، وتناولت في **المبحث الرابع**: التأويل التحريفي في تفسير العياشي للطعن في المخالفين، منوهاً بفضل ومكانة الصحابة، وموقف الشيعة منهم، مع إيراد العديد من النماذج التحريفية للطعن في المخالفين للشيعة.

الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها مع أهم الفهارس التي يحتاجها البحث.

الفصل التمهيدي:

مفاهيم حول التفسير والتأويل

ويحتوي المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: التأويل لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: الفرق بين التفسير والتأويل.

المبحث الرابع: شروط وآداب المفسر.

تمهيد

يتناول هذا البحث موضوعاً له علاقة مباشرة بمصطلحي "التأويل" و"التفسير"، لذا كان لزاماً على الباحث أن يعرف بمهدين المصطلحين لغة واصطلاحاً، خدمة لما سيأتي من مباحث، وكذا إبراز بعض متعلقات هذين المصطلحين، كالفرق بينهما، وأهم شروط وآداب المفسر التي يجب أن يتصف بها.

المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة

التفسير مصدر على وزن فعيل، واختلف في اشتقاقه على ثلاثة أقوال:

– القول الأول:

قيل هو مشتق من الفسر: وهو «البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله»⁽¹⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:33]، وتقول العرب: «فسرت الدابة وفسرتها إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول إلى الكشف أيضاً»⁽²⁾.

– القول الثاني:

قيل إنَّ التفسير، مشتق من السفر: بمعنى أن التفسير مشتق من مقلوب السفر وهو الكشف تقول: «سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح إذا أضاء، وسفرت الريح السحاب إذا قشعته»⁽³⁾.
ومنه قول الشاعر:

وكنت إذا ما جئت ليلي تبرقت * فقد رايني منها الغداة سفورها⁽⁴⁾.

ومنه أيضاً السفر، و سمي السفر سفراً، لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال، أي: يكشفها ويوضحها⁽¹⁾.

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1388هـ – 1968م، 5/55.

(2) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى: 1376 هـ – 1957 م، 2/147.

(3) الجصاص، أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ – 1994م، 1/213.

(4) ابن المرزبان، أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرستويه، تصحيح الفصح وشرحه، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى: 1419هـ – 1998م، ص: 129.

وقال الراغب: «الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسرة وسمي بها قارورة الماء وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح»⁽²⁾، وهو ما يعبر عنه اللغويون بالاشتقاق الكبير.

غير أن إرجاع اشتقاق التفسير إلى «السفر» في اللغة هو قول لا يخلو من نزاع، وذلك أن الأصل عند العرب هو أن لكل كلمة ترتيب حروف خاص بها، ودعوى القلب تحتاج لدليل قوي، لذلك ردّها الألويسي بقوله: «التفسير لغة، البيان والكشف والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه»⁽³⁾.

ولم أجد هذا القول في كتب ومعاجم اللغة التي توفرت لدي، لكن وُجد في بعض كتب علوم القرآن وكتب التفسير، كما لم أجد منه منسوباً لعالم فيما اطّلت عليه إلا للإمام أبي حامد الخارزنجي⁽⁴⁾ فقد روى

(1) الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1412 هـ - 1992 م، 2/247.

(2) الزركشي، المصدر السابق، 2/148.

(3) الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ، 5/1.

(4) أبو حامد أحمد بن محمد الخارزنجي البُشْتِي، إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، وكتابه المعروف بالتكملة البرهان في تقدّمه وفضله، من شيوخه، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوسنجي واللغوي الشهير أبو تراب، والذي نقل عنه الخارزنجي في كتابه "تكملة كتاب العين" ومن تلاميذه: محمد بن إبراهيم بن عبد الله، أبو سعيد الأديب، و الحاكم أبو عبد الله، توفي في رجب سنة ثمان وأربعين وثلثمائة. انظر ترجمته في: [جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى: 1406 هـ - 1982 م، 1/142] و [شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 2003 م، 7/861] و [أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى: 1382 هـ - 1962 م، 5/8].

الثعلبي بسنده عن أبي حامد أحمد بن محمد الخارزنجي «هو مقلوب من سفر مثل: جذب وجذب، وضب وبضّ وما أطيبه وما أيطبه»⁽¹⁾.

ويغلب على الظن أن هذا أحد تصحيقاته الكثيرة فقد ردّ عليه الأزهري⁽²⁾ في مواضع كثيرة وغلّطه في العديد ممّا ذهب إليه، قال الأزهري: «وقد ذكرت لك هذه الحروف التي أخطأ فيها، والتقطتها من أوراق قليلة؛ لتستدلّ بها على أن الرجل لم يف بدعواه، وذلك أنه ادّعى معرفة وحفظاً يميّز بهما الغثّ من السمين، والصحيح من السقيم، بعد اعترافه أنه استنبط كتابه من صحف قرأها؛ فقد أقرّ أنه صحفيّ، لا رواية له ولا

(1) الثعلبي، أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2002 م، 247/2.

(2) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر، الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة؛ ولد سنة اثنتي عشرة وثمانين ومائتين، كان فقيهاً شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، وكان متفقا على فضله وثقته ودرايته وورعه، أخذ العلم عن محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي، وأبي عبد الله إبراهيم ابن عرفة الملقب نفظويه، وأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي، الحسين بن إدريس، ومحمد بن عبد الرحمن السامي، وأبي الفضل المنذري، كما سمع الحديث من الإمامين البغوي، وابن أبي داود، ورواه عنهما كما سمع وروى عن غيرهما. وروى عنه تلاميذ أكثر منهم: أبو عبيد الهروي، مؤلف الغريبين، وأبو يعقوب القراب، وأبو ذر عبد بن أحمد الحافظ، وسعيد بن عثمان القرشي، وآخرون. ترك عدداً من المؤلفات منها: "تهذيب اللغة"، "غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء" و"تفسير القرآن" و"فوائد منقولة من تفسير للمزني"، "علل القراءات"، "الأسماء الحسنی"، و"شرح ديوان أبي تمام"، و"تفسير إصلاح المنطق". توفي رحمه الله ربيع الآخر سنة سبعين وثلاث مائة، عن ثمان وثمانين سنة.

ينظر ترجمته في: [أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1398 هـ - 1978 م، 334/4] و [الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1405 هـ - 1985 م، 328/12] و [القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 177/4] و [تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1413 هـ، 64/3] و [شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1414 هـ - 1993 م، 2321/5]

مشاهدة، دلّ تصحيفه وخطؤه على أنه لا معرفة له ولا حفظ. فالواجب على طلبة هذا العلم ألا يغتروا بما أودع كتابه، فإن فيه مناكير جمّة، ولو استقصيت تهذيبها اجتمعت منها دفاتر كثيرة، والله يعيدنا أن نقول ما لا نعلمه، وندّعي ما لا نحسنه، أو نتكثّر بما لم نؤته. وفقنا الله للصواب، وأداء النصح فيما قصدناه، ولا حرمانا ما أمّلناه من الثواب»⁽¹⁾.

- القول الثالث:

أنّ التفسير مشتق من التفسرة: وهو «البول الذي يستدلّ به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلّون بلونه على علّة العليل، وهو اسم كالتنهيّة، وكلُّ شيء يُعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسيره»⁽²⁾. وبعد سرد أهم الأقوال الواردة في معنى التفسير، نجد أنّها وإن اختلفت، فإنّها ترجع إلى الكشف والإيضاح والبيان فإنّ المفسّر يكشف عن معاني القرآن الكريم وبيّنها.

المطلب الثاني: تعريف التفسير اصطلاحاً

التفسير اصطلاحاً:

أما معنى التفسير اصطلاحاً، فقد اختلفت عبارات العلماء في ذلك، بين موجز ومطول، ومن أشهرها:

أ. تعريف أبي حيان التوحيدي:

عرّفه أبو حيان التوحيدي⁽³⁾ بقوله: «التفسير، علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك»⁽⁴⁾.

(1) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: 1406 هـ-1982م، 1/154.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 5/55.

(3) أبو حيان التوحيدي؛ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني الغرناطي، إمام في العربية والبلاغة والتفسير، فيلسوف، فقيه و مؤرخ، متصوف معتزلي، ولد سنة 654 ستمائة وأربع وخمسون بشيراز ونشأ في غرناطة الأندلس، أخذ على عدد كبير من الشيوخ، وقد ذكر إن عدة من أخذ عنه أربعمائة وخمسون عالماً منهم: القاضي أبي حامد المرورودي، الوجيه الدهان، والقطب القسطلاني، وابن الأنماطي، وغيرهم. وقد روى عنه وتلمذ على يديه خلق كثير منهم: علي بن يوسف الفامي ومحمد بن منصور بن جيكان وعبد الكريم بن محمد الداودي ونصر بن عبد العزيز المصري القارسي ومحمد ابن إبراهيم ابن فارس الشيرازيون،

ثم شرحه بقوله: «فقولنا: علم هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دللته بالحقيقة وما دللته بالمجاز، وقولنا: وتتمت لذلك هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك»⁽²⁾.

ب. تعريف الزركشي:

عزفه الإمام الزركشي⁽³⁾ رحمه الله بقوله: «علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه»⁽¹⁾.

مصنفاته: له مصنفات كثيرة في مختلف فنون العلم، في التفسير، النحو والصرف واللغة والفقه والقراءات، ومن أشهر هذه المؤلفات البحر المحيط في التفسير، الإدراك للسان الأترك، إرتشاف الضرب في لسان العرب، الإرتضاء في الضاد والطاء، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، التدريب في شرح التقريب، ديوان شعر، البصائر والذخائر، المقابسات، مثالب الوزيرين وغيرها من المصنفات.

توفي سنة: 414 هـ، وقيل: 380 هـ وقيل: 400 هـ. ينظر ترجمته في: [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 286/5] و [شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1414 هـ - 1993 م، 1923/5] و [سير أعلام النبلاء، 119/17] و [الذهبي، تاريخ الإسلام، 837/8]، [أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1416 هـ - 1996 م، 633/7].

(1) أبو حيان التوحيدى، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1431 هـ - 2010 م، 26/1

(2) أبو حيان التوحيدى، البحر المحيط في التفسير، 26/1.

(3) الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ولد في مصر سنة 745 هـ الموافق لسنة 1344م، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، عرف والده باشتغاله بصناعة الزركش وهو التطريز بالذهب، التي صارت حرفة الإمام الزركشي لاحقاً، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، فأخذ عن الشيخ جمال الأسنوي والشيخ سراج الدين البلقيني، والحافظ ابن كثير، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، كالأصول والقواعد والفروع والأحكام والعقيدة والأدب، وله

وقد ذكر السيوطي في إتقانه عدة تعريفات كثيرة للتفسير، واعتبر في كتابه "التحبير في علم التفسير" تعريف أبي حيان هو التعريف المختار.

ولعل خير ما يجمع تلك التعاريف كلها، هو تعريف الزرقاني، حيث يقول: « والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية»⁽²⁾.

كتب في التفسير والحديث، وقام بتخريج أحاديث بعض الكتب منها "الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة"، "لقطة العجلان"، "البحر المحيط في أصول الفقه"، "ذيل وفيات الأعيان"، البرهان في علوم القرآن". توفي رحمه الله في الثالث من شهر رجب سنة 794هـ، في القاهرة ودفن بالقرافة الصغرى، بالقرب من تربة الأمير بكتمر الساقى وذلك عن عُمر يناهز 49 سنة.

ينظر ترجمته في: [ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، الطبعة الأولى: 1389هـ - 1969م، 466/1] و [أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية: 1392هـ/ 1972م، 134/5] و [طبقات الشافعية، 167/3].

(1) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى: 1376هـ - 1957م، 13/1.

(2) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ، 1995م، 6/2.

المبحث الثاني: تعريف التأويل لغة واصطلاحاً

مما يجلي مفهوم التأويل ويقرّبه للأذهان لأجل تصور صحيح حوله، الحرص على تعريفه لغة واصطلاحاً؛ وذكر ما يتعلق به من حيث اشتقاقه، وعلاقة المعنى اللغوي بالاصطلاح، وتعريفه بين المتقدمين وجمهور الأصوليين، وأهم الفروق بين التأويل والتفسير، وهذا ما سنقوم به في هذا المبحث.

المطلب الأول: تعريف التأويل لغة

التأويل لغة: يُجمع أصحاب المعاجم على أن التأويل لغة، مشتق من الجذر أ و ل، و هو مصدر من الأؤل، وهذا الجذر (أ و ل) يطلق في اللغة ويراد به عدة معانٍ وهي:

- أولاً: العودة والرجوع: ومنه «آل الرجل عن الشيء ارتدّ عنه»⁽¹⁾، ويقال: «آل يؤول، أي: رجع. قال يعقوب: يقال: «أولَ الحكمَ إلى أهله، أي: أرجعه ورده إليهم. قال الأعشى: أوول الحكم إلى أهله»⁽²⁾.
- ثانياً: الإصلاح: قال المبرد: «آله يؤوله أولاً، إذا أصلحه. قال عمر بن الخطاب: قد لنا وإيل علينا؛ تأويل ذلك: قد ولينا وولي علينا، وهذه كلمة جامعة، يقول: قد ولينا فعلمنا ما يصلح الوالي، وولي علينا فعلمنا ما يصلح الرعية»⁽³⁾، «وأصله من ألت اللين وغيره: أصلحته وأحسنّت سياسته»⁽⁴⁾.

(1) ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1987م، 1305/3.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 159/1.

(3) المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1417 هـ - 1997 م، 129/3.

(4) البندنجي: أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان، التقفية في اللغة، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد الطبعة الأولى: 1976 م، ص 624.

- ثالثاً: العاقبة والمصير

ومن معاني التأويل العاقبة والمصير، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ وَيَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف:53]؛ ومعنى هذه الآية الكريمة: « هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مَا يَأْتِي إِلَيْهِمْ مِنْ الْعَذَابِ وَمَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ. يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، أَي: جَزَاؤُهُ وَمَا يَأْتِي إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ »⁽¹⁾.

رابعاً: التفسير

من المعاني التي يأتي بها لفظ التأويل هي التفسير، وهو الغالب في كلام الأوائل؛ قال الراغب: « والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل »⁽²⁾، ومنه تأويل الرؤيا بمعنى تفسيرها كما في قوله تعالى: ﴿ نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [يوسف:36]؛ بمعنى: « خَبَّرْنَا بِتَفْسِيرِ الرُّؤْيَا »⁽³⁾.

خامساً: الخثور

ورد لفظ التأويل في لغة العرب بمعنى، الخثور، قال الخليل: « آل اللبث يؤول أولاً وأوولاً، خثر، وكذلك النبات، قال أبو زيد: آل اللبث على الإصبع، وذلك أن يروب فإذا جعلت فيه الإصبع قيل آل عليها، وآل القطران، إذا خثر »⁽⁴⁾.

والعلاقة بين الخثور والتأويل ظاهرة وإن كان اللفظ بعيداً، وذلك أنّ الخثور هو تحوّل من حالة إلى حالة، وأوّل من حالة إلى حالة أخرى؛ فأشبهه التأويل الخثور من هذا الوجه.

(1) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420 هـ، 2/196.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ، ص: 636.

(3) الواحددي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ، ص: 546.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/160.

المطلب الثاني: تعريف التأويل اصطلاحاً

اختلفت تعريفات العلماء للتأويل، بين المتقدمين والمتأخرين وذلك لحدوث معنى جديد للتأويل عند الأصوليين غير المعنى المعروف عند المتقدمين من السلف وسنن ذلك كما يلي:

1- تعريف التأويل عند المتقدمين:

يطلق التأويل عند المتقدمين ويراد به معنيين:

أ - تفسير اللفظ وبيان معناه: واستعماله بهذا المعنى كثير في أحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة والمتقدمين من العلماء ففي الأثر: (... فصلى رسول الله ﷺ في المسجد، ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، نظرت إلى مد بصري بين يديه، من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهل بالتوحيد «ليتك اللهم، ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك»⁽¹⁾ ومعنى يعرف تأويله: أي «يفهمه هو ويبينه للناس بفعله»⁽²⁾.

وفي دعائه ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)⁽³⁾. والتأويل هنا بمعنى «التفسير وفهم معاني القرآن»⁽⁴⁾ أي: «ما يؤول إليه معنى ما أنزل الله تعالى ذكره على نبيه ﷺ من التنزيل وآي القرآن»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، رقم: 147، 887/2 .

(2) القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بدوي، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1417 هـ - 1996 م، 324/3.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب: مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، باب: مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ، رقم: 2397، 225/4.

(4) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ - 1995 م، 193/1.

(5) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، 138/1.

وفي أقوال الصحابة أيضا يطلق التأويل على التفسير، فمن ذلك ما رواه أسلم أبو عمران قال: «كنا بمدينة الروم فأخرجوا لنا صفا عظيما من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس، إنكم تأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار. لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبي ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه. فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا، فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وترك الغزو»⁽¹⁾، ومنه قول ابن عباس: «إنا ممن يعلم تأويله»⁽²⁾.

واستعمل الإمام المفسر ابن جرير الطبري في تفسيره مصطلح التأويل بمعنى التفسير، بل سمي تفسيره: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ولا يقصد بالتأويل إلا التفسير كما يلاحظ ذلك بكل يسر في ثنايا كتابه، فيقول مثلا: «القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 01]، قال أبو جعفر: «يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 01]، احذروا، أيها الناس، ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قبيل لكم به»⁽³⁾، ثم يذكر رحمه الله أقوال المفسرين ويعقب بقوله كما هو معروف من منهجه في تفسيره.

(1) النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أسباب النزول، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، الطبعة الثانية: 1412 هـ - 1992 م، ص 58.

(2) النخاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، الطبعة الأولى: 1409 هـ، 353/1.

(3) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000 م، 512/7.

وقال ابن أبي العز الحنفي: «التأويل عند المفسرين هو تفسير الكلام وبيان معناه، والتأويل في كلام كثير من المفسرين، كابن جرير ونحوه، يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف. وهذا التأويل كالتفسير، يحمده، ويرد باطله»⁽¹⁾.

ب- الحقيقة التي يؤول إليها الكلام إما خبراً أو أمراً أو نهياً.

وهو المعنى الثاني الذي يراد من لفظ التأويل، ومما ورد في ذلك من آثار قول، عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقُولُ فِي رُكُوعِهِ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»⁽²⁾، «أي يعمل ما أمر به في قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر:03]»⁽³⁾.

وأخرج البيهقي في الشعب عن أبي العالية قال: «كَانُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَوَقَعَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ عَبْدِ اللَّهِ: أَلَا أَقُومُ فَأَمْرَهُمَا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمَا عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَالَ آخَرٌ إِلَى جَنْبِهِ: عَلَيْكَ نَفْسُكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة:105]، فَسَمِعَهَا ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: مَهْ لَمْ يَجِيءْ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ إِذِ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ حَيْثُ أَنْزَلَ وَمِنْهُ آيٌ قَدْ مَضَى تَأْوِيلُهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ وَمِنْهُ مَا وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ عِنْدَ السَّاعَةِ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ عِنْدَ الْحِسَابِ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ الْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَمَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ وَاحِدَةً

(1) صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن الحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة: 1417هـ - 1997م، 253/1.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: التسيح والدعاء في السجود، رقم: 817، 163/1. ومسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، رقم: 484، 350/1.

(3) الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1401هـ - 1981م، 172/5.

من الجاهل؛ كان تأويلاً»⁽¹⁾، وقال الآمدي: «هُوَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى غَيْرِ مَذَلُولِهِ الظَّاهِرِ مِنْهُ، مَعَ اخْتِمَالِهِ لَهُ»⁽²⁾، فهذه التعاريف كلها متفقة على أن التأويل هو صرف اللفظ عن الظاهر بدليل.

وجدير بالذكر أن التأويل على اصطلاح المتأخرين مما كثر استعماله عند الطوائف المنحرفة خاصة أصحاب الاتجاه الباطني، لذلك فإنَّ سدَّ الباب عليهم من تحريف معاني النصوص القرآنية يكون بقبول التأويل المنضبط، الموافق للقرآن والسنة ولغة العرب⁽³⁾، أما إذا عمل التأويل دون ضوابط فيصل الأمر إلى أن يقول من شاء بما شاء، لذا فإنَّ ما أحدثه المتأخرون من صرف ألفاظ القرآن والسنة عن ظواهرها، وتأويلها دون دليل من القرآن أو السنة وإنما فعلوا ذلك كي توافق مذاهبهم التي اعتقدوها واسسوها على ما أملت عليه عقولهم⁽⁴⁾

يقول ابن القيم مبرزاً أثر التأويل -على اصطلاح المتأخرين- بسبب استغلاله من طرف مختلف الطوائف: «... وكذلك فعلت الرافضة في أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك فعلت المعتزلة في تأويل أحاديث الرؤية والشفاعة، وكذلك القدرية في نصوص القدر، وكذلك الحرورية وغيرهم من الخوارج في النصوص التي تخالف مذاهبهم، وكذلك القرامطة والباطنية طردت الباب، وطمَّت الوادي على القري، وتأولت الدين كله، فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يردده الله ورسوله بكلامه، ولا دلَّ عليه أنه مراده وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟ وهل وقدت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل؟ فمن بابه دخل إليها، وهل أريق دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل؟»⁽⁵⁾

(1) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1403 هـ - 1983 م، ص: 54.

(2) الآمدي، أبو الحسن سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1402 هـ، 53/3.

(3) محمد أحمد لوح، جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، 1417 هـ، ص: 13.

(4) حسين بن علي الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، دار القاسم، الطبعة الأولى، 1417 هـ، ص: 140.

(5) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423 هـ، 187/6.

وأهواؤكم وَاحدةٌ ولم تلبسوا شيئاً فلم يذق بَعْضُكُمْ بُأسَ بعض فَمروا وانهاوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيئاً وذاق بَعْضُكُمْ بُأسَ بعض فكل امرئٍ ونَفسه فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ» (1).

فالتأويل في هذا الأثر جاء بأحد معانيه اللغوية وهو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وهذا هو الوارد في معنى التأويل عند السلف.

2- تعريف التأويل عند المتأخرين:

مرّ معنا في تعريف المتقدمين أنّ التأويل يطلق على معنيين هما، التفسير، وما يؤول إليه الأمر وهذا ما يدل عليه القرآن والسنة ولغة العرب، لكن حدث معنى آخر عند المتأخرين من الأصوليين وغيرهم يخالف ما استقرّ عليه مصطلح التأويل عند المتقدمين ومّا جاء في تعاريفهم:

قال ابن حزم: «والتأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق، وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل» (2).

وعرفه الغزالي بقوله: «التأويل عبارة عن احتمالٍ يُعَصِّدُهُ دَلِيلٌ يَصِيرُ بِهِ أَغْلَبَ عَلَى الظَّنِّ مِنْ الْمَعْنَى الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ تَأْوِيلٍ صَرَفًا لِلْفِظِّ عَنْ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ» (3).

وعرفه الجرجاني بقوله: «التأويل: في الأصل: الترجيع. وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الروم:19]؛ إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم

(1) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد

القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1424 هـ - 2003 م، 157/10، رقم 20194.

(2) ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي أبو محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1983 - 1403، 42/1.

(3) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1413 هـ - 1993 م، ص: 196.

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير والتأويل

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل اختلافا كبيرا، وكتبوا في ذلك الكثير، والكثير من كتب علوم القرآن تناولت هذه المسألة، ويرجع اختلافهم في هذه المسألة لكون التأويل بمعناه عند المتأخرين يختلف عن معناه عند المتقدمين، وفيما يلي تفصيل لأهم أقوالهم في الفرق بين التفسير والتأويل:

❖ القول الأول:

أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، وقد مرّ معنا في تعريف التأويل اصطلاحاً⁽¹⁾، وعليه فهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير، كالإمام ابن جرير وغيره، وهو قول أبو عبيدة رحمه الله، فقد أورد في تفسيره التأويل بمعنى التفسير، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 07]؛ حيث يقول رحمه الله: «التأويل: التفسير»⁽²⁾.

وهذا القول يحتاج إلى نظر، لأن القول بأن اللفظين مترادفان يعني إثبات الترادف في القرآن الكريم، والراجح عدم الترادف في القرآن كما قرره المحققون، قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقيل أن يعبر عن لفظ واحد لفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن»⁽³⁾.

❖ القول الثاني:

(1) ينظر، ص: 11، من هذا البحث

(2) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1381 هـ، 86/1.

(3) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: الناشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1490 هـ-1980 م، ص: 17.

أن التفسيرُ أعمُّ من التأويل، وهو قول الراغب الأصفهاني⁽¹⁾ ومن وافقه من العلماء، يقول الأصفهاني: «اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد، أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتأويل أكثره في الجمل، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة، والوصيلة، أو في وجيز يتبين بشرح، نحو أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: 38]؛ وقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: 189]؛ وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ «وجد» المستعمل في الجدة والوجد والوجود»⁽²⁾.

❖ القول الثالث:

أن التفسير بيان المراد من الآية الكريمة مع الجزم، والتأويل بيان المعاني مع الاحتمال وعدم الجزم بأن هذا هو مراد الآية، يقول الماتريدي: «التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة على الله»⁽³⁾.

❖ القول الرابع:

وهو قول أبي طالب التغلي ومن وافقه، أن التفسير بيان وضع اللفظ؛ إما حقيقة وإما مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذاً من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14] تفسيره: أنه من الرصد، يقال:

(1) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 192/4،

(2) السيوطي، الإتيان، 193/4،

(3) المصدر نفسه 192/4،

رصدته؛ أي: رقبته، والمرصاد: مُفْعَالٌ منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والعَفْلَة، والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة⁽¹⁾.

❖ القول الخامس:

أنّ التأويل: صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، فقد رُخِّص فيه لأهل العلم، والتفسير: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسمع بعد ثبوته من طريق النقل⁽²⁾ وهو قول البغوي ومن وافقه، ونسب السيوطي هذا القول أيضا لأبي القاسم بن حبيب النيسابوري، والكواشي⁽³⁾.

❖ القول السادس:

أنّ التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلّق بالدراية⁽⁴⁾، وهو قول البجلي⁽⁵⁾ ومن وافقه، ومحصل هذا القول أنّ أدوات التفسير مرجعها الأثر، وأدوات التأويل مرجعها الاجتهاد والرأي. هذه جملة الأقوال التي وردت في التفريق بين التفسير والتأويل، والذي يظهر - والله أعلم - أن الخلاف بين المصطلحين خلاف لفظي وإن كان بينهما فرق في الاصطلاح، وبالتالي لا ينبغي على التفريق بينهما أثر عملي، وسبب التفريق بينهما كما قال الزركشي: «التمييز بين المنقول والمستنبط؛ ليحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط، تجويزاً له وازدياداً، وهذا من الفروع في الدين»⁽⁶⁾.

المطلب الرابع: شروط وآداب المفسر

(1) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 193/4.

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 67/1.

(3) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 194/4، وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 150/2،

(4) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 168/4، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 150/2، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1415 هـ، 6/1.

(5) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 193/4، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 150/2.

(6) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 172/2.

نتناول من خلال هذا المطلب أهم شروط وآداب المفسر لما لها من أهمية في العملية التي التفسيرية، إذا لا تفسير دون مفسر يتميز بسماتٍ متعلقة بالجانب العلمي، والجانب الأخلاقي، وهذه الشروط هي الميزان الذي يوزن به من يقبل تفسيره ومن يردّ. ولما كان التصدي لتفسير كتاب الله تعالى من أشرف الأعمال وأخطرها فإنّ العلماء وضعوا شروطا وآدابا لمن يريد تفسير كتاب الله تعالى ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الشروط المعرفية

ونقصد بها العلوم الخادمة لعلم التفسير والتي يجب على المفسر اكتسابها ومنها:

1- العلم بالسنة

ويقصد بهذا الشرط أن يكون المفسر على معرفة كافية بمصطلح الحديث والعلل ملما بالتخريج والحكم على الأحاديث حتى يكون استدلاله لتفسير آية من السنة مغربلا من السقيم والمردود، مميزا بين الغث والسمين، وتعين السنة المفسر في تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول ونسخ⁽¹⁾.

2- العلم باللغة

تعدّ اللغة من أهم المرتكزات التي يقوم عليها تفسير القرآن الكريم «لأنّ بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب، وتقدم قول الإمام مالك في ذلك ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر»⁽²⁾.

وعليه «فلا بدّ للمفسر من أن يكون عالما بهذه اللغة وفقهها واشتقاقها وتصريفها ومطلعا على أصول كلماتها، وجذور ألفاظها، ودارسا في أشهر كتب المعاجم التي تخصصت في هذا»⁽³⁾.

(1) أبو حيان التوحيدى، البحر المحيط في التفسير، 1/15.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4/213.

(3) عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1429هـ - 2008م، ص: 55.

وتكمن الأهمية الكبرى للغة في العملية التفسيرية من حيث كونها سداً منيعاً لمن أراد أن يفسّر كلام الله بما لا يعرفُ معناه إلاّ خواصُّ من الناس كما يزعم كثيرٌ من الغلاة من الروافض والباطنية والصوفيّة والفلاسفة وغيرهم، فمن أورد معنى لا تعرفه العرب كان ذلك مما يدلُّ على بطلانه، إذ المعاني محدودة محصورة، ومدونة مشهورة، لا يمكن أن يزداد فيها ما ليس منها⁽¹⁾.

3- العلم بالنحو والصرف والبلاغة

«وذلك ليتعرف على ألوان وآفاق البلاغة القرآنية المعجزة، ويتعرف على موضوعات علم المعاني القرآني، وأساليب البيان في القرآن، والبديع على ضوء القرآن، والتصوير الفني في القرآن، وخصائص التعبير القرآني»⁽²⁾. كما أن معرفة النحو والصرف «يقود المفسر إلى حسن فهم الجملة القرآنية، من حيث بناء كلماتها الصرفي، ومن حيث موقع كلماتها من الإعراب، وهذا يقوده إلى حسن فهم القرآن وتفسيره»⁽³⁾.

4- العلم بأصول الفقه

ويندرج تحته « معرفة الإجمال، والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه هذا ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن»⁽⁴⁾، فالمفسر تصادفه الكثير من آيات الأحكام الجملة التي بينها السنة أو خصصتها أو قيدتها، ومعرفة أصول الفقه تجعله يوظفها لتفسير هذه الآيات تفسيراً صحيحاً، بخلاف ما إذا كان جاهلاً بأصول الفقه فإنه سيحرف معنى الآية على غير مراد الله تعالى⁽⁵⁾.

(1) مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى: 1422هـ، ص: 05-06.

(2) عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، ص: 56.

(3) المصدر نفسه، ص: 56.

(4) أبو حيان التوحيد، البحر المحيط في التفسير، 1/15.

(5) ظهرت في هذا العصر الكثير من الدعوات التي ينادى أصحابها بالتححرر من أصول الفقه في التعامل مع نصوص الوحي، ويزعمون أن الإتكاء على هذه الأصول التي وضعها الشافعي - كما زعموا - تحدّ دون إطلاق العقل في التفكير والإستنباط من كتاب الله تعالى.

يقول البغوي: « وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن. على أنّ كثيراً من المفسرين لم يشتغلوا بها. وإنما لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة النص والظاهر والمجمل والمبين والعام والخاص والمطلق والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول»⁽¹⁾.

5- العلم بالعتيدة الإسلامية

وذلك لأن ثلث القرآن نزل في التوحيد، فيجب على المفسر حين يفسر آيات التوحيد والعتيدة يكون على علم بالعتيدة الصحيحة في أبواب العتيدة، كالنبوة، وأفعال العباد، والأسماء والصفات وغيرها من أصول العتائد، التي زلت فيها الكثير من الفرق وطغى ذلك في تفاسيرهم كالمعتزلة، والباطنية، والشيعية بمختلف طوائفها.

يقول مناع القطان مبينا أهمية التسليح بالعتيدة الصحيحة للمفسر: « فإن العتيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيراً ما تحمل ذويتها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار، فإذا صنف أحدهم كتاباً في التفسير أول الآيات التي تخالف عتيدته، وحملها باطل مذهبه، ليصد الناس عن اتباع السلف، ولزوم طريق الهدى»⁽²⁾.

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 18/1.

(2) مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة: 1421هـ-2000م، ص: 340.

6- العلم بالقراءات القرآنية

مما لا شك فيه أن للقراءات القرآنية أثر ظاهر في العملية التفسيرية لأنها توسع المعاني القرآنية مما يجعل العلم بها من شروط المفسر على الأقل يكون عالماً باختلاف القراء فيما يظهر أثره في التفسير، وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا تضاد كما يقول ابن الجزري رحمه الله: «أما حقيقة اختلاف هذه الأحرف السبعة المنصوص عليها من النبي صل الله عليه وسلم وفائدته، فإن الاختلاف المشار اليه في ذلك الاختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]»⁽¹⁾.

ومن نماذج أثر القراءات في التفسير نجد قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

قال ابن رجب: «فيه قراءتان: (يَطْهُرْنَ) بسكُونِ الطاءِ وضَمِّ الهاءِ، و(يَطْهَرْنَ) بفتح الطاءِ وتشديدِهَا وتشديدِ الهاءِ، وقد قيل: إنَّ القراءة الأولى أريدَ بها انقطاعَ الدَّمِ، والقراءةُ الثانيةُ أريدَ بها التَّطَهُّرَ بالماءِ، ومن فسر الأولى بانقطاعِ الدَّمِ ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ وغيرُهُما، وابنُ جريرٍ وغيرُهُ: يشيرونَ إلى حكايةِ الإجماعِ على ذلك، ومنعَ غيرهُ الإجماعِ، وقال: كل من القراءتينِ تحتملُ أن يُرادَ بها الاغتسالُ بالماءِ، وأن يُرادَ بها انقطاعَ الدَّمِ، وزوالُ أذاهُ»⁽²⁾.

(1) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1435هـ، 2/144.

(2) ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2001م، 1/168.

و قال البغوي: «قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، يعني: يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخففاً، ومعناه: حتى يطهرن من الحيض ولينقطع دمهن، فإذا تطهرن، يعني: اغتسلن»⁽¹⁾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: 43].

اختلف القراء رحمهم الله في قراءة "لامستم"، فقرأ حمزة والكسائي "المستم" هاهنا وفي المائة، وقرأ الباقون "لامستم" النساء واختلفوا في معنى اللمس والملازمة، فقال قوم: هو الجماعة، وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وكفي باللمس عن الجماع لأن الجماع لا يحصل إلا باللمس، وقال قوم: هما التقاء البشريتين سواء كان بجماع أو غير جماع، وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي⁽²⁾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: 259]. «كيف ننشرها أي: نحييها، يقال: أنشر الله الميت، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾⁽³⁾ [عبس: 22]، وقرأ حمزة والكسائي ننشرها بالزاي، من الإنشاز وهو الرفع؛ يقال: أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع، ويقال لما ارتفع من الأرض نشز، ومعنى الآية: كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض»⁽³⁾.

فلاحظ ممّا سبق، أن العلم بالقراءات يساعد على توسيع المعاني التي يحتملها اللفظ وهذا لا يحصل إلا لمن له حظ من علم القراءات؛ وعليه فإنّ اشتراط العلم بالقراءات للمفسّر أمر لا بدّ منه.

(1) تفسير البغوي، 1/289.

(2) المصدر نفسه، 1/631.

(3) الواحدي، التفسير الوسيط، 1/347.

7- العلم بأسباب النزول

يجب على من يتصدى لتفسير القرآن الكريم الإحاطة بأسباب النزول وذلك لما لها من علاقة وطيدة بالقرآن الكريم، فهي تعين المفسر على فهم الآية التي لها سبب نزول لذلك كان السلف يؤكدون على ضرورة العلم بأسباب النزول للمشاعغل بالتفسير، ونجد المفسرين من الصحابة على دراية واسعة بأسباب النزول، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه يتحدث عن معرفته بأسباب النزول: « والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله، إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل، لركبت إليه»⁽¹⁾.

وقال علي رضي الله عنه: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما أنزلت، وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولساناً سؤلاً»⁽²⁾، وما ينبغي معرفته أنّ القدر الواجب على المفسر معرفته من أسباب النزول؛ معرفة تلك القصص التي تتضمن الآيات الكريمة التعريض بها فإن فهم إيماء هذه الآيات وإشارتها لا يتيسر إلا بمعرفة تلك القصص، و معرفة تلك القصة التي تفيد التخصيص للعام وأمثال ذلك مما يصرف فيه الكلام عن ظاهره المتبادر منه إذ أن فهم مقاصد الآيات ومراميتها لا يتأتى بدون ذلك، أكثر قصص الأنبياء السابقين من روايات أهل الكتاب⁽³⁾.

ويظهر أثر معرفة سبب النزول في فهم الكثير من الآيات التي لو فسرها المفسر بمنأى عن سبب نزولها لما أصاب المراد من الآية ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189]

(1) تفسير ابن رجب، 63/1.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 233/4.

(3) ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الثانية: 1407

هـ - 1986 م، ص: 97.

لو فسّر المفسر هذه الآية بعيدا عن سبب نزولها لما أصاب المراد منها ولو أتى بأصول التفسير الأخرى ولكان ظاهر الآية أن إتيان البيوت من الخلف ليس من البر، وأن البر هو إتيانها من أبوابها؛ وهذا التفسير موافق لظاهر الآية وللغة العربية ولكن هل معنى ذلك أن هذا هو المعنى الصحيح للآية فيكون إتيان البيوت من أبوابها ليس من البر؟

إن سبب نزول هذه الآية كما جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فحجوا ولم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها؛ فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكأنه غير بذلك فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:189]»⁽¹⁾.

فيظهر من سبب النزول أن الآية تبطل اعتقادا مخصوصا كان في بيئة ووقت نزول الآية، وتنتهي عن عمل من أعمال الجاهلية كما قال النيسابوري: «والحاصل أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الحباء؛ فقليل لهم: ليس البر بتحرجكم من دخول الباب تشديدا لأمر الإحرام وَلَكِنَّ الْبِرَّ بِرِّ مَنْ اتَّقَىٰ وَلَكِنْ ذَا البرِّ مِنْ اتَّقَىٰ مخالفة الله. وقيل: إن الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة؛ كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة، ولم يجلسوا تحت سقف البيت، ولم يستظلوا الوبر، ولم يأكلوا السمن والأقط؛ وعن الحسن والأصم: كان الرجل في الجاهلية إذا هم فتعسر عليه مطلوبه لم يدخل بيته من بابه بل يأتيه من خلفه، ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لأنهم كانوا يفعلونه تطيرا»⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أبواب العمرة، باب: باب قول الله تعالى: {وأتوا البيوت من أبوابها} [البقرة:

189]، رقم: 1803، 8/3، ومسلم في صحيحه، كتاب: التفسير، حديث رقم: 3026، 4/2319.

(2) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار

الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1416 هـ، 1/526.

ثانياً: الشروط الأخلاقية

كما شدّد العلماء على من يريد التصدي لتفسير القرآن الكريم من الجانب العلمي أو الشروط العلمية التي يقصد بها بضاعة المفسر من العلوم الخادمة للتفسير شددوا كذلك في ما يجب ان يكون عليه المفسر من الجانب الأخلاقي، وقد نقل السيوطي عن أبي طالب الطبري بعض الصفات الأخلاقية للمفسر فقال: « اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولاً ولزوم سنة الدين فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤمن من الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ولأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويغر الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة وإن كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية ... ويتجنب المحدثات... ومن شرطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:69]؛ وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى عرض يصدّه عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله»⁽¹⁾.

ويمكننا من خلال هذا النص استخراج بعض الصفات الواجب توفرها في المفسر والتي إذا اتصف بها فإنّ يكون قريباً من الصواب إلى حد بعيد، خاصة إذا تجرّد من الأهواء وم أهم هذه الصفات:

1- صحة المعتقد

وهذا الشرط هو الفيصل بين التفسير الصحيح المبني على أسس متينة وفق عقيدة صحيحة، ذلك أن جميع الطوائف تفسر القرآن الكريم وفق أهوائها ونجد أثر عقيدة المفسر في العديد من التفاسير مثل تفاسير المعتزلة والشيعة وغلاة المتصوفة والقرآنيين والعقلانيين وغيرهم لذا فإن هذا الشرط مهم في حفظ علم التفسير وصيانتها من أهواء المفسر وهذا الشرط ليس إلزامياً إذ لا يتصور أن يلتزم به المفسرون لذا نجد تفاسير أهل الأهواء بكثرة، وإنما يمكن بهذا الشرط حماية المتعلمين حتى لا يأخذوا بتفاسير أهل الأهواء كما يمكن لولي الأمر منع التفاسير المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة، ومنع المتجرئين على التفسير من أهل الأهواء.

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 200/4-201

وإذا جئنا إلى هذا الشرط فإننا جده مفقودا عند الكثير من الفرق والطوائف منذ نشأة الفرق وظهور التفسير فيها إلى هذا العصر الذي نجده يعجّ بأهل الأهواء أصحاب العقائد المنحرفة الذين لهم كلام في التفسير، من أمثال أركون، والكيالي، ومحمد شحرور، فقد أضافوا إلى جهلهم بأصول التفسير، انحرافهم العقدي.

2- ملازمة القرآن الكريم

ينبغي لمن يريد خوض غمار تفسير القرآن الكريم أن يكون ملازما للقرآن الكريم تلاوة والتدبرا وعملا له ورد منه، وذلك يفتق عقله لاستخراج مخبوءات وأسرار القرآن فلا يعقل أن يخوض غمار تفسير القرآن من لا يحسن تلاوته أو لا يحفظه أو من لا يتلوه آناء الليل وأطراف النهار.

3- التأداب بآداب حملة القرآن

يجب أن يظهر على المفسر سمت العلماء القرآنيين، لأنه يخوض غمار علم من أشرف العلوم، متعلق بأعظم كتاب، ومن آدابه أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل وأن يرفع نفسه عن كل ما نهي القرآن عنه إجلالا للقرآن وأن يكون مصونا عن دنئ الاكتساب شريف النفس مرتفعا على الجبابة والجفأة من أهل الدنيا متواضعا للصالحين وأهل الخير والمساكين وأن يكون متخشعا ذا سكينه ووقار⁽¹⁾، وهذا هو شأن العلماء من المفسرين والقراء وغيرهم فما شرف من شرف منهم إلا بالتزامه بهدي القرآن ورحم الله الشاطبي إذ يذكر لنا بعض صفات العلماء فيقول⁽²⁾:

جزي الله بالخيرات عنا أئمة ** لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا
فمنهم بدور سبعة قد توسطت ** سماء العلى والعدل زهرا وكملا
لها شهب عنها استنارت فنورت ** سواد الدجى حتى تفرق وأنجلا

(1) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1414 هـ - 1994 م، ص: 54.

(2) الشاطبي، القاسم بن فيره بن أحمد الرعييني، أبو محمد، (متن الشاطبية)، حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الهدى ودار الوثائقي للدراسات القرآنية، الطبعة الرابعة، 1426 هـ - 2005 م، ص: 03.

وسوف تراهم واحدا بعد واحد** مع اثنين من أصحابه متمثلا
تخبرهم نقادهم كل بارع... وليس على قرآنه متأكلا

4- الإلتزام بسنة النبي ﷺ

وذلك لما هو مقدم عليه من عمل جليل وهو خدمة كتاب الله تعالى، فينبغي له الإهتمام بهدي النبي
ﷺ في أقواله وأفعاله، وقد توسع العلماء في ذكر صفات المفسر إلا أنها تعود إلى أصل جامع وهو التمسك
بالكتاب والسنة فأغنى عن ذكرها هنا.

خلاصة الفصل

من خلال ما سبق نخلص إلى أنّ العلماء اختلفوا في تعريف التأويل بين السلف وبين جمهور الأصوليين المتأخرين، وأنّ العلماء أجمعوا على أنّ صرف النصّ عن ظاهره ليس مرفوضاً إطلاقاً إذا كان بدليل، المهمّ ألا يرافق ذلك هوى في نفس المؤلّ انتصاراً لعقيدته أو طائفته، كما أنّ المفسّر وهو يتعامل مع النصّ القرآني يجب عليه أنّ يتحلّى بصفات وآداب المفسّر التي تم ذكر أهمها فيما سبق في طيات هذا الفصل التمهيدي.

الفصل الأول:

التعريف بالمؤلف وتفسيره

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المبحث الثاني: حياة العياشي وسيرته العلمية.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير العياشي وأثره في تفاسير الشيعة.

تمهيد

بما أنّ هذا البحث متعلق بأبي النضر العياشي فإننا نخصص له تعريفا يتناول أهم ما يرتبط بشخصيته، كالبينة التي نشأ فيها، ومرحلته التعليمية، ونشاطه في التعليم، والوقوف مع تفسيره من خلال وصفه ومنهج المؤلف فيه، من أجل اعطاء صورة واضحة حول هذه الشخصية، لما له من أهمية في بناء خطة هذا البحث لأنّ ما بعده من مباحث متعلّق به.

المبحث الأول: عصر المؤلف

الأثر الذي تحدثه البيئة على نشأة المؤلف وتوجهه؛ يدفعنا إلى الحديث عن الأوضاع السياسية والحالة الدينية التي صاحبت نشأته.

المطلب الأول: لمحة تاريخية حول مدينة سمرقند

مدينة سمرقند¹ هي جزء كبير من بلاد ما وراء النهر، وقد تحدث الرحالة والمؤرخون عن جمال هذه المدينة، ويكفي ما جاء في وصفها عن قتيبة بن مسلم « فَإِنْ قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمٍ لما أَشْرَفَ مِنَ الْجَبَلِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ شَبِهُوا فَلَمْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ فَقَالَ قُتَيْبَةُ كَأَنَّهُ السَّمَاءُ فِي الْخَضِرَةِ وَكَأَنَّ قُصُورَهُ النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ وَكَأَنَّ أَنْهَارَهُ الْمَجْرَى فَاسْتَحْسَنُوا هَذَا التَّشْبِيهِ وَتَعَجَّبُوا مِنْ إِصَابَتِهِ»⁽²⁾.

ويقول الإصطخري في ذكر حسناتها وما حباها الله به من خيرات: « وَأَمَّا سِغْدُ سَمَرْقَنْدٍ فَإِنَّهَا أَنْزَهَ الْأَمَاكِنِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا لِأَنَّهَا مِنْ حَدِّ بَخَارَى عَلَى وادي السَّغْدِ يَمِينًا وَشِمَالًا تَتَّصِلُ إِلَى حَدِّ الْبِتِّمِ لَا تَنْقَطِعُ وَمَقْدَارُهَا فِي الْمَسَافَةِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مَشْتَبِكَةُ الْخَضِرَةِ وَالْبَسَاتِينَ فَهِيَ مِيَادِينٌ وَبَسَاتِينَ وَرِياضٌ مَشْتَبِكَةُ قَدِ حَقَّتْ بِالْأَنْهَارِ الدَائِمِ جَرِيهَا وَالْحِيَاضِ فِي صَدُورِ رِيَاضِهَا وَمِيَادِينِهَا فَخَضِرَةُ الْأَشْجَارِ وَالزَّرُوعِ مُمْتَدَّةٌ عَلَى جَانِبِي وَادِيهَا وَمِنْ وَرَاءِ الْخَضِرَةِ مِنْ جَانِبِهَا مَزَارِعٌ تَحْرَسُهَا وَمِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْمَزَارِعِ مِرَاعِي سَوَائِمِهَا وَالْقَلْعَةُ مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ بِهَا تَبَصُّ فِي أَضْعَافٍ خَضِرَتْهَا كَأَنَّهَا ثُوبٌ دِيْبَاجٍ أَحْضَرَ قَدْ سَيَّرَتْ»⁽³⁾.

وهي بلاد العلم والعلماء الذين لهم أثر كبير على العالم الإسلامي كما يقول البشاري: "هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلًا وعلماء ومعدن الخير ومستقر العلم وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم، ملكه أجل الملوك وجنده خير الجنود قدم أولو بأس شديد ورأس سديد، واسم كبير ومال مديد، وخيل ورجل وفتح ونصر، وقوم

(1) هي منطقة ضمن بلاد أوزبكستان حاليا.

(2) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1384هـ - 1965م، ص: 527.

(3) الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 294.

ملتفة وأنهاراً جارية ونعماً ظاهرة ونواحي واسعة وديناً مستقيماً وعدلاً مقيماً في دولة أبداً منصوره مؤيده، ومملكة جعلها الله عليهم مؤبده. فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك، ويملك في غيره من كان فيه مملوك»⁽¹⁾.

فكانت بلاد ما وراء النهر بمختلف أقاليمها وتعدد تقاسيمها مركز إشعاع علمي بلغ مداه العالم الإسلامي أجمع، ففيها بزى نجم محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، وأبو عيسى الترمذي، ومحمد بن نصر المروزي، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأحمد بن شعيب النسائي، وابن ماجه، وصالح بن محمد بن عمرو بن حبيب المعروف بجزرة، ومحمد بن سلام بن فرج السلمي البيكندي، وأبو حفص أحمد بن حفص بن الزبرقان بن عبد الله بن أبحر العجلي البخاري الحنفي، المعروف باسم أبي حفص الكبير شيخ ما وراء النهر، وغيرهم كثير.

ومن علماء الشيعة المبرزين نجد جعفر بن أحمد بن أيوب السمرقندي، وجعفر بن أبي جعفر، جعفر بن معروف، أبو الفضل السمرقندي، ومحمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بالكشي، وحمدويه بن نصير.

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية لعصر المؤلف في العالم الإسلامي عموماً

عاش محمد بن مسعود العياشي خلال فترة ما يسمى عند الشيعة بالغيبة الصغرى⁽²⁾، وهي الفترة الممتدة بين (260هـ - 329هـ)، والتي عاصر فيها عدداً من الخلفاء العباسيين منهم:

(1) البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ - 2003م، ص: 209.

(2) هو مصطلح يشير -حسب الشيعة- إلى الوقت الممتد من سنة 260 هـ، أي عند شهادة الإمام الحسن العسكري إلى وفاة السفير الرابع سنة 329 هـ، وفيه غاب الإمام المهدي عن الأنظار، لكنه كان يتصل بشيعته عن طريق وكلاء خاصين يسمون بالسفراء، وعددهم أربعة، وهم عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد، والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمرقي، وتسمى بالصغرى في مقابل الغيبة الكبرى التي بدأت سنة 329 هـ وهي مستمرة إلى الآن ولا يعلم أحد متى الظهور إلا الله. أنظر: (محمد الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، دار المعارف للطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م، 71/1).

المهتدي بالله محمد بن الواثق بن المعتصم (255-256هـ)، المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم (256-279هـ)، المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل (279-289هـ)، المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد (289-295هـ)، المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن محمد (295-319هـ)، كما أنّ هذا العصر ضمن الفترة العباسية الثانية الممتدة بين (446 - 232 هـ)

وهذه الفترة عرفت تدهورا وضعفا للدولة العباسية ويتجلى ذلك من خلال عدة أحداث منها:

- ازدياد نفوذ الأتراك:

حيث كانوا هم الذين يحكمون الجيش وصاروا متحكمين في شؤون الحكم يولّون ويعزلون الحكّام، وقد كانوا أهل بأس وشدة لتمرسهم في الغزو والقتال وقد وصفهم الجاحظ بقوله: « الترك أصحاب عمد وسكان فيافٍ وأرباب مواشٍ، وهم أعراب العجم كما أن هذياناً أكراد العرب. فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات، والطب والفلاحة والهندسة؛ ولا غرسٌ ولا بيانٌ، ولا شقٌّ أنهار، ولا جباية غلات، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب الغنائم وتدويخ البلدان، وكانت همهم إلى ذلك مصروفةً وكانت لهذه المعاني والأسباب مسخرةً ومقصورةً عليها، وموصولةً بها، أحكموا ذلك الأمر بأسره، وأتوا على آخره، وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم، ولذتهم وفخرهم، وحديثهم وسمهم»⁽¹⁾.

وقد بلغ بهم التحكم في شؤون الملك أن خلعوا المستعين⁽²⁾، و كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه، وإن شاءوا قتلوه⁽³⁾.

كما نجد أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي يؤكد نفوذ الأتراك وأثرهم في إضعاف الدولة إبان حكم المستعين بالله إذ يقول: "وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين اتفق بغا الصغير ووصيف التركي وقتلا باغر

(1) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1384 هـ - 1964 م، 70/1.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت الطبعة الثانية: 1387 هـ، 345/9-346.

(3) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م، ص: 239.

التركي فتشغبت الأتراك وحصروا المستعين وبغا ووصيفا في القصر بسامرا وهرب المستعين وبغا ووصيف في حراقة إلى بغداد واستقروا بها واجتمع أهل الدولة بسامرا على المعتز بن المتوكل فبايعوه وجهز أخاه طلحة بن المتوكل وجهزه في خمسين ألفا من الأتراك وسيرهم إلى بغداد، فحرب بينهم حرب كبيرة واتفق كبراء الدولة ببغداد على خلع المستعين، وألزموه ذلك، فخلع نفسه في السنة المذكورة، ثم نقل من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل بعياله وأهله، وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ووجه به إلى واسط مع أحمد بن طولون⁽¹⁾.

- تدخل النساء في شؤون الحكم

وقد عرفت هذه الفترة تدخل النساء في شؤون الحكم "وكثر أمر حرم الخليفة ونهيم لركاكنه، وآل الأمر إلى أن أمرت السيدة أم المقتدر على القهرمان أن تجلس بئربتها للمظالم، وتنظر في رقاع الناس كل جمعة. فكانت تجلس وتُحضر الفضاة والأعيان، وتبرز التواقيع وعليها خطها"⁽²⁾.

- فشو المناكر عند بعض الخلفاء وركونهم إلى اللهو والنساء:

فهذا المعتمد الذي كان خليفة في الظاهر وكان أخوه الموفق هو المتحكم الفعلي في مفاصل الدولة بسبب ركونه إلى اللهو، قال ابن الطقطقي: "كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع، كان هو وأخوه الموفق كالشريكين في الخلافة، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بإمرة المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهي وقيادة العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء، وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته"⁽³⁾.

وكذلك كان المتوكل، كما قال أبو علي التنوخي: "كان جيد العقل، صحيح الرأي، ولكنه كان مؤثراً للشهوات، لقد سمعت علي بن عيسى الوزير يقول: ما هو إلا أن يترك هذا الرجل -يعني المقتدر- النبيذ خمسة أيام، فكان ربما يكون في أصالة الرأي كالمأمون والمعتضد. قلت: كان منهوماً باللعب والجواري، لا يلتفت إلى أعباء الأمور، فدخل عليه الداخل، ووهن دسته"⁽⁴⁾.

(1) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، 1985م، 242/1.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 26/23.

(3) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص: 245.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 44/15.

أما عن السرف المالي؛ فإن فشوّ التبذير معروف في سيرتهم، قال الذهبي: "وكان النساء قد غلبن عليّه. وكان سخياً مبدّراً يصرف في السنة للحجّ أكثر من ثلاثمائة ألف دينار، وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصيان غير الصّقالبة والروم والسُّود، وأخرج جميع جواهر الخلافة ونفائسها على النساء ومحقه. وأعطى بعض حظاياه الدرّة اليتيمة وكان وزنها ثلاثة، وأخذت زيدان القهرمانه سبحة جوهر لم يُر مثلها، هذا مع ما ضيّع من الذهب والمسك والأشياء المفتخرة، قيل إنّه فرق ستين حبا من الصيني ملاء بالغالية التي غرم عليها ما لا يحصى، وقال الصّولي: "كان المقتدر يفرّق يوم عرفة من الإبل والبقر أربعين ألف رأس، ومن الغنم خمسين ألفاً، ويقال: إنّه أتلّف من المال ثمانين ألف ألف دينار، وكان في داره عشرة آلاف خادم من الصّقالبة، وأتلّف نفسه بيده وبسوء تدبيره، ستين حبا من الصيني مملوءة غالية، قال الصّولي: كان المقتدر يفرق يوم عرفة من الضحايا تسعين ألف رأس، ويقال: إنّه أتلّف من المال ثمانين ألف ألف دينار عشر نفسه بيده" (1).

- ظهور الفتن الداخلية وغياب الأمن بسبب الثورات:

فقد "غلب مؤنس على الموصل فتسلل إليه الجُند والفرسان من بغداد، وأقام بالموصل شهراً، ثمّ تهيأ المقتدر وأخرج المخيم إلى الشّمسية، وجعل يزكاً على سامراء ألف فارس مع أبي العلاء سعيد بن حمدان. وأقبل مؤنس في جمع كثير، فلما قارب عكبرا اجتهد المقتدر بهارون بن غريب أن يجارب مؤنسا، فامتنع واحتج بأن أصحابه مع مؤنس في الباطن ولا يثق بهم" (2).

فهذا النصّ يحدّثنا عن عينة من الإضطرابات والفتن التي كانت سائدة خلال تلك الفترة وذلك بما لا يدع مجالاً للشك في حالة الضعف والخور الذي مرت به الخلافة في هذا العهد.

كما عرفت الفترة العديد من الإيجابيات من الناحية الأمنية والسياسية، ومن جهة شخصيات الخلفاء: "فقد كان المعتضد شهماً، جلدًا، موصوفاً بالرجولة، قد لقي الحروب، وعرف فضله، فقام بالأمر أحسن قيام،

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 54/15-55.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، 395/23.

وهابه الناس، ورهبوه أحسن رهبة، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيئته، وكانت أيامه طيبة، كثيرة الأمن والرخاء، وكان قد أسقط المكوس، ونشر العدل، ورفع الظلم عن الرعية، وكان يسمى السفاح الثاني⁽¹⁾.

• استقلال بعض الدويلات عن الخلافة العباسية .

نتيجة للأوضاع السياسية والأمنية السائدة خلال هذه الفترة التي ميّتها طابع الضعف في أغلب مراحلها تجرأ خلالها العديد من القادة على الإستقلال عن الخلافة العباسية في العديد من الأمصار ومن أهم الدول المستقلة⁽²⁾:

- 2 - الدولة اليعفرية، بصنعاء(225 - 393 هـ/839 - 1002 م)
- 3 - الدولة الزيادية، بزبيد (203 - 412 هـ/818 - 1021 م)
- 4 - الدولة الزيدية ببطبرستان (250 - 316 هـ/864 - 928 م)
- 5 - الدولة الطولونية بمصر والشام (254 - 292 هـ/868 - 905 م)
- 6 - الدولة الصفارية بإيران وهرات وما وراء النهر(254 - 298 هـ/868 - 910 م)
- 7 - الدولة السامانية ببلاد ما وراء النهر وغيرها(261 - 390 هـ/874 - 1000 م)
- 8 - الدولة الزيدية بصعدة وصنعاء (280 - 1382 هـ/893 - 1962 م)
- 9 - الدولة العبيدية (الفاطمية) بمصر (297 هـ - 567 هـ/909 - 1171 م)

(1) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ، ، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م، ص:268.

(2) أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى: 1417 هـ - 1996 م، ص:218.

المطلب الثالث: الحالة الدينية والفكرية لعصر المؤلف

أولاً: الحالة العلمية والفكرية

رغم أنّ العصر العباسي الثاني كان من الناحية السياسية عصر انحطاط وفتن كما سبق معنا في المطلب الثاني، إلا أنه من الناحية العلمية يعدّ عصر ازدهار العلوم، ففيه نشطت حركة الترجمة التي أسهمت في الاطلاع على ثقافات الفرس واليونان، وعرفت بروز الكثير من العلماء، وظهرت الكثير من التآليف في التفسير والحديث ومن أبرزها:

تفسير غريب القرآن للسجستاني، تفسير النسائي، تفسير ابن أبي حاتم، تفسير ابن جرير الطبري، وفي علم الحديث، سنن النسائي، صحيح ابن خزيمة، معاجم الطبراني، سنن الدار قطني، صحيح ابن حبان.

وهو عصر الجهادية من علماء أهل السنة، فهو عصر؛ ابن جرير الطبري، أبو بكر الخلال، أبو بكر بن خزيمة، أبو بكر بن أبي داود السجستاني، أبو جعفر الطحاوي، أبو محمد بن أبي حاتم، أبو محمد البربخاري، أبو بكر الآجري، أبو بكر الإسماعيلي، أبو الحسن الدار قطني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، أبو عبد الله بن بطة، أبو عبد الله بن مندة، وغيرهم من العلماء رحمهم الله جميعاً.

كما عرف هذا العصر بروز الكثير من أعلام الشيعة، ومنهم: أحمد بن محمد بن خالد البرقي⁽¹⁾، أحمد بن يحيى الأشعري القمي، أحمد بن محمد أبي نصر البرزطي، علي بن الحسين بن بابويه⁽²⁾، محمد بن الحسن بن الوليد القمي وغيرهم.

(1) هو: أبو جعفر ابن أبي عبد الله البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، باحث إمامي، من أهل بركة (من قرى قم) أصله من الكوفة. له نحو مئة كتاب، منها "المحاسن"، و"البلدان" و"اختلاف الحديث"؛ وكان مطعوناً في روايته للحديث عند الإمامية قالوا: يأخذ عن الضعفاء. ينظر (الأعلام، 1/205).

(2) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، يعرف بالصدوق الثاني، ولد سنة: 306، وتوفي سنة: 381هـ، له مصنفات كثيرة، منها: الغيبة، والشرايع، ينظر: (رجال النجاشي، ص: 389)، (الأعلام، 6/274).

أما مؤلفات الشيعة في هذا العصر فأشهرها: كتاب الكافي للكليني، الذي يعد عندهم ثقة الإسلام، وكذا تفسير القمي⁽¹⁾، وتفسير الحسن العسكري، وما يميّز هذا العصر أنّه يمثل بحق، الغلو والتطرف في التعامل مع آيات الكتاب العزيز عند الشيعة الاثني عشرية⁽²⁾.

ثانياً: الحالة الدينية لعصر المؤلف

يعدّ العصر العباسي الثاني عصر انتشار الكثير من الفرق إلى جانب أهل السنة والجماعة، ومرّد ذلك إلى ضعف الخلافة، ومن أشهر فرق هذا العصر والذين كان لهم أثر في إضعاف الدولة من الناحية السياسية والأمنية أو من الناحية الدينية والأخلاقية:

- **الخوارج**: يعرف الإمام الشهرستاني الخوارج بقوله: " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"⁽³⁾.

أما خروجهم كفرقة واصطلاح العلماء على تلقيهم بالخوارج فقد كان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقصد به من خرجوا عليه خاصة، يقول الأشعري: "والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سمو محكمة إنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله، والذي سمو له حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم، والذي له سمو شراة قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة"⁽⁴⁾.

(1) علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، أبو الحسن، أحد ثقات الإمامية الاثني عشرية ومحدثهم ومفسريهم، له كتب منها: "التفسير" و هو من أشهر كتب التفسير عند الشيعة، "الناسخ والمنسوخ"، "قرب الإسناد" من علماء القرن الثالث الهجري، ينظر: (معجم رجال الحديث، 12/ 212)

(2) فايز بن علي العتيبي، تفسير القمي دراسة عقديّة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1432هـ، ص: 66.
(3) الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1387هـ - 1968م، 1/ 114.

(4) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م، 1/ 112.

ويرجع ظهور أصل فرقة الخوارج إلى عهد النبي ﷺ كما دلّ عليه حديث النبي ﷺ فعن أبي سعيد قال: (بينا النبي ﷺ يُتَسَمَّ جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل) قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه قال: (دعه فإن له أصحابا يحقر أحدهم صلواته مع صلواته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه أو قال ثدييه مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس) قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ قال فنزلت فيه ومنهم من يلزمك في الصدقات) (1).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد كان أولهم خرج على عهد رسول الله ﷺ، فلما رأى قسمة النبي ﷺ قال: يا محمد اعدل فإنك لم تعدل، فقال له النبي ﷺ: (لقد خبت وخسرت إن لم أعدل) فقال له بعض أصحابه: دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق، فقال: (إنه يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدهم صلواته مع صلواتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم) (2).

وقد كان للخوارج نشاط خلال عصر العياشي، وكان لهم تأثير كبير على إضعاف الخلافة العباسية، واستقلال العديد من الدول عن الخلافة، فقد قامت للخوارج العديد من الدول في المشرق والمغرب وبلاد ما

(1) أخرجه البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه، رقم: 6933، 17/ 9، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: 1064، 2/ 741.

(2) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م، 350/3.

وراء النهر كالخوارج الصفيرية في مدينة هراة، كذلك في بني مدرار بسجلماسة بالمغرب والتي استمرت من سنة: 140هـ حتى سقوطها على يد حكام وقادة الدولة العبيدية الفاطمية سنة: 296 هـ⁽¹⁾.

-القدرية: وهذه الفرقة تزعم أن الأمر أنف، وتنفي بذلك القدر الذي هو ركن من أركان الإيمان، ويرون أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب مقادير الخلق، بل إنه تعالى لا يعلم ما وقع قبل وقوعه، وقالوا بأن العباد يخلقون أفعالهم⁽²⁾، ظهرت في زمن الصحابة المتأخرين، فقد جاء في صحيح مسلم، عن يحيى بن يعمر قال: " كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الجميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوافق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأخلى المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: يا أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويتفكرون العلم وإنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"⁽³⁾؛ وكانت أفكار هذه الفرقة منتشرة في عصر العياشي.

-الشيعة (الرافضة): كان للروافض نشاط وتمكين خلال العصر العباسي الثاني عموماً وخلال عصر المؤلف على وجه الخصوص، فقد أسسوا دولا شيعية في أماكن عديدة. وتحكم العبيديون في رقاب أهل المغرب مدة طويلة، إذ تأسست دولتهم بالمغرب سنة: 299 هـ، وتولى الشيعة الحمدانيون أعمالاً لبعض الخلفاء، وتمكنوا من السيطرة على الكثير من البلدان، وأذاقوا أهلها الويلات، وأظهروا فساداً عظيماً، يقول ابن كثير وهو

(1) ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2013م، 1/186.

(2) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة: 1415 هـ - 1994 م، 4/385، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستنفاض الفزري، القدر، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997م، ص: 147.

(3) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله، رقم: 8، 1/36.

يتحدث عن فساد الروافض وإفسادهم: " وكُلُّ هذا في ذمّة ملوك الأرض أهل الرفض، الذين استحوذوا على البلاد، وأظهروا فيها الفساد، قَبَحَهُمُ اللهُ" (1).

وكان للشيعة دور في نشوء البدع والخرافات، والفجور، وأضعفوا الدولة كثيرا، وقتلوا الكثير من المسلمين، يقول ابن كثير: " وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء، وأكثرهم مالا، وكانوا من أعنى الخلفاء، وأجبرهم، وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأحبّتهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع، والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية، والدُرزيّة، والحشيشيّة، وتغلّب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس، ونابلس، وعجلون، والغور، وبلاد غزّة، وعسقلان، وكرك الشوبك، وطبرية، وبانياس، وصور، وعكا، وصيدا، وبيروت، وصفد، وطرابلس، وأنطاكية، وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد، والرّها، ورأس العين، وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقا، وأمّا، لا يُحْصِيهِمُ إِلَّا اللهُ، وسَبَوْا ذراريّ المسلمين من النساء، والولدان، ممّا لا يُحَدُّ، ولا يوصف، وكلّ هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها، وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يُحَدُّ، ولا يوصف، وكادوا أن يتغلّبوا على دمشق، ولكن الله سلّم" (2).

لذا عاش العياشي، وسط هذه الظروف وعاصر هذه الأحداث التي ألمت بالعالم الإسلامي ولا يرتاب مرتاب في تأثير هذه الأحداث على شخصية العياشي، خاصة تمكّن الشيعة في العديد من الأقاليم خاصة في بلاد ما وراء النهر.

(1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1986 م ، 267/11.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 267/12.

المبحث الثاني: اسمه ونسبه ونشأته ووفاته

بعد أن تناولتُ في المبحث السابق العصر الذي نشأ فيه العياشي، وبينتُ أن عصره كان يموج بالتحويلات السياسية والثقافية، مما يترك - بلا شك - أثراً في شخصيته، خاصة تأثره بأفكار الفرقة التي كان ينتمي إليها، فأبني سأخصص هذا المبحث للتعريف بالعياشي، وذلك بالتطرق إلى سيرته الذاتية، وأهم المحطات في حياته، فذلك من شأنه أن يقرينا أكثر من معرفة المفسر محل الدراسة، وسأبين ذلك كله من خلال ثلاثة مطالب وفق الترتيب الآتي:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته

هو أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي، السمرقندي المشهور بالعياشي، أحد فقهاء الشيعة الإمامية، كان واحد دهره في غزارة العلم، أما بالنسبة لمولده فإن كتب التراجم والطبقات لم تذكر تاريخ ولادته ولا وفاته، إلا أن بعض المتأخرين لهم اجتهادات يذكرونها في تاريخ وفاته بنحو: 320 هـ، ومن خلال الاطلاع على العديد من القرائن التاريخية، تبين أنه من طبقة الكليبي المتوفى سنة: 328 هـ. كما روى عن علي بن علي الخزاعي المتوفى سنة: 283 هـ⁽¹⁾.

ولا تمدنا كتب التراجم - بما في ذلك تلك التي لدى الشيعة - بأي تفصيل حول حياة العياشي، ولا ندري سبب ذلك، رغم أنه يمثل أحد علماء الشيعة ومفسريها المشهورين!!

المطلب الثاني: سيرته العلمية

كل من ترجم للعياشي من مؤلفي الشيعة يذكر له سيرة حافلة في العطاء العلمي، كما يذكرون أن العياشي قد نشأ على مذهب أهل السنة ثم تشيع⁽²⁾، واشتغل في حداثة سنه بتحصيل العلم، فلم يلبث

(1) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1417 هـ - 1997 م، ص: 240 و أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القويومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الخامسة، 1430 هـ، ص: 440.

(2) هذه الدعوى ذكرها النجاشي وتناقلها المترجمون للعياشي من الشيعة ولا يمكن الجزم بصحتها، اللهم إن وصل إلينا ما ألفه في أبي بكر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم فيمكن الجزم بانتقاله من مذهب السنة إلى مذهب الشيعة الاثني عشرية.

طويلاً حتى برع في شتى العلوم وتضلع في مختلف العلوم؛ كالفقه والحديث والطب والنجوم، يذكر أهل السير أنه أنفق على العلم والحديث تركة أبيه، وكان بيته مركزاً للعلم وداره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو معلق مملوءة من الناس وفي ذلك يقول النجاشي: "محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي: كان ثقة، عينا. وروى، عن الضعفاء كثيراً، وصحب العياشي وأخذ عنه، وتخرج عليه وفي داره التي كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم"⁽¹⁾.

رحلاته في طلب العلم:

من خلال عبارات العياشي نستشف أنه كان ممن رحل في طلب العلم وتحصيله، وقد ذكرت كتب التراجم ما يدل على أن المؤلف العياشي قد انتقل إلى العراق وسمع من علي بن الحسن بن فضال⁽²⁾.

وفي ذكر رحلته يقول عند ترجمته لأبي يعقوب البصري: "وأما أبو يعقوب إسحاق بن محمد البصري، فإنه كان غالياً، وسرت إليه إلى بغداد، لأكتب عنده وسألته كتاباً أنسخه، فأخرج إلي من أحاديث المفضل بن عمر في التفويض، فلم أرغب فيه، فأخرج إلي من أحاديث مشيخته من الثقات ورأيت مولعاً بالحمامات المراعيش، ويمسكها، ويروي في فضل إمساكها أحاديث، قال: وهو أحفظ من لقيته"⁽³⁾. فعلم من هذه العبارات أنه رحل إلى الكوفة وبغداد.

ويروي عنه أبو عمرو الكشي قال: "سألت أبا النضر محمد بن مسعود، عن جميع هؤلاء؟ أما علي بن الحسن بن علي بن فضال، فما رأيت فيمن لقيت بالعراق وناحية خراسان أفقه ولا أفضل من علي بن الحسن بالكوفة، ولم يكن كتاب عن الأئمة عليهم السلام من كل صنف إلا وقد كان عنده، وكان أحفظ الناس"⁽⁴⁾.

(1) النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الأسد الكوفي، رجال النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة السادسة، 1418هـ، ص: 350.

(2) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1427هـ، 440/6.

(3) المصدر نفسه، 440/6.

(4) الطوسي، رجال الكشي، 440/6.

فقد تبين من النص السابق رحلة العياشي إلى خراسان والكوفة لملاقاة الأشياخ، كما يظهر من أقوال مترجميه أنه روى عن شيوخ قميّين، وفي ذلك إشارة إلى أن له رحلة إلى قم.

من خلال ما سبق يتضح أن العياشي تلقى علوماً مختلفة سواء في مسقط رأسه أو من خلال رحلاته في طلب العلم، وهو ما أتاح له أن يتبوأ مقاما معلوما بين علماء عصره، وأن يحظى بتقديرهم، خاصة لدى فرقته، وهو ما سأوضحه في المطلب الموالي.

المطلب الثالث: مكانة العياشي عند علماء الشيعة

سبق معنا أن للعياشي المكانة المرموقة بين علماء الشيعة، وهو محل تبحيل بين علمائهم وعامتهم وكتبهم حافلة بالثناء عليه ورفع مكانته، وهذه نماذج من أقوال المترجمين له:

قال النجاشي في ترجمته للعياشي: " محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي، السمرقندي، أبو النضر المعروف بالعياشي: ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، وكان يروي عن الضعفاء كثيرا، وكان في أول أمره عامي المذهب، وسمع حديث العامة فأكثر منه، ثم تبصر وعاد إلينا، وكان حديث السن، سمع أصحاب علي بن الحسن بن فضال، وعبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي، وجماعة من شيوخ الكوفيين، والبغداديين، والقميين"⁽¹⁾.

وقال عنه الشيخ الطوسي: " محمد بن مسعود العياشي، من أهل سمرقند، وقيل: إنه من بني تميم، يكنى أبا النضر، جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايات، مطلع عليها"⁽²⁾، وقال فيه أيضا: " محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي، يكنى أبا النضر، أكثر أهل الشرق علما وفضلا، وأدبا، وفهما، ونبلا

(1) النجاشي، رجال النجاشي، ص: 350.

(2) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، فهرست كتب الشيعة وأصولهم وأسماء المصنفين وأصحاب الأصول، تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، مكتبة المحقق الباطبائي للنشر والتوزيع، قم، إيران، الطبعة الأولى، 1420 هـ، ص: 396.

في زمانه، صنف أكثر من مائتي مصنف، ذكرناها في الفهرست، وله مجلس للخاص ومجلس للعام، رحمه الله
 «(1).

وممن نوه بالعيشي وأشاد بمكانته؛ عباس القمّي، حين قال: "العيّاشي، الشيخ الأجلّ أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عيّاش السّلميّ السمرقندي، ثقةٌ صدوق، عين من عيوم الطائفة وكبيرها، جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالرواية، مضطلع بها، له كتب كثيرة تزيد على مئتي مصنف، منها كتاب "التفسير" المعروف وكان يروي عن الضعفاء وكان في أول عمره عامّي المذهب، وسمع حديث العامة وأكثر منه، ثم تبصّر وعاد إلينا وهو حديث السنن، وسمع أصحاب عليّ بن الحسن بن فضال وجماعة من شيوخ الكوفيّين والبغداديين والقمييين، وأنفق على العلم والحديث تركة أبيه سائرها، وكانت ثلاثمائة ألف دينار" (2).

وأختتم هذه الشهادات في العياشي بما قال عنه الميرزا النوري: "وأما العياشي فهو من عيون الطائفة، ورئسها وكبيرها، جليل القدر عظيم الشأن، واسع الرواية ونقادها ونقاد الرجال" (3).

• أقوال علماء أهل السنة في العياشي:

لم يرد ذكر محمد بن مسعود العياشي في كتب التراجم عند أهل السنة كثيرا، وممن ذكره عرضا الإمام ابن حجر في لسان الميزان في ترجمته لآدم بن محمد القلانسي البلخي حيث قال: "أبو محمد روى عن أحمد بن يونس الفسوي وعلي بن الحسن بن هارون الدقاق وإبراهيم بن محمد روى عنه محمد بن مسعود العياشي وأثنى عليه وذكره أبو جعفر الطوسي في رجال الشيعة" (4).

(1) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، الإمام الخوئي الإسلامية، الطبعة الأولى، د.ت. 242/18، الطوسي، رجال الطوسي، ص: 440.

(2) عباس القمّي، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، تحقيق: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، الطبعة الثالثة: 1430هـ، 749/3.

(3) الميرزا الشيخ حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م، 204/5.

(4) ابن حجر، لسان الميزان، 336/1.

إلا أنّ الأقوال في علماء الشيعة أو رواثم على وجه العموم، مذكورة في كتب الجرح والتعديل، فهو مثل غيره من أهل الغلو القائلين بتحريف القرآن الكريم، وقد نقل كثيرا من الروايات الموضوعة واعتمد عليها في تفسيره.

• مذهب المفسر وعقيدته:

أمّا مذهبه فهو المذهب الجعفري والعقيدة الإثني عشرية، وهو عين من عيون الطائفة ومقدميها إذ نسبه كل من ترجم له إلى هذه العقيدة.

المطلب الرابع: مؤلفاته

يعد العياشي أحد علماء الشيعة المكثرين تأليفا، فقد كتب في علوم وفنون كثيرة، ذكر ابن النديم منها ما يزيد عن مائة وثمانين مؤلفا، أهمها: "كتاب التفسير، كتاب الصلاة، كتاب الطهارات، كتاب مختصر الصلاة، كتاب مختصر الحيض، كتاب الصوم، كتاب مختصر الصوم، كتاب الجنائز، كتاب مختصر الجنائز، كتاب المناسك، كتاب مختصر المناسك، كتاب العالم والمتعلم، كتاب الدعوات، كتاب الزكاة، كتاب قسم الزكاة، كتاب زكاة الفطر، كتاب الأشربة، كتاب حد الشارب، كتاب الأضاحي، كتاب العقيقة، كتاب النكاح، كتاب الصداق، كتاب الطلاق، كتاب التقية، كتاب الأجوبة المسكتة، كتاب سجود القرآن، كتاب القول بين القولين، كتاب معرفة الناقلين، كتاب الطب، كتاب الرؤيا ك، كتاب النجوم والفأل والقيافة والزجر، كتاب القرعة، كتاب الفرقان بين حل المأكول وحرامه، كتاب البيوع، كتاب السلم، كتاب لصرف، كتاب الرهن، كتاب الشركة، كتاب المضاربة، كتاب الشفعة، كتاب الاستبراء، كتاب التجارة، كتاب القضايا وآداب الحكام، كتاب الحد في الزنا، كتاب الحدود في السرقة، كتاب حد القاذف، كتاب الديات، كتاب المعاقل، كتاب الملاهي، كتاب معارض الشعر، كتاب السبق والرمي، كتاب قسم الغنيمة والفيء، كتاب الدين والحماله والحوالة، كتاب القبالات والمزارعة، كتاب الإجازات، كتاب الهبة، كتاب الزهد، كتاب الأقباس، كتاب القبلة، كتاب الجزية والخراج، كتاب الطاعة، كتاب احتجاج المعجزة، كتاب الحيض، كتاب العمرة، كتاب مكة والحرم، كتاب نكاح المماليك، كتاب ما يكره من الجمع بينهم، كتاب جزافات الخطأ، كتاب جنایة العبيد والجنایة عليهم، كتاب جنایة العجم، كتاب الحدود، كتاب الشروط، كتاب دية الجنين، كتاب الغيبة، كتاب الحث على النكاح، كتاب الأكفاء والأولياء والشهادات في النكاح، كتاب فداء الأسارى والغلول، كتاب جزاء المحارب،

كتاب قتال المشركين، كتاب الجهاد، كتاب الأنبياء والأئمة، كتاب الأوصياء، كتاب المداراة، كتاب الاستخارة، كتاب دلائل الأئمة، كتاب الصوم والكفارات، كتاب الجمع بين الصلاتين، كتاب المساجد، كتاب المآثم، كتاب فرض طاعة العلماء، كتاب الصدقة غير الواجبة، كتاب الكعبة، كتاب جلد الشارب، كتاب ما أبيح قتله للمحرم، كتاب وجوب الحج، كتاب باطن القراءات، كتاب الجنة والنار، كتاب الصيد، كتاب الذبائح، كتاب الرضاع، كتاب المتعة، كتاب الوطاء بالملك، كتاب الوصايا، كتاب الموارث، كتاب البر والصلة، كتاب محاسن الأخلاق، كتاب حقوق الإخوان، كتاب الأيمان، كتاب النذور، كتاب النسبة والولاء، كتاب الاستئذان، كتاب عشرة النساء، كتاب الشهادات، كتاب الشروط، كتاب اليمين مع الشاهد، كتاب العتق والكتابة، كتاب النشوز والخلع، كتاب صنائع المعروف، كتاب الخيار والتخيير، كتاب العدة، كتاب الظهر، كتاب الإيلاء، كتاب اللعان، كتاب الرجعة، كتاب الصفة والتوحيد، كتاب الصلاة على الأئمة، كتاب الرد على من صام وأفطر قبل رؤية الهلال، كتاب اللباس، كتاب الثياب، كتاب إمامة علي بن الحسين، كتاب من يكره مناكحته، كتاب إثبات مسح القدمين، كتاب جوابات مسائل وردت من عدة بلدان، كتاب صوم السنة والنافلة، كتاب فروع فرض الصوم، كتاب معرفة البيان، كتاب القطع والسرقة، كتاب الملاحم، كتاب المروة، كتاب التنزيل، كتاب فضائل القرآن، كتاب الغسل، كتاب الخمس، كتاب النوادر، كتاب يوم وليلة، كتاب مختصر يوم وليلة، كتاب الوضوء، كتاب الزنا والإحصان، كتاب الاستنجاء، كتاب التيمم، كتاب تير الثياب، كتاب صلاة الحضر، كتاب صلاة السفر، كتاب محبة الأوصياء، كتاب المساجد، كتاب مختصر الطهارات، كتاب ابتداء فرض الصلاة، كتاب لبسة الصلاة، كتاب صلاة نوافل النهار، كتاب مواقيت الظهر والعصر، كتاب الأذان، كتاب حدود الصلاة، كتاب السهو، كتاب صلاة العليل، كتاب صلاة يوم الجمعة، كتاب صلاة الحوائج والتطوع، كتاب صلاة العيدين، كتاب صلاة الخوف، كتاب صلاة الخسوف والكسوف، كتاب صلاة الاستسقاء، كتاب صلاة السفينة، كتاب غسل الميت، كتاب المآثم، كتاب الصلاة على الجنائز، كتاب البدء⁽¹⁾.

ولا نملك مصدرا آخر يؤكد ما ذكر ابن النديم، فإن صح ما قال، فهو أمر يدعو للعجب أن يكون للعايشي كل هذه المؤلفات، ثم لا يحفظ التاريخ إلا شيئا يسيرا عن سيرته!!

(1) ابن النديم، الفهرست، ص: 241.

• مؤلفاته في المرحلة السنية التي نسب لها:

ذكرنا سابقا ما أشارت إليه بعض المصادر الشيعية أنّ العياشي كان سنيّ المعتقد، وقد أُلّف في تلك المرحلة كتبا تدلّ على سنيّته منها: "كتاب سيرة أبي بكر، كتاب سيرة عمر، كتاب سيرة عثمان، كتاب سيرة معاوية، كتاب معيار الأخيار، كتاب الموضح"⁽¹⁾.

ومما لا شكّ فيه أنّه لا يمكن الجزم بنسبة كل هذه الكتب إليه بسبب عدم وصول أي كتاب إلينا ما عدا التفسير محل دراستنا، وإنّ عالما يملك كل هذه المؤلفات لا يمكن أن تضيع كلّها، وكيف لم تحفظ كتبه لما له من مكانة عالية؟ هذا ما يجعلنا نشكك في حقيقة تأليفه لهذه الكتب.

المطلب الخامس: مشايخه وتلاميذه

أولا: مشايخه

عرف العياشي كما مرّ معنا آنفا برحلاته العلمية، إلى العراق وبغداد وقم والكوفة، والتقى بمشايخ كثير، من أشهرهم⁽²⁾:

. إبراهيم بن محمد بن فارس.

. أبو العباس أحمد بن عبدالله بن سهل البغدادي الواضحي.

. أبو عبدالله الشاذاني النيسابوري محمد بن أحمد بن نعيم

. المروزي محمد بن أحمد بن حمّاد

. أبو يعقوب إسحاق بن محمد البصري

. ابن التاجر، أبو سعيد جعفر بن أحمد.

(1) المصدر نفسه، ص: 242.

(2) الطوسي، رجال الكشي، ص: 175.

. الحسين بن أشكيب.

. عبدالله بن حمدويه البيهقي.

علي بن الحسن بن الفضال الكوفي.

. الفضل بن شاذان.

. القاسم بن هشام اللؤلؤي.

. محمد بن يزيد الرازي.

ثانيا: تلاميذه

من أشهر تلاميذ العياشي والرواة عنه⁽¹⁾:

حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي

جعفر بن محمد بن مسعود العياشي

وأبو عمرو الكشي.

أحمد بن عيسى العلوي الزاهد

وأبو القاسم الهاشمي

حمدويه بن نصير بن شاهي

وأبو جعفر أحمد بن عيسى العلوي

الحسين بن نعيم

(1) الطوسي، رجال الطوسي، ص: 418، الخوئي، معجم رجال الحديث، 180/6، الحلبي، الحسن بن يوسف بن المطهر

، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامية، الطبعة الرابعة: 1431هـ، ص: 133.

الحسين الغزال الكنتنجي

الحسن الكرمانى

محمد بن نعيم الخياط

محمد بن طاهر بن جمهور

إن كثرة الشيوخ والتلاميذ للعباشي يؤكد مكانته العلمية وكثرة استفادته وإفادته لذا لا نستغرب مكانته عند علماء الطائفة الاثني عشرية.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير العياشي وأثره في تفاسير الشيعة

مما مرّ معنا في المبحث السابق وجدنا للعياشي المكانة الكبيرة التي يتبوؤها عند طائفته لما له من قدم راسخة في مختلف العلوم إضافة إلى ما نسب إليه من مؤلفات، ومن بينها تفسير العياشي، ومكانة تفسير العياشي نجد له الأثر البارز في العديد من تفاسير الشيعة من خلال إيرادهم لروايات من تفسير العياشي؛ ممثلين بنماذج من تفاسيرهم المشهورة، وهذا ما سنقف عليه في هذا المبحث من خلال الآتي.

المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه.

كل من ترجم للعياشي وأتى على ذكر مؤلفاته يذكر له كتابا في التفسير ضمن مجموع مؤلفاته⁽¹⁾، غير أنهم لا يذكرون له عنوانا خاصا شأن أغلب التفاسير، وليس تفسير العياشي بدعا في هذا الأمر، فقد جرت عادة بعض المفسرين عدم وضع عناوين لتفاسيرهم، بل تنسب لأسمائهم، مثل: تفسير يحيى بن سلام، تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تفسير ابن عرفة وغيرهم.

أما القسم الآخر من المفسرين فإنهم يضعون أسماء لتفاسيرهم، وإن كانت تنسب إليهم، مثل تفسير الإمام ابن جرير الطبري، الموسوم بـ جامع البيان في تأويل القرآن، وتفسير الإمام البغوي، الموسوم بـ "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، وتفسير الإمام ابن عطية الموسوم بـ "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". فتفسير العياشي مقترن باسمه؛ فمرة يسمى (التفسير)، وأخرى تفسير القرآن، وثالثة تفسير العياشي، وأما المرقوم على غلاف المطبوع فهو: "تفسير العياشي" في طبعة مؤسسة الأعلمي، و"التفسير"⁽²⁾ في طبعة قسم الدراسات الإسلامية بقم، والغالب لدى الباحثين الذين نقلوا عنه في العصر الحديث تسميته "تفسير العياشي".

(1) ابن النديم، الفهرست، ص: 274؛ الطوسي، الفهرست، ص: 215.

(2) وهو اسمه المثبت في الفهرست لابن النديم، ص: 241.

1- تعريف عام بالكتاب:

تفسير العياشي من قبيل التفسير الروائي عند الشيعة، وهو ما يقابله في تعبير أهل السنة التفسير بالمأثور، فهو يعتمد على سرد المرويات من الأحاديث النبوية، وآثار الأئمة وعلماء فرقته جريا على عادة الشيعة في نقل الآثار.

ولئن كان محمد بن مسعود العياشي قد فسّر القرآن كاملا، إلا أن المتبقي منه نصف القرآن فقط، من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف، أمّا النصف الآخر فهو مفقود⁽¹⁾.

تضمن تفسير العياشي مقدمة ناسخ الكتاب، وقصة نسخه له، وذكر أنه أمعن النظر في التفسير، ورغب في الظفر بإسناد إلى المؤلف، لكنه لم يجد من يتصل سنده بالمؤلف في مكان إقامته، فحذف الأسانيد حتى يسهل التعامل مع الكتاب.

كما تضمنت المقدمة روايات لأحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ، وروايات لأقوال علي رضي الله عنه وبعض أئمة الشيعة، وجاءت هذه الآيات والأحاديث تحت عناوين هي:

- فضل القرآن الكريم
- باب ترك الرواية التي بخلاف القرآن
- في ما أنزل من القرآن
- تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه
- تأويل كل حرف من القرآن على وجوه
- ما عني به الأئمة من القرآن
- علم الأئمة بالتأويل
- في من فسّر القرآن برأيه
- كراهية الجدل في القرآن

(1) آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1403هـ-1983م، 295/4.

2- اللون التفسيري الذي يندرج تحته تفسير العياشي

تفسير العياشي يندرج تحت ما يصطلح عليه عند الشيعة "التفسير الروائي" والمقصود به تفسير القرآن بالروايات الواردة عن آل البيت، دون الرجوع إلى المصادر الأخرى التي تندرج تحت التفسير بالاجتهاد إلا نادرا، أما تفسير العياشي فإنه اعتمد على الروايات فقط، ومثله تفسير فرات الكوفي، وتفسير نور الثقلين، خلافا لبعض التفاسير الشيعية التي تندرج تحت نفس اللون التفسيري؛ حيث يرجع أصحابها إلى اللغة، وأحيانا ذكر بعض الفوائد الفقهية أو يعلقون ويعقبون.

3 - طبعات الكتاب:

بالرجوع إلى قواعد بيانات الكتب نجد أنّ تفسير العياشي طبع عدة طبعات:

- طبعة المكتبة العلمية الإسلامية في طهران. وهي الطبعة الأقدم وكان لها السبق في إخراج الكتاب لأول مرة، وهي طبعة أشرف عليها هاشم الرسولي المحلاقي سنة: (1380هـ / 1960م).
- ثم طبع الكتاب طبعة أولى بمؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بتحقيق: هاشم الرسولي المحلاقي، وصدرت في جزأين سنة: (1411هـ/1991م).
- ثم طبع الكتاب طبعة حديثة تحت إشراف قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة، قم، سنة: 2010م.

وقد اعتمدت في بحثي هذا طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بتحقيق: هاشم الرسولي المحلاقي، التي صدرت في جزأين سنة: (1411هـ/1991م)، لأنّ الأولى لم أعثر عليها، و الأخيرة أضافت لتفسير العياشي ما ليس منه حيث أضافت هذه الطبعة تفسير النصف الثاني من القرآن الكريم وهو قطعاً ليس من تفسير العياشي لأنّ ما بقي من تفسيره هو النصف الأول.

المطلب الثاني: منهج العياشي في تفسيره

1- طريقة العياشي في تفسيره للآيات

المطلع على تفسير العياشي يلحظ أن منهجه في التفسير، أن يأتي إلى السورة فيذكر البسملة ويضع عنواناً تحت إسم السورة كالتالي: (من سورة البقرة، من سورة آل عمران، من سورة المائدة، وهكذا عند كل سورة إلى سورة الكهف)، ثم يذكر بعض فضائلها إن وجدت، قبل الشروع في تفسير آياتها، وكل ما ورد في الفضائل روايات منسوبة للنبي ﷺ، وأئمة الشيعة، ثم يسوق الرواية لآية المراد تفسيرها؛ ويثني بذكر الروايات الواردة في تفسير الآية أو فيها إشارة للآية أو تتضمن حكماً شرعياً مستنبطاً من الآية، ويورد المؤلف ذلك كله دون تعليق أو تعقيب على الروايات.

بعدها يذكر معنى الآية الظاهر، ثم يذكر ما جاء فيها من تفسير باطني عن أئمة الشيعة، دون إبداء رأيه.

ومما يلاحظ على تفسيره:

- 1- عدم تفسير جميع الآيات في السورة الواحدة وهذا في تفسيره كلاً.
- 2- عدم اهتمامه بتحميمص الأقوال الواردة في تفسير الآية وإن بلغت الأقوال حد التناقض.
- 3- لا يراعي السياق في تفسير الآية.
- 4- يخالف لغة العرب في أغلب المواضع.
- 5- يورد الكثير من الإسرائيليات.
- 6- أورد الكثير من الروايات التي تخالف العقل.
- 7- غلبة الاتجاه الباطني في رواياته، إذ لا تكاد توجد آية إلا ويحشد لها ولو رواية في التفسير الباطني الفاسد.

وسنأتي على ذكر نماذج عن كل هذه الملاحظات في موضعه من هذا البحث.

2- أسانيد الروايات الواردة في تفسير العياشي

النسخة التي بين أيدينا لتفسير العياشي جاءت محذوفة الأسانيد، ولم يتم العثور على النسخة المسندة إلى الآن، وسبب حذف إسناد روايات التفسير ما ذكره الناسخ، وهو أنه لم يجد من عنده سماع أو إجازة إلى العياشي، فحذف الأسانيد للاختصار، وفي ذلك يقول: "إني نظرت في التفسير الذي صنفه أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى بإسناده، ورغبت إلى هذا وطلبت من عنده سماعاً من المصنف أو غيره فلم أجد في ديارنا من كان عنده سماع أو إجازة منه، حذفته منه الإسناد . وكتبت الباقي على وجهه ليكون أسهل على الكاتب والناظر فيه، فان وجدت بعد ذلك من عنده سماع أو إجازة من المصنف اتبعت الأسانيد، وكتبتها على ما ذكره المصنف"⁽¹⁾.

وقد ذكرت بعض المصادر أن أحد تلاميذ العياشي حذف الأسانيد للاختصار، يقول الطباطبائي: "وقد قل عند أوائل مفسري الشيعة نقل أحاديث التفسير بشكل روايات مرسله في تفاسيرهم، وكنموذج لنقل الأحاديث مروية بدون أسانيد نلفت الأنظار إلى التفسير العياشي الذي حذف بعض تلامذته أسانيد اختصاراً، فاشتهرت نسخة التلميذ المختصرة وحلت محل نسخة الأصل"⁽²⁾.

ويتحدث المجلسي عن هذه المسألة فيقول: "وكتاب تفسير العياشي روى عنه الطبرسي وغيره، ورأينا منه نسختين قديمتين، وعدّ في كتب الرجال من كتبه، لكن بعض النّاسخين حذف أسانيد اختصاراً، وذكر في أوّله عذراً هو أشنع من جرمه"⁽³⁾.

وأما البروجردى فيعلق بعد أن أتى على ذكر حذف أسانيد الروايات الواردة في تفسير العياشي قائلاً: "حذف المستنسخ سأمحه الله إسناد الأخبار رومًا للاختصار، زعمًا منه أنه خدمة للعلم وأهله، فأخرجها عن المسانيد إلى المراسيل، وليته لم يفعل"⁽¹⁾.

(1) تفسير العياشي، 13/1.

(2) الطباطبائي، القرآن في الإسلام، تحقيق: أحمد الحسيني، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1393 هـ - 1973 م، ص: 61.

(3) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1403 هـ - 1983 م، 28/1.

يظهر من خلال هذه الأقوال أن أصحابها مستاءون من حذف الأسانيد، وما تبعه من إنقاص قيمة التفسير، وكان الأجدد بالناسخ ترك أسانيد الكتاب.

ولا يهمني في هذه الدراسة ورود الروايات مسندة أو مختصرة، إذ إن أغلب دين الشيعة مبني على الموضوع والضعيف، لذا لم أهتم بالحديث عن أسانيد روايات التفسير من حيث الصحة أو الضعف. وقد خبرهم العلماء و النقاد فما وجدوهم إلا كذابين.

قال الأعمش في شأن كذبهم: "أدركت الناس وما يسموهم إلا الكذابين"⁽²⁾، وقال الإمام مالك لما سئل عن الرافضة: "لا تكلمهم ولا ترو عنهم؛ فإنهم يكذبون"⁽³⁾.

ونقل عن الشافعي أنه كان يقول: "لم أر أشهد بالزور من الرافضة"⁽⁴⁾، ومما جاء عن يزيد بن هارون قوله: "يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة؛ فإنهم يكذبون"⁽⁵⁾.

ويقول شريك بن عبد الله: "احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً"⁽⁶⁾.

أمّا أكثر الناس معرفة بالرافضة وأقواهم ردّاً عليهم؛ فهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وله في الردّ عليهم صولات وجولات ضمنها كتابه: "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية"، يقول عن كذب

(1) المرتضى البروجردي، شرح العروة الوثقى، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، الطبعة الرابعة: 1430هـ/2009م، 11/441.

(2) (ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 16/1.

(3) المصدر نفسه، 16/1

(4) المصدر نفسه، 16/1

(5) المصدر نفسه، 16/1

(6) الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، تحقيق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الثالثة: 1413 هـ، ص: 22.

الرافضة: "وقد اتَّفَقَ أهلُ العلمِ بالنقلِ والروايةِ والإسنادِ على أنَّ الرافضةَ أكذَّبُ الطوائفِ، والكذبُ فيهم قديمٌ؛ ولهذا كان أئمةُ الإسلامِ يعلمون امتيازهم بكثرةِ الكذبِ"⁽¹⁾.

ويقول الإمام شمس الدين الذهبي: "فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلا صادقا ولا مأمونا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله! حاشا وكلا"⁽²⁾.

بل إن الوضع والكذب في الأحاديث مما يعترف به علماءهم، فهذا أحد علمائهم وهو ابن أبي حديد⁽³⁾ قد وضع بابا في شرحه على نهج البلاغة بعنوان: "فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث"، يقول فيه: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، وحملهم على وضعها عداوة خصومهم"⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: أثر تفسير العياشي في تفاسير الشيعة

سبق معنا الكلام عن مكانة العياشي وثناء علماء الشيعة عليه، وهذا الثناء قد ناله تفسيره أيضا فلهذا التفسير الأثر الكبير في تفاسير الشيعة على غرار الكتب الأخرى في الفقه والعقيدة والتاريخ، وكتب الرجال. وسأذكر فيما يلي نماذج لأثر هذا التفسير، وهو عبارة عن الروايات التي ذكرها العياشي في تفسيره ونقلت عنه في بعض تفاسيرهم:

(1) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، 59/1.

(2) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م، 6/1.

(3) هو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، عالم بالأدب وبرع في الإنشاد والشعر، كان شيعيا جلدا وقيل مال إلى الاعتزال، خدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظيا عند الوزير ابن العلقمي ولد سنة (586)، وتوفي سنة (655)، له مؤلفات منها: الفلك الدائر على المثل السائر، والاعتبار. انظر ترجمته: (الأعلام، 289/3)

(4) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابراهيم، دار الكتاب العربي، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007 م، 48/11.

أولاً: أثره في تفسير " الميزان في تفسير القرآن " لمحمد بن حسين الطباطبائي.

يعدّ تفسير العياشي من التفاسير التي لها كبير الأثر في تفسير محمد بن حسين الطباطبائي⁽¹⁾ الموسوم بـ: "الميزان في تفسير القرآن" ويتجلى ذلك في كثرة النقولات التي أوردها الطباطبائي من تفسير العياشي، والتي ناهزت الأربعمئة رواية، وطريقته في ذلك أن يضع بحثاً روائياً بعد تفسير كل آية تحت عنوان: "بحث روائي"، وينقل الروايات عن علماء الشيعة، كالكليني، والعياشي والعسكري وغيرهم، فمن ذلك:

الموضع الأول:

عند تفسيره لسورة الفاتحة وعند قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:6]، ينقل قول العياشي في معنى الصراط المستقيم، وموافقاً له في تفسيره الباطل للصراط المستقيم فيقول: "في الفقيه، و تفسير العياشي، عن الصادق عليه السلام قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام"⁽²⁾.

(1) هو محمد حسين ابن محمد حسين الميرزا علي أصغر الطباطبائي، ولد في بروجرد بإيران أواخر صفر سنة 1292 هـ ، وهو من أشهر علماء الشيعة المعتبرين، بل من معظمهم لما له من مكانة علمية عند عامة الشيعة وعلمائهم، وقد نال محمد حسين الطباطبائي في درجة الاجتهاد ، فحصل على إجازة الاجتهاد والرواية من المحقق العلامة النائيني ، وإجازة الرواية من عدد من الأعلام، من أشهر تلاميذه: مرتضى المطهري ، محمد حسين البهشتي ، محمد مفتاح الهمداني اعلي القدوسي، محمد رضا السعيد، آية الله جوادي آمل، محمد تقي مصباح اليزدي آية الله مكارم الشيرازي، مصطفى الخميني، عبد الكريم الأردبيلي محمد حسين الطهراني، خلف العديد من المؤلفات أشهرها : تفسير الميزان ، مبادئ الفلسفة وطريقة المثالية ، بداية الحكمة ، ونهاية الحكمة .- شرح الأسفار لصدر الدين الشيرازي، حوار مع الأستاذ هنري كوربان، رسالة في الحكومة الاسلامية ، رسالة في القوة والفعال، رسالة في إثبات الذات، رسالة في الصفات، رسالة في الأفعال، رسالة في الوسائط ، الإنسان قبل الدنيا، الإنسان في الدنيا، الإنسان بعد الدنيا، رسالة في النبوة، رسالة في الولاية، رسالة في المشتقات، رسالة في البرهان، رسالة في المغالطة، رسالة في التحليل، رسالة في التركيب، رسالة في الاعتبار، رسالة في النبوة والمنامات، توفي سنة 1404هـ-1981م. ينظر ترجمته في: (محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م، 255/9، آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م، 14/ 645).

(2) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م، 43/1

الموضع الثاني:

ولإثبات أسلوب الجري عند الشيعة يستدل برواية من تفسير العياشي لإثبات مذهبه فيقول: " ففي تفسير العياشي، عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيها حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع ما يعني بقوله: ظهر وبطن؟ قال؟ ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع الحديث" (1).

الموضع الثالث:

ويتفق الطباطبائي في تفسيره للكثير من الآيات مع العياشي في تأويله الباطني ويستدل بروايات العياشي كتفسيره قوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 136]، بأن المقصود من الآية، عليا وفاطمة والحسن والحسين ومن بعدهم من أئمة الشيعة يقول الطباطبائي: " وفي الكافي، وتفسير العياشي، عن الباقر (عليه السلام): في قوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ ... (الآية)، قال إنما عنى بها عليا وفاطمة والحسن والحسين وجرت بعدهم في الأئمة" (2).

الموضع الرابع:

ونجد أثر تفسير العياشي في تفسير الميزان من خلال نقل الطباطبائي روايات لإثبات فضائل الشيعة، ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [البقرة: 159] يقول: " في تفسير

(1) المرجع نفسه ، 44/1

(2) المرجع نفسه 310/1

العياشي، عن بعض أصحابنا عن الصادق (عليه السلام) قال: قلت له: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 159] ... الآية، قال: نحن نعني بها و الله المستعان إن الواحد منا إذا صارت إليه لم يكن له أو لم يسعه إلا أن يبين للناس من يكون بعده⁽¹⁾.

ثانياً: أثر تفسير العياشي في تفسير "نور الثقلين" لعبد علي بن جمعة العروسي الحوزي

يعد تفسير "نور الثقلين" من أهم الكتب عند الشيعة، وقد حشاه صاحبه: عبد علي بن جمعة العروسي الحوزي⁽²⁾ بالكثير من الروايات، ومن ضمنها الروايات التي نقلها من تفسير العياشي، بل يعد هذا التفسير أكثر التفاسير إيراداً لروايات العياشي حتى ناهزت الستمائة رواية.

يقول الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، وهو يثني على تفسير نور الثقلين: "ومن أحسن ما جمعه أزمنا المجاهدة بعواملها وخطته أيدي التحقيق بأناملها في هذا الشأن أو هو أحسنه، هو كتاب "نور الثقلين" لشيخنا الفقيه المحدث البارع الشيخ عبد علي الحوزي ثم الشيرازي قدس الله نفسه وروح رسمه الذي جاد به عصر أساطين الحديث وجهابذة الرواية وهو النصف الأخير القرن الحادي عشر من الهجرة تقريباً الذي سمح بمثل مولانا المجلسي صاحب البحار ومولانا الفيض صاحب الوافي وشيخنا الحر العاملي صاحب الوسائل وسيدنا هاشم البحراني صاحب البرهان رضوان الله عليهم أجمعين، ولعمري أنه الكتاب القيم الذي جمع فيه مؤلفه شتات الأخبار الواردة في تفسير آيات الكتاب العزيز، وأودع عامة الأحاديث المأثورة عن أهل بيت

(1) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 389/1.

(2) هو عبد علي بن جمعة العروسي، الحوزي ثم الشيرازي، الإمامي، من تلامذته نعمة الله الجزائري صاحب الأنوار النعمانية، ولد في قرية الحوية وإليها نسب، وهي من قرى منطقة خوزستان الإيرانية، ثم انتقل إلى شيراز، ولم يذكر أصحاب التراجم تاريخ ولادته ولا خصوصيات أحواله. توفي في سنة 1112هـ.

يذكر مؤرخو الشيعة بأنه كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً ثقة ورعاً، شاعراً أديباً، جامعاً للعلوم والفنون، له كتاب نور الثقلين في تفسير القرآن، أنظر ترجمته في: (أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، 29/8، آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، 365/24)

العصمة والطهارة سلام الله عليهم إلا ما شذ منها ولقد أجاد في ضبطها وترتيبها والإشارة إلى مصادرها والجوامع المنقولة هي عنها، وبذل جهدا في تهذيبها وتنقيحها جزاه الله عن العلم وأهله خيرا وهدانا بنور الثقلين وأحيا قلوبنا بالعلم واليقين آمين⁽¹⁾.

كما يظهر أثر تفسير العياشي في الكثير من المواضع من تفسير نور الثقلين ومن ذلك:

الموضع الأول:

عند تفسيره لسورة الفاتحة، وهو يذكر فضائلها، ويعدد ما جاء في فضلها من روايات، ومن ضمنها ما جاء عن العياشي تحت عنوان، سورة الحمد، فضلها يقول: "في تفسير العياشي عن يونس بن عبد الرحمن عن رفاعه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:87]، قال: هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها: "بسم الله الرحمن الرحيم" وإنما سميت المثاني لأنها تتلى في الركعتين"⁽²⁾.

الموضع الثاني:

وعند ذكر أوجه القراءة في مالك، ينقل من تفسير العياشي رواية يقول فيها: "في تفسير العياشي عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ مالك يوم الدين"⁽³⁾.

الموضع الثالث:

ويظهر أثر التأويل الباطني الذي انتهجه العياشي جليا في تفسير نور الثقلين في روايات عديدة نقلها من تفسير العياشي، فمن ذلك تفسير قول الله جل وعلا: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:89] يقول: "في تفسير العياشي عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن

(1) عبد علي بن جمعة العروسي الحوزي، تفسير نور الثقلين، تحقيق: علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: د.ت، 14/1.

(2) المصدر نفسه، 20/1.

(3) المصدر نفسه، 35/1.

هذه الآية من قول الله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة: 89]، قال: تفسيرها في الباطن، لما جاءهم ما عرفوا في عليّ كفروا به، فقال الله فيه يعني بني أمية هم الكافرون في باطن القرآن⁽¹⁾.

ثالثاً: أثر تفسير العياشي في تفسير الصافي، لمؤلفه الفيض الكاشاني

من بين أهم كتب التفسير الشيعية التي يظهر فيها الأثر الكبير لتفسير العياشي، "تفسير الصافي" لمؤلفه: الملا محمد بن مرتضى بن محمود الكاشاني، الشهر بالفيض الكاشاني⁽²⁾، إذ نقل عنه ما يزيد على مائتي رواية.

الموضع الأول:

يعدّ تفسير العياشي - كما سيأتي - بيانه من التفاسير التي رجّحت لفكرة تحريف القرآن الكريم، ونجد أثر تفسير العياشي في هذه الفكرة، في تفسير الصافي؛ حيث ينقل الكاشاني من تفسير العياشي روايات بتحريف القرآن الكريم، حيث جاء في تفسير الصافي ما نصّه: "وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لولا إنه زيد في كتاب الله ونقص ما خفي حقنا على ذي حجي، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن، وفيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين، وفيه عنه (عليه السلام) إن في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن، كانت فيه أسماء الرجال فألقيت، وإنما الاسم الواحد منه في

(1) المصدر نفسه، 127/1.

(2) هو محمد بن مرتضى بن محمود الكاشاني الملقب بالفيض الكاشاني، ولد سنة 1007 هـ في مدينة كاشان، ثم انتقل بعدها إلى شيراز وتلمذ على يد أشهر علمائها وهم ماجد البحراني و صدر الدين الشيرازي، وكان متأثراً بكتب أبي حامد الغزالي وأخذ منه كثيراً.

توفي الفيض الكاشاني في يوم: 22 ربيع الثاني في سنة 1091 هـ، وخلف العديد من المؤلفات من أشهرها: تفسير الصافي، تفسير الأصفى، الوافي، الشافي. النوار. المعارف. تلخيص علم اليقين معتصم الشيعة في أحكام الشريعة. المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء. الكلمات المكنونة. الكلمات المخزونة. جلاء العيون، تشريح العالم، بشارة الشيعة، الأربعين في مناقب أمير المؤمنين، الأصول الأصلية، تسهيل السبيل. أنظر ترجمته في (رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، الطبعة: 1403 هـ، 180/5-182).

وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة. وفيه عنه (عليه السلام) إن القرآن قد طرح منه أي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت به الكتبة وتوهمتها الرجال⁽¹⁾.

الموضع الثاني:

ونرى تأثير تفسير العياشي في تفسير الصافي من خلال مسألة من أهم مسائل أصول التفسير عند الشيعة، وهي القول بأن للقرآن ظهرا وبطنا، ويسوق الكاشاني رواية من تفسير العياشي تؤيد ما ذهب إليه تحت المقدمة الرابعة، في نبذ ما جاء في معاني وجوه الآيات وتحقيق القول في المتشابه وتأويله، وفي ذلك يقول: "روى العياشي بإسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شئ من تفسير القرآن فأجابني. ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كنت أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم، فقال لي: يا جابر إن للقرآن بطنا وللبطن بطنا وظهرا وللظهر ظهرا، يا جابر، وليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شئ وآخرها في شئ وهو كلام متصل يتصرف على وجوه، وبإسناده عن حمران بن أعين عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ظهر القرآن: الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم، وبإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع، ما يعني بقوله لها ظهر وبطن، قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شئ وقع، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: 07] نحن نعلمه⁽²⁾.

الموضع الثالث:

ونرى أثر تفسير العياشي في أصل من أصول التفسير وهو الجري، الذي يعتمد مفسرو الشيعة وينقل الكاشاني رواية عن تفسير العياشي تؤيد هذا الأصل، حيث يقول: " وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم

(1) محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني، الصافي في تفسير القرآن، تحقيق: محسن الحسيني الأميني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، 1419 هـ، 76/1.

(2) المصدر نفسه، 64/1.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يا أبا محمد إذا سمعت الله ذكر قوما من هذه الأمة بخير فحنن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوما بسوء ممن مضى فهم عدونا⁽¹⁾.

الموضع الرابع:

وينقل الكاشاني عن العياشي الروايات التي تطعن في الصحابة رضي الله عنهم، خاصة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فعند تفسيره للآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُجِبُونَهُمْ كُحُبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 165] يقول: "في الكافي عن الباقر (عليه السلام) والعياشي عن الصادق (عليه السلام) هم والله أولياء فلان وفلان اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماما، فلذلك قال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا... (الآية)﴾، ثم قال والله هم أئمة الظلم وأشياعهم"⁽²⁾ ويقصد بفلان وفلان في هذه الرواية المنقولة من تفسير العياشي، أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

رابعا: أثر تفسير العياشي في تفسير "مجمع البيان في تفسير القرآن" لمؤلفه: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي .

لم تحفل الشيعة بتفسير مثل تفسير الطبرسي الموسوم بـ: مجمع البيان في تفسير القرآن، فقد نال عندهم المكانة السامية والمنزلة العالية، وذلك لمكانة مؤلفه، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي⁽³⁾، فهو

(1) المصدر نفسه، 1/ 61.

(2) المصدر نفسه، 1/ 315.

(3) هو الفضل بن الحسن الطبرسي ولد بمدينة مشهد سنة 468 هـ، وقيل سنة 469 هـ، نشأ في بيئة عرف عنها العلم والفضيلة فكانت أسرته من الأسر المعروفة بين الشيعة بالعلم والفضل، فوالده الحسن بن الفضل أحد علماء عصره. عرف بتبحره في العلم وتقدمه عند الشيعة، لذا نجد مترجمي الشيعة يطلقون عليه العديد من ألقاب التعظيم، كأمين الإسلام، و أمين الملة والإسلام، ثقة، فاضل، دين، عين، عمدة المفسرين وغيرها من الألقاب التي تدل على مكانته العلمية عند الشيعة.

خلف العديد من التصانيف أشهرها: تفسيره الموسوم بمجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير جوامع الجامع، تفسير الكافي والشافي، تاج الموالي، إعلام الوري بأعلام الهدى، توفي في سبزوار ثم نقل جثمانه إلى المشهد الرضوي، وذلك عام:

عندهم كما قال التستري: "عمدة المفسرين، أمين الدين، ثقة الإسلام، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، من نحارير علماء التفسير، وتفسيره الكبير الموسوم بمجمع البيان، بيان كاف ودليل واف في جامعته لفنون الفضل والكمال"⁽¹⁾.

وقال القمي منوها بمكانة الطبرسي وتفسيره: "فخر العلماء الاعلام أمين الملة والاسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ابن الفضل وأبوه والمدعن بفضلته أعداؤه ومحبه الفقيه النبيه الثقة الوجيه العالم الكامل المفسر العظيم الشأن صاحب كتاب **مجمع البيان** الذي قال في حقه الشيخ الشهيد هو كتاب لم يعمل مثله في التفسير"⁽²⁾.

ويذكر الطبرسي بنفسه ميزة تفسيره عن بقية التفاسير الشيعية فيقول: "... وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن، واجتهدوا في إبراز مكنونه وإظهار مضمونه، وألفوا فيه كتباً جمّة غاصوا في كثير منها إلى أعماق لججه، وشققوا الشعر في إيضاح حججه، وحققوا في تفتيح أبوابه وتغلغل شعابه، إلا أن أصحابنا - رضي الله عنهم - لم يدوّنوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار، ولم يعنوا ببسط المعاني فيه وكشف الأسرار، إلا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي من كتاب التبيان، فإنه الكتاب الذي يُقتبس من ضيائه الحق، ويلوح عليه رواء الصدق، وقد تضمن

خلف العديد من التصانيف أشهرها: تفسيره الموسوم بمجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير جوامع الجامع، تفسير الكافي والشافي، تاج الموالي، إعلام الوري بأعلام الهدى، توفي في سبزوار ثم نقل جثمانه إلى المشهد الرضوي، وذلك عام: 548 هـ، وقيل عام: 552 هـ. أنظر ترجمته في (محسن الأمين، أعيان الشيعة، 8/398، الخوئي، معجم رجال الحديث، 14/215، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي، نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى، 1418 هـ، 4/19، المجلسي، محمد باقر، الوجيزة في علم الرجال، تحقيق، محمد كاظم رحمان ستايش، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، 1320 هـ-200 م، ص: 139)

(1) محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ-1983 م، 8/398.

(2) عباس القمي، الكنى والألقاب، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الخامسة، 1259 هـ، 2/444.

متضمناته قاصرة عن المراد، وأخلَّ بحسن الترتيب وجودة التهذيب، فلم يقع له لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي، ولم يعلِّ من الخواطر الكريمة المكان العليّ⁽¹⁾.

والطبرسي يعدّ من المعتدلين الشيعة، خاصة وقد أكدّ ما فيه من نزعات التشيع عن غيرها من المعاني حتى لا يلتبس الأمر على احد، فهو يذكر المعنى المتعارف عليه عند المفسرين ويعزو كل قول فيه إلى صاحبه من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم، ثم يتبعه برأي الشيعة⁽²⁾.

وقد أشاد الشيخ محمد حسين الذهبي بتبحر الطبرسي في تفسيره رغم مخالفاته العقدية إذ يقول: « والحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية - كتاب عظيم في باب، يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة. والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه، في تناسق تام وترتيب جميل، وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها، فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد، وإذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد، وإذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، وإذا شرح المعنى والإجمالى أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرّض لمذاهب الفقهاء، وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، وأوضح لنا عن حُسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال»⁽³⁾.

أمّا أثر تفسير العياشي في تفسير الطبرسي فنجدّه جليًا من خلال ما نقله الطبرسي من روايات، ومن ذلك:

(1) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1426هـ-2005م، 7-6/1

(2) الدكتور محمد العسال، الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن، الطبعة الأولى: 1427هـ، ص: 855.

(3) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 91/2.

الموضع الأول:

عند تفسيره لسورة الفاتحة وما جاء في فضلها يقول: "وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي بإسناده أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه قال: فقال له جابر، بلى، بأبي أنت و أمي يا رسول الله علمنيها، قال: فعلمه الحمد أم الكتاب، ثم قال: يا جابر ألا أخبرك عنها، قال: بلى، بأبي أنت و أمي فأخبرني، فقال: هي شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت"⁽¹⁾.

الموضع الثاني:

ومما نقله عن العياشي أيضاً، ما جاء في فضل سورة النساء إذ يقول: "وروى العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال من قرأ سورة النساء في كل جمعة أو من من ضغطة القبر إذا أدخل في قبره"⁽²⁾.

الموضع الثالث:

كما نجد أثر التأويل الفاسد المستمد من روايات العياشي في تفسير الطبرسي في الكثير من الروايات المنقولة من تفسيره؛ فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:54]، نجده يذهب مذهب العياشي في تأويله الباطل لإثبات فضائل الشيعة، مخالفًا لأصول التفسير إذ يقول الطبرسي: "وفي تفسير العياشي بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا أبا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال، ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ الآية"⁽³⁾.

فهذه نماذج قليلة من العديد من النماذج التي تدل على أثر العياشي في كتب التفسير الشيعية التي جاءت بعده، ومما لا يرتاب فيه مرتاب أن النقل عن العياشي مما يؤكد على تقدمه ومكانته عند مفسري الشيعة،

(1) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 20/1.

(2) المصدر نفسه، 5/3.

(3) المصدر نفسه، 92-91/3.

وليس تأثير العياشي على من بعده قاصراً على كتب التفسير فقط، بل نجد أثره بارزاً في الكثير من كتب الحديث الفقه والعقائد والتراجم علوم القرآن وأصول التفسير⁽¹⁾

خلاصة الفصل

وكخلاصة لهذا الفصل فقد عرف عصر المؤلف اضطرابات سياسية واجتماعية وتحولات كبرى، إضافة إلى ازدهار المذهب الشيعي الذي ينتمي إليه المفسر أبو النضر العياشي، فعرف قيام دول شيعية، وبروز علماء ومفسرين في أقطار الأرض الإسلامية، هذا على المستوى العام، أمّا على المستوى الشخصي فإنّ العياشي يعدّ من العلماء المقدمين عند علماء الشيعة وعمّامهم، لما عرف عنه من نبوغ علمي حسب مترجميه، إضافة إلى تحصيله العلمي وكثرة مشايخه وتلامذته، كما يعدّ تفسيره محلّ إجلال عند من جاء بعده من المسرّين ولا أدلّ على ذلك أثره البارز في العديد من تفاسير الشيعة التي جاءت بعده.

(1) سامي بن سعد الأسمرى، تفسير العياشي دراسة عقدية نقدية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1433هـ، ص:124 وما بعدها.

الفصل الثاني:

أصول التفسير بين السنة والشيعه الباطنيه

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصول التفسير وأثرها في عصمة معاني النصوص القرآنية من الخطأ والتحرير.

المبحث الثاني: أصول التفسير عند أهل السنة.

المبحث الثالث: أصول التفسير عند الشيعة الباطنية.

تمهيد

لقد حرص العلماء منذ عصور التدوين على الاهتمام بالعلوم الخادمة للقرآن الكريم، والتي تعين على فهم مراد الله تعالى من الآيات القرآنية، وفق أسس صحيحة، ومن بين العلوم التي لقيت اهتمام من العلماء المعاصرين خاصة، أصول التفسير وقواعده، وقد اهتمّ به علماء السنة وعلماء الشيعة، ولكن كلٌّ حسب خلفيته العقدية، وسنجلّي في هذا الفصل ما يتعلّق بأصول التفسير من تعريف وأهميّة، وأصول التفسير عند أهل السنة وعند الشيعة وبعض تطبيقاتها عند الطائفتين.

المبحث الأول: أصول التفسير وأثرها في عصمة معاني النصوص القرآنية من الخطأ والتحريف

قبل الحديث عن أهمية أصول التفسير وأثرها في عصمة معاني النصوص القرآنية، ينبغي الوقوف عند تعريفها لغة واصطلاحاً حسب ما يأتي:

المطلب الأول: أصول التفسير لغة واصطلاحاً

أصول التفسير مركب إضافي، يدل على علم خاص، لعلم خاص، وللوقوف على معناه سأقوم بتعريف أجزاء هذا المركب الإضافي، فأعرف الأصل لغة واصطلاحاً، ثم التفسير لغة واصطلاحاً، ثم أخلص إلى التعريف الاصطلاحي لعلم أصول التفسير.

وبما أنّ تعريف التفسير لغة واصطلاحاً قد مرّ معنا، فأغنى ذلك عن إعادته، وسأكتفي بتعريف الأصل لغة واصطلاحاً، وتعريف المركب الإضافي اصطلاحاً.

أولاً: تعريف الأصول لغة

الأصول: جمع أصل، ويطلق لغة على عدة معان منها:

- أساس الشيء، قال ابن فارس: «الهمزة والصاد واللام ثلاثة أصول يتباعد بعضها من بعض، أحدها أساس الشيء»⁽¹⁾.

- أسفل الشيء، قال ابن منظور: «الأصل أسفل كل شيء»⁽²⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:24].

- ما يستند عليه غيره أو يبنى عليه وهو قاعدته، قال الراغب: «أصل كل شيء قاعدته»⁽¹⁾.

(1) ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني، الرازي، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1399هـ - 1979م، 403/1.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 55/1.

نلاحظ من هذه التعاريف اللغوية لكلمة «الأصل» أنها تدور حول معانٍ متقاربة فهي تعود إلى القاعدة والأساس والمستند.

ثانياً: تعريف الأصول اصطلاحاً:

تنوعت إطلاقات كلمة الأصول عند العلماء، وناسب كل تعريف مجال إطلاق تلك الكلمة.

- فيطلق الأصل ويراد به: «الراجح بالنسبة إلى المرجوح»⁽²⁾.
- ويطلق الأصل ويراد به: «الكتاب الذي يرجع إليه المؤلف والمصدر الذي يعتمد في تأليفه»⁽³⁾.
- يطلق الأصل ويراد به: القانون و القاعدة كقولنا: الأصل في الفاعل الرفع.
- ويطلق الأصل ويراد به: «الصورة المقيس عليها»⁽⁴⁾.
- ويطلق الأصل ويراد به الدليل؛ نقول: «أصل هذه المسألة الكتاب والسنة أي: دليلهما»⁽⁵⁾، كقولنا:
الآية ﴿وَاحْلَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:275]؛ أصل في تحريم الربا.
- ويطلق الأصل على المحتاج إليه كما يُقال: (الأصل في الحيوان الغذاء)⁽⁶⁾.

ونجد أن جميع هذه الإطلاقات متقاربة يجمعها معنى: ما يحتاج إليه الشيء، أو يستند عليه، ولا يخفى ما في المعنيين اللغوي والاصطلاحي من تقارب.

(1) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1428هـ-2007م، 271/27.

(2) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1419هـ-1998م، ص: 122.

(3) جودت الركابي، منهج البحث الأدبي عند العرب، دار ممتاز للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1992م، ص: 79.

(4) الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م، ص: 8.

(5) المصدر نفسه، ص: 8.

(6) الكفوي، الكليات، ص: 122.

أما عن تعريف أصول التفسير كمركب إضافي، فقد ورد في تعريفها عدة أقوال، سأذكر نماذج منها:

عُرِّفت أصول التفسير بأنها: «مجموعة من القواعد والأصول العامة الذي تبين للمفسر طرق استخراج أسرار هذا الكتاب الحكيم بحسب الطاقة البشرية، وتظهر مواطن العبرة من أنبائه، وتكشف مراتب الحجج والأدلة من آياته الكريمة، فعلى هذا تعين علوم التفسير على فهم معانيه وإدراك عبره وأسراره وترسم المناهج لتعرفها، وتضع القواعد والأصول ليسير المفسر على منهاجها القويم في سيره أثناء تفسيره»⁽¹⁾.

يلاحظ على هذا التعريف أنه مفهوم أقرب منه إلى التعريف وذلك لطوله، وأنه ليس جامعا مانعا، والعذر في ذلك أنّ هذا العلم لم ينضج بعد، والباحثون فيه لم يتفقوا على مسأله بعد، فبعضهم يفرق بين القواعد والأصول، وبعضهم يجعل مسأله محصورة في عدد قليل، وبعضهم يتوسع.

ويعرفه مساعد الطيار بقوله: «هي الأسس والمقدمات العلمية التي تعين على فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معه»⁽²⁾.

أمّا الدكتور خالد السبب فيطلق على أصول التفسير، قواعد التفسير ويعرفها بقوله: "قواعد التفسير هي الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن، ومعرفة كيفية الاستفادة منها"⁽³⁾.

المطلب الثاني: أثر أصول التفسير في عصمة معاني النصوص القرآنية من الخطأ والتحريف

أولاً: وقوع الاختلاف في تفسير القرآن الكريم

لا يخفى على الدارس لعلم التفسير كثرة الأقوال في الآية الواحدة، وقد تصل هذه الأقوال إلى حدّ التناقض بينها، كما توجد أقوال فاسدة في تفسير الآية تحرفها عن مراد الله تعالى، وتختلف هذه الأقوال في الآية الواحدة باختلاف مناهج المفسرين ومرجعهم في تفسير الآية وأدوات كل مفسر، لذا نجد الكثير من كتب التفسير على اختلاف مشارب مؤلفيها تجمع بين المقبول والمردود، والحق والباطل، كما يقول شيخ الإسلام ابن

(1) خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1406هـ-1986م، ص:11.

(2) مساعد الطيار، فصول في أصول التفسير، ص:21.

(3) خالد بن عثمان السبب، قواعد التفسير جمعا ودراسة. 30 / 1

تيمية رحمه الله: « فقد سألتني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية، تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل؛ فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح والحق المبين»⁽¹⁾.

ثانياً: اهتمام المفسرين بأصول التفسير

مع ظهور المناهج المختلفة في التفسير والتي منها المقبول ومنها المردود، تطرق المفسرون إلى رد الكثير من التفاسير الدخيلة للأيات، لذا نجد الكثير من العلماء ينادون بضرورة وضع قواعد تعصم النص القرآني من الدخيل، ومن المحرّف لمعانيه، بل أصل الكثير من العلماء لطرق التفسير التي ينبغي سلوكها للمفسّر، وقعدوا القواعد ووضعوا شروطاً للمفسّر، وهذا كله يندرج تحت أصول التفسير.

فإذا جئنا إلى أئمة التفسير كمقاتل بن سليمان، و الإمام الطبري وابن عطية وابن جزري والقرطبي وغيرهم، نجدهم منضبطين بقواعد التفسير ومطبقين لأهمّ أصوله، حسب طاقتهم، مجانبين للهوى.

فانظر إلى تفسير مقاتل ابن سليمان، وتحديدًا في مقدمته وهو يصدر كتابه بمقدمة ينثر فيها من أصول التفسير ما يكون معينا لفهم كتاب الله تعالى وصيانيته عن الدخيل وتحريف المعنى، فينقل أثر ابن عباس رضي الله عنه: « تَعَلَّمُوا التَّأْوِيلَ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ أَقْوَامٌ يَتَأْوَلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ»⁽²⁾، وهذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه، صريح في الدعوة إلى إعمال أصول التفسير لأجل ضبط التأويل، ونفي التأويل الفاسد.

ويقول في المقدمة نفسها: « في القرآن خاص وعام، خاص للمسلمين وخاص في المشركين وعام لجميع الناس، ومتشابه ومحكم، ومفسر ومبهم، وإضمار وتمام وصلات في الكلام، مع ناسخ ومنسوخ، وتقدم وتأخير، وأشباه مع وجوه كثيرة وجواب في سورة أخرى، وأمثال ضربها لله عزّ وجلّ لنفسه، وأمثال ضربها للكافر والصنم، وأمثال ضربها للدنيا والبعث والآخرة وخبر الأولين وخبر ما في الجنة والنار، وخاص لمشرك

(1) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1490هـ - 1980م، ص: 07

(2) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى: 1423 هـ، 26/1.

واحد، وفرائض وأحكام وحدود، وخبر ما في قلوب المؤمنين، وخبر ما في قلوب الكافرين، وخصومة مشركي العرب، وتفسير وللتفسير تفسير»⁽¹⁾.

وتضمنت الإشارة إلى أصول التفسير عند الإمام ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره، مع تطبيق قواعد التفسير في ثنايا تفسيره، ومما ذكره في مقدمته مما يتعلق بأصول التفسير⁽²⁾:

➤ القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن ومعاني منطلق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز هو الحكمة البالغة، مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام.

➤ القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم.

➤ القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب.

➤ القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن.

➤ ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي.

➤ ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة.

➤ ذكر بعض الأخبار التي غلط في تأويلها منكرها القول في تأويل القرآن.

➤ ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموما علمه بذلك.

➤ القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه.

ويذهب الإمام الطبري إلى تقسيم القرآن من حيث وجوه تفسيره إلى ثلاثة أقسام، قسم لا يعلم تفسيره

إلا من طريق السنة، و قسم لا يعلمه إلا الله تعالى، وقسم آخر يعرف بالرجوع إلى لغة العرب.

القسم الأول: « ما لا يوصل إلى علم تأويله، إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه، من وجوه

أمره: وواجبه، وندبه، وإرشاده و صنوف نهي، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض

(1) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 27/1.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 67-20-13-8/1.

خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمته. وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله ﷺ، بتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أتمته على تأويله»⁽¹⁾.

القسم الثاني: « ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار: وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى ابن مريم، وما أشبه ذلك؛ فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشرطها، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه»⁽²⁾.

القسم الثالث: « ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، وذلك إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتهما الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجمله أحد منهم»⁽³⁾.

من خلال هذه النقول عن الإمام الطبري نجد أنه لم يهمل الإشارة إلى قواعد يعرف بها التأويل الصحيح من التأويل المردود ونجده يطبق هذه القواعد في تفسيره للآيات، ويرجح بهذه القواعد بين الأقوال المختلفة.

ومن جهة أفراد هذه الأصول باهتمام خاص وتدوينها، والتأليف فيها بشكل مستقل فقد كانت رغبة عند العديد من العلماء قديما وحديثا، فنجد الإمام الطوفي يشير إلى هذه المسألة وهي ضرورة ضبط علم التفسير ضمن ضوابط وقواعد مثله مثل باقي العلوم الأخرى يقول رحمه الله: « إنه لم يزل يتلجلج في صدري إشكال علم التفسير وما أطبق عليه أصحاب التفاسير، ولم أجد أحدا منهم كشفه في ما ألفه ولا نحاه في ما نحاه، فتفاضتني النفس الطالبة للتحقيق الناكبة عن جمر الطريق لوضع قانون يعول عليه ويصار في هذا الفن إليه»⁽⁴⁾.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 68/1.

(2) المصدر نفسه، 68/1.

(3) المصدر نفسه، 69/1.

(4) الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق، عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1409هـ-1979م، ص 27.

ويقول الصبّاغ: «ونود أن نقرر الآن أن هناك ضرورة علمية ملحة لإفراد مباحث هذا العلم أي علم أصول التفسير وإبرازها تحت عنوان قرآني متميز وفي حيز خاص لخدمة كتاب الله، ذلك لأن بقاء تلك المباحث العميقة، والقواعد الرائعة حيث ذكرنا، ولاسيما في علم أصول الفقه، لأن بقاءها هناك يجعلها بعيدة عن ساحة الحضور والتصور، ويجعل فائدتها قليلة، وربما لا يذكرها عند التصدي للتفسير من سبق له أن اطلع عليها، بله من لم يقرأها ولم يسمع بها»⁽¹⁾.

أما باكورة المؤلفات المفردة في بعض مسائل أصول التفسير فقد حاز قصب السبق فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في مؤلفه الموسوم بـ: (مقدمة في أصول التفسير) حيث يقول رحمه الله في الدافع إلى تأليفه: «أما بعد: فقد سألتني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه والتميز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل والتبنييه على الدليل الفاصل بين الأقاويل»⁽²⁾.

ونلاحظ في عبارات شيخ الإسلام أنه وإن لم يستوعب أصول التفسير إلا أنه أصل بحق لهذا العلم، وذكر ثمرة هذا العلم هو تسهيل فهم كتاب الله تعالى، وتمييز الغث من السمين؛ وعليه فإن علم أصول التفسير لا غنى عنه لضبط علم تفسير القرآن الكريم وفق المنهج القويم.

يقول خالد العك مبيّناً أهمية هذا العلم وأثره في ضبط علم التفسير: «وإن مثل علم أصول التفسير بالنسبة للتفسير، كمثّل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية، فهو ميزان يضبط القلم واللسان، ويمنعهما من الخطأ في آخر الكلم، فكذلك علم أصول التفسير هو ميزان للمفسر يضبطه ويمنعه من الخطأ في التفسير، ولأنه ميزان فإنه يتبين به التفسير الصحيح من التفسير الفاسد، كما يعرف بالنحو الكلام الصحيح من الكلام غير الصحيح، وكما يعرف بالمنطق البرهان العلمي المنتج من البرهان العلمي غير المنتج، وهكذا»⁽³⁾.

(1) الصبّاغ، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م، ص: 18.

(2) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 7.

(3) خالد العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م، ص: 30-31.

ويقول الصباغ: « وعلم أصول التفسير بوصفه هذا يعبر عن منهجية رائعة، فأمة الإسلام عرفت هذه المنهجية في كافة جوانب الثقافة والفكر .. وبسبب هذه المنهجية استطاع المسلمون أن يتخذوا المنهج التجريبي أساسا يصدر عن حياة العلماء العلمية قبل أن يتوصل إليه الغرب، بل المنصفون من علماء الغرب يعترفون بأن المنهج التجريبي هو هدية المسلمين إلى الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية»⁽¹⁾.

من خلال ما سبق معنا يمكن ذكر أهمية علم أصول التفسير وفوائده فيما يلي:

- تعين أصول التفسير على فهم كتاب الله تعالى.
- ترسم المنهج الصحيح الذي يسير عليه المفسر.
- معرفة مصادر التفسير.
- تعين أصول التفسير على الترجيح بين أقوال المفسرين المختلفة.
- صيانة كتاب الله تعالى عن الأقوال الباطلة.
- تنقيح التفاسير من الأقوال الباطلة والمردودة.

(1) محمد لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير ص:10.

المبحث الثاني: أصول التفسير عند أهل السنة

يلزم المشتغل بتفسير القرآن الكريم أن يسير وفق طرق صحيحة، وأصول منضبطة، تعصم النصّ القرآني من التحريف، وتحول دون تسور الأدياء لهذا العلم، ووضع سدّ منيع لصدّ عدوان الطوائف المختلفة التي سلكت في التعامل مع النصّ مسالك خاطئة، كانت نتيجتها تأويل فاسد لنصوص القرآن الكريم، وأحسن طرق التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن، ثم يفسّر بالسنة، ثم يفسّر بأقوال الصحابة، ثم يفسّر بأقوال التابعين، ثم يفسّر القرآن بالرأي.

وسأذكر في ثنايا هذا المبحث أهم الطرق وأحسنها في تفسير نصوص الوحي من خلال عدة مطالب.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

يأتي تفسير القرآن بالقرآن في المرتبة الأولى من طرق التفسير، فهو المصدر الأول، فالله تعالى أعلم بكلامه، فإذا وردت آية أو كلمة في القرآن الكريم وورد ما يفسرها في آيات أخرى وجب القول بهذا التفسير. وفي ذلك يقول ابن تيمية: « إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختُصر من مكان فقد بُسط في موضع آخر»⁽¹⁾.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه سار على هذه الطريقة في تفسيره للقرآن، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:82]. شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]»⁽²⁾.

(1) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص:39.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، رقم: 1، 15/32. ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، رقم: 124، 114/1. والترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام، رقم: 3067، 112/5.

وقد سار الصحابة رضي الله عنهم على هذا المنهج في التفسير - تفسير القرآن بالقرآن - لأنهم كانوا يعرفون أن هذه هي أمثل طريقة للتفسير، ومن ذلك ما رواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير:7]؛ قال: هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات:22]، قال: ضُرِبَاءَهُمْ»⁽¹⁾.

وقد ورد عن الحسن بن علي أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَشَهِدِ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:03]. فقال: «الشاهد، محمد ﷺ، ثم قرأ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:41]، والمشهود، يوم القيامة ثم قرأ: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود:103]»⁽²⁾.

وكان للتابعين نصيب من تفسير القرآن بالقرآن، وكتب التفسير حافلة بذلك، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:14]. قال مجاهد: «الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشى الذنوب عليه قال مجاهد: مثل الآية التي في سورة البقرة ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:28]»⁽³⁾.

ثم تتابع العلماء في التأليف في هذا المنهج - تفسير القرآن بالقرآن - فظهرت مؤلفات عدّة، انتهج مؤلفوها هذا المنهج إما في الكثير من الآيات، كصنيع الإمام ابن كثير والإمام الصنعاني في تفسيريهما، أو أغلب الآيات كصنيع الإمام محمد الأمين الشنقيطي⁽⁴⁾ في تفسيره، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن».

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 141/24.

(2) مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق، الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1989 م، ص716.

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 289/24.

(4) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر مدرّس من علماء شنقيط موريتانيا . ولد سنة 1325 هـ، وحج سنة 1367 هـ، واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة 1381 هـ،

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة

تأتي السنة في المرتبة الثانية في الاستدلال بعد القرآن الكريم، فهي شارحة ومبيّنة للقرآن بصريح الآيات وصحيح الأحاديث، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:80]، وقال في آية أخرى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:44].

ولا أدل على مكانة السنة من أمر ربنا جل وعلا بأن نرد ما تنازعنا فيه إلى السنة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59].

وفي حجية السنة، يقول المصطفى ﷺ: «لِيُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرْيَكْتِهِ، يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ، اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ، حَرَمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، هُوَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى»⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذه السنة إذا ثبتت، فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها»⁽²⁾.

هذا عن مكانة السنة من التشريع عموماً، أما مكانتها في التفسير خصوصاً فلها المرتبة نفسها، وعليه فإن

وتوفي بمكة. له كتب، منها "أضواء البيان في تفسير القرآن" و"منع جواز المجاز" و"منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات" و"دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب" توفي رحمه الله سنة 1393 هـ، ينظر ترجمته في: (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزكلي دمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، 2002 م، الأعلام، 6/45-46).

(1) أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب العلم، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم: 2664، 335/4،

أبو داود، كتاب: السنة، باب: باب في لزوم السنة، رقم: 4604، 13/7.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 85/19-86.

«سنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن كما فسرت أعداد الصلوات وقدر القراءة فيها والجهر والمخافتة وكما فسرت فرائض الزكاة ونصبها وكما فسرت المناسك وقدر الطواف بالبيت والسعي ورمي الجمار ونحو ذلك»⁽¹⁾.

وقد نُقل عن النبي ﷺ تفسير بعض الآيات⁽²⁾، فمن ذلك ما رواه مسلم عن مسروق بن الأجدع قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدةٍ منهنَّ فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13]؟، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيتُه منهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض)»،⁽³⁾ فقول النبي ﷺ لعائشة يعتبر تفسيراً وإيضاحاً للآية الكريمة أن الذي رآه بالأفق المبين هو جبريل عليه السلام.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَى: يَا جَبْرِيلُ إِنِّي أَحْبَبْتُ فَلَانًا فَأَجِبْهُ، قَالَ: فِينَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا نَادَى: يَا جَبْرِيلُ، إِنِّي أَبْغَضْتُ فَلَانًا فِينَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه، 85/19.

(2) مسألة مقدار ما فسره النبي ﷺ محلَّ خلاف بين العلماء، أعرضت عن ذكرها هنا، تنظر المسألة في مظانها من كتب علوم القرآن وقد أفاض فيها القول؛ محمد حسين الذهبي رحمه الله، ينظر: (محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/39).

(3) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم، 13]، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، رقم: 177، 159/1.

(4) أخرجه الترمذي، في الجامع الكبير، كتاب: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم، رقم: 3161، 169/5.

فهذه بعض النماذج التي توصل لهذا المنهج القويم، في تفسير القرآن الكريم وهو تفسير القرآن بالسنة، وعليه فإن المفسر للقرآن ينتقل إلى السنة إذا لم يجد تفسير الآية أو الكلمة في القرآن، يقول ابن تيمية رحمه الله: « فإن أعيك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٥ ﴾ [النساء:105]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾ [النحل:44]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٦ ﴾ [النحل:64]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السنة»⁽¹⁾.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

للصحابه المكانة السامية والمنزلة الرفيعة بعد النبي ﷺ، فقد أثنى عليهم ربنا جلّ وعلا ونطق القرآن بفضلتهم وأثنى عليهم المصطفى عليه الصلاة والسلام، في أحاديث كثيرة.

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨ ﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُفْسِهِ فُؤَادًا لَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩ ﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر:8-10].

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 363/13.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]. والآيات في ذلك كثيرة.

وجاءت السنة النبوية حافلة بمآثرهم وفضائلهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قول الله عز وجل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: 59]. قال: أصحاب محمد ﷺ»⁽²⁾.

وأما مكانة الصحابة في العلم عامة وعلم التفسير خاصة، فقد برز علماء في التفسير، صاروا مرجعا لمن بعدهم، وقد «اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير»⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري، كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: باب قول النبي ﷺ: لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، رقم: 3673، 8/5.

ومسلم، باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم: 2540، 4/1967.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 2/20.

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4/233.

مع العلم أن الصحابة ليسوا في مرتبة واحدة في علم التفسير، بل إنهم يتفاوتون انطلاقاً من مكتسباتهم المعرفية في علم التفسير؛ يقول محمد حسين الذهبي: «الحق أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع، إلى اختلافهم في أدوات الفهم، فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملماً بغريبها، ومنهم دون ذلك، ومنهم من كان يلزم النبي ﷺ فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، أضف إلى هذا وذاك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً»⁽¹⁾.

وإذا كان الصحابة المشتهرين بالتفسير قد شهدوا الوحي، فإن أقوالهم في التفسير مقدمة على غيرهم، فعلى المشتغل بالتفسير ألا يغفل عن أقوالهم، يقول ابن القيم رحمه الله: «لا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم»⁽²⁾.

ويقول ابن تيمية في بيان أهمية تفسير الصحابة رضي الله عنهم: «وحيث، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبرائهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود»⁽³⁾.

المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين

لا شك أن أشرف ما ورثه الصحابة عن النبي ﷺ هو العلم، وأشرفه ما تعلق بكتاب الله تعالى، فقد تلقفوا ما تعلموه عن النبي ﷺ، وما تعلموه وسمعوه من كبار الصحابة، وقام الصحابة بتبليغ ما تعلموه إلى التابعين الذين بدورهم أقبلوا على هذا العلم الجليل، وبرز منهم مفسرون فاقت شهرتهم الآفاق.

(1) الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير و المفسرون، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م، 36/1.

(2) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 31/6.

(3) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 40.

وعليه فإنّ المفسر لكتاب الله تعالى يجب ألا يغفل أقوالهم في التفسير لأنهم أقرب للصحابة، قال ابن تيمية: « إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد قال: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»⁽¹⁾.

هذا ويجب التنبيه إلى مسألة قيمة تفسير التابعي، وهي أنّ تفسير التابعي عند المحققين ليس في منزلة تفسير الصحابي، بل ذهب الكثير من العلماء إلى أنها ليست بحجة في التفسير، « قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير!! يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا، فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم»⁽²⁾.

وهذا القول هو الصواب الذي يؤيده صنيع العلماء في تفاسيرهم، فإنهم يذكرون أقوال التابعين فيقبلونها في أحيان كثيرة، ويردونها في أخرى.

المطلب الخامس: التفسير بالرأي

يعدّ الاجتهاد أو التفسير بالرأي من الأدوات التي يحتاجها المفسر لمعرفة مراد الله تعالى من الآيات، والكثير من الآيات تدعو إلى الاجتهاد في فهم كتاب الله تعالى، وتدبره، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، فالمتدبر لكتاب الله يبذل وسعه ويعمل رأيه واجتهاده للوصول إلى معاني الآيات، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

(1) المصدر نفسه، ص: 44.

(2) المصدر نفسه، ص: 45-46.

والتفسير بالرأي أو بالاجتهاد هو « عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر» (1)

وقد كان علماء السلف من المفسرين يتورعون كثيرا من إعمال الرأي في التفسير، خشية الخطأ، ووردت عنهم آثار كثيرة تدل على ذلك، قال عبيد الله بن عمر: « لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع» (2).

ومع ذلك فقد ورد التفسير بالاجتهاد عن الكثير منهم قال ابن عطية رحمه الله: « وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لأنفسهم، مع إدراكهم، وتقدمهم، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم» (3).

وأما الآثار التي تنهى عن تفسير القرآن بالرأي كالحديث الذي يروى عن النبي ﷺ: « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (4) وحديث: « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (5)، هذه - وإن كانت ضعيفة-، فقد وجهها العلماء إلى الرأي المذموم، الذي يفتقد صاحبه لشروط المفسر، ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه، دون نظر فيما قال العلماء، أو اقتضته

(1) الذهبي، التفسير و المفسرون، 221/1.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 37/1.

(3) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422 هـ، 41/1.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم: 2952، 200/5.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم: 2950، 199/5.

قوانين العلوم كالتحوي، والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه»⁽¹⁾.

وقال ابن تيمية رحمه الله: « فمن قال في القرآن برأيه، فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر، لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل، فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب»⁽²⁾.

المطلب السادس: تفسير القرآن باللغة

العلم باللغة العربية من أهم شروط المفسر، فلا يفهم كتاب الله تعالى بعيداً عن اللغة، لأنه نزل بلسان عربي، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: 192 - 195] ، وخاطب العرب الذين نزل في بيئتهم، ولا يوجد مفسر لا يرجع إلى معاني الكلمات اللغوية، وأساليب العرب في كلامها، فهي سور يحمي معاني الكلمات القرآنية من الدخيل، فلا يجوز تفسير كلمة من كتاب الله تعالى على غير ما ورد عند العرب، وقد اشتد نكير العلماء على من تصدر للتفسير وهو جاهل باللغة العربية، فمن ذلك ما جاء عن الإمام مالك رحمه الله قوله: « لا أوتى برجل يفسر كلام الله وهو لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نكالا»⁽³⁾.

وعن الحسن أن رجلاً سأله فقال: «يا أبا سعيد، الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟، قال: حسن يا ابن أخي فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية، فيعيا بوجهها فيهلك»⁽⁴⁾.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 41/1.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 371/13.

(3) الهروي، أبو إسماعيل، ذم الكلام وأهله، تحقيق: أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى: 1419 هـ - 1998 م، 130/4.

(4) أبو غبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، وفصائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م، ص: 350.

والمقصود بلغة العرب، ألفاظها وأساليبها، وغير ذلك قال الشاطبي رحمه الله: «فإن قلنا إنَّ القرآنَ نزلَ بلسانِ العربِ، وإنَّه عربيٌّ، وإنه لا عُجْمَةٌ فيه، فيعني أنه أنزلَ على لسانِ معهودِ العربِ في ألفاظها الخاصةِ وأساليبِ معانيها»⁽¹⁾.

وتفسير القرآن الكريم بالرجوع إلى اللغة العربية هو صنيع الصحابة رضي الله عنهم فقد كانوا إذا أشكلت عليهم كلمة في كتاب الله بحثوا عنها في كلام العرب، ومن أمثلة ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125]، بنصب راء حَرَجًا، وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضَيِّقًا حَرَجًا، فقال عمر: «ابغوني رجلاً من كنانة، واجعلوه راعياً، وليكن مدليجاً، فأتوا به، فقال له عمر رضي الله عنه: يا فتى ما الحرجة؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية، ولا وحشية، ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير»⁽²⁾.

ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 14]؛ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، يقول: أنا ابتدأتهما»⁽³⁾، وهو الذي اشتهر بمعرفة الشعر ولسان العرب فكان يقول رضي الله عنه: «إذا سألتموني عن عربية القرآن، فالتمسوه بالشعر، فإن الشعر ديوان العرب»⁽⁴⁾، وكان رضي الله عنه حينما يسأل عن كلمة من القرآن، ربما استشهد لها من شعر العرب، فعن عبید الله بن عبد الله بن عتبة، قال: «شهدت ابن عباس، وهو يسأل عن عربية القرآن، فينشد الشعر»⁽⁵⁾.

(1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، تحقيق: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: 1417هـ - 1997م، 103/2.

(2) الطبري، جامع البيان، 544 / 9 - 545، البغوي، معالم التنزيل، 186 / 3.

(3) أبو عبید، فضائل القرآن، ص: 345، الطبري، جامع البيان، 175 / 9.

(4) أخرجه الحاكم، كتاب: التفسير، باب: تفسير ن والقلم، رقم: 3845، 542 / 2.

(5) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1402 هـ - 1982 م، 61/1.

ومن أوجه استعمال اللغة في التفسير عندهم، إحالة السائل عن تفسير القرآن إلى اللغة العربية، والتأكيد على أنه لو كان عربياً ما أشكل عليه معنى الآية⁽¹⁾.

في مسائل نافع ابن الأزرق لابن عباس ما يؤكد رجوع الصحابة إلى لغة العرب في تفسير القرآن الكريم، بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، إذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن، وعن الحلال والحرام، وإذا هو يتعالي بشيء يسألونه عنه، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عريم: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: يا ابن عباس، ما يملك على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم لك به، أشياء سمعته من رسول الله ﷺ أم هذا منك تحرصا، فإن كان هذا منك تحرصا فهذه والله الجرأة على الله عز وجل، فقال ابن عباس مجيباً لنافع بن الأزرق: لا والله، ما هذا مني تحرصا، لكنه علم علم علمنيه الله، ولكني سأدلك على من هو أجراً مني يا ابن الأزرق؟، قال: دلني عليه، فقال: رجل تكلم بما لا علم له به، أو رجل كتم الناس علماً علمه الله عز وجل، فذاك أجراً مني يا ابن الأزرق، وقال نجدة: فإنك تريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عز وجل، فتفسره لنا، وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله عز وجل أنزل القرآن بلسان عربي مبين، قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضراً إن شاء الله تعالى فقالا: يا ابن عباس: أخبرنا عن قول الله عز وجل: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: 37]، قال: عزين: حلق الرفاق، قالوا: وهل تعرف العرب ذلك؟، قال: نعم، أما سمعت عبید بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى * يكونوا حول منبره عزينا⁽²⁾.

ثم مضيا يسألانه عن الكثير من كلمات القرآن وهو يستشهد لهما من شعر العرب على المعنى الذي ذهب إليه.

(1) عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، نقد الصحابة والتابعين للتفسير، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، العام الجامعي: 1427هـ - 1428 هـ، ص: 138.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 68/2.

ومن تأمل تفسير القرآن في الآثار المنقولة عن الصحابة أو التابعين أو أتباعهم، فإنه سيجد ما كان مرجعه اللغة له الحظ الأوفر، والنصيب الأكثر، بل سيجد أن تعدد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب كان سبباً في اختلاف المفسرين، فمنهم من اجتهد رأيه واعتمد معني، ومنهم من اجتهد رأيه واعتمد معني آخر، وكلاهما كان معتمده الأول ورود هذا المعنى في لغة العرب، ثم صحه حمل هذا اللفظ على الآية⁽¹⁾

وقد استعمل المفسرون اللغة العربية للترجيح بين الأقوال، في اختلاف النوع، أو اختلاف التضاد في أقوال التفسير، ورد الكثير من الأقوال التي تخالف الألفاظ العربية والأساليب، فمثلاً نجد الإمام الطبري وهو يرجع إلى اللغة العربية وأساليبها، في ترجيح معنى كلمة قرآنية جاء فيها خلاف بين المفسرين، وهي كلمة البرد في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا:24]، فقال رحمه الله: « وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد في هذا الموضع النوم، وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوماً ولا شراباً، واستشهد لقيه ذلك بقول الكندي:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِي ... عَنْهَا وَعَنْ قُبُلَاتِهَا الْبَرْدُ

يعني بالبرد: التُّعَاس، والنوم إن كان يُبْرَدُ غَلِيلَ الْعَطَشِ، فقليل له من أجل ذلك البرد فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره «⁽²⁾.

وكذلك نجد الإمام فخر الدين الرازي وهو يتكلم عن الحروف المقطعة في أوائل السور، يذكر قولاً للمفسرين فيها ثم يرده لمخالفته أساليب العرب، حيث جعل بعض المفسرين الحروف المقطعة عبارة عن أسماء مركبة وجعل من وجوه ردّ هذا القول، « أن القرآن نزل بلسان العرب، وهم ما تجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين نحو معد يكرب وبعلبك، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة، فالقول بأنها أسماء السور خروج عن لغة العرب، وأنه غير جائز»⁽³⁾.

(1) مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن، ص: 06.

(2) الطبري، جامع البيان، 163/4-164.

(3) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، مفاتيح الغيب، تحقيق: الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2000 م، 9/2.

وحيثما خالف سهل التستري في تفسير بعض الآيات المعهود من لغة العرب حيث فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:96] بقوله: «باطن البيت قلب محمد ﷺ يؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد واقتدى بهدايته»⁽¹⁾؛ تعقبه الشاطبي بقوله: « وهذا التفسير يحتاج إلى بيان؛ فإن هذا المعنى لا تعرفه العرب، ولا فيه من جهتها وضع مجازي مناسب، ولا يلائمه مساق بحال؛ فكيف هذا؟»⁽²⁾.

وعليه فلا بدّ من الرجوع إلى اللغة في التعامل مع تفسير النصوص وإلا كان الزلل من نصيب المفسّر الذي لا يعتمد على اللغة، والكثير من الطوائف المنحرفة حرّفت معاني القرآن الكريم حينما لم تقم للغة العربية وزناً، كالطوائف التي انتهجت المنهج الباطني، كما سيأتي معنا في ثنايا هذا البحث - إن شاء الله - .

وخلاصة القول: ومن خلال ما مرّ معنا نجد أن مفسري أهل السنة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم، كان لهم منهج علمي متين في التعامل مع تفسير كتاب الله تعالى حيث التزموا بأصول التفسير وقواعده، وقعدوا له في مقدمات تفاسيرهم وفي ثنايا التفسير، حيث كانوا يرجعون إلى القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين واللغة العربية، مع البعد عن الهوى في تطبيق هذه الأصول والقواعد، وما وقع منهم من أخطاء في التفسير فهي أخطاء غير مقصودة بل عن اجتهاد. ومع هذا فتنقيح تفاسير أهل السنة مما علق بها تبقى الدعوة التي ينادي بها المحققون في كل عصر، حتى لا يتجرأ السفهاء على ثراث الأمة التفسيري.

(1) الشاطبي، الموافقات، 247/4

(2) المصدر نفسه، 247/4

المبحث الثالث: أصول التفسير عند الشيعة

سبق معنا أن علم أصول التفسير لم يكن مستقلاً بالتدوين إلا في العصور المتأخرة، بل كان مبعوثاً في كتب علوم القرآن، وفي مقدمات التفاسير، ومن أفردته بالتأليف وإنما تناول طرفاً من مسأله فحسب، ثم ظهرت المؤلفات في العصر الحديث التي تناولت أصول التفسير عامة وقواعده خاصة، وحاولت جمع شتات مسائل هذا العلم، ودونت العديد من المؤلفات في هذا المضمار، ولم يكن الاهتمام بأصول التفسير خاصاً بعلماء السنة فحسب، بل ظهرت محاولات عديدة عند مؤلفي الشيعة للتقعيد لعلم أصول التفسير، وسأحاول في هذا المبحث الحديث عن أصول التفسير وقواعده عند الشيعة.

المطلب الأول: تعريف أصول التفسير عند الشيعة

لقيت أصول التفسير وقواعده اهتمام مؤلفي الشيعة في العصر الحديث، وقد يرجع ذلك إلى تأثرهم بما كتبه أهل السنة في هذا المضمار ويظهر ذلك إلى سبق أهل السنة في التأليف في أصول التفسير وقواعده استقلاً، ولم نجد من عرّف أصول التفسير من الشيعة الذين كتبوا في هذا الفن لكن وجدنا تعريفاً للقاعدة التفسيرية، عند المازندراني إذ عرّفها بقوله: « القاعدة التفسيرية هي قاعدة ممهدة لتحصيل الحجة على استكشاف مراد الله تعالى من الآيات القرآنية، وإن شئت فقل: هي قاعدة ممهدة للاحتجاج بها على تفسير القرآن»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أهم مسائل أصول التفسير في مؤلفات الشيعة

لم يُعرف للشيعة كبير اهتمام بالتأليف في أصول التفسير، لكن وجدت العديد من النصوص في مقدمات تفاسيرهم تدرس موضوعات يمكن تصنيفها ضمن أصول التفسير، وقد اشتركوا مع أهل السنة في العديد من الأصول، وانفردوا بأصول خاصة بهم، والمتفق عليه من الأصول تعسفوا في تطبيقه بما يخدم مذهبهم وعقيدتهم. ومن الكتب التي تناولت مسائل أصول التفسير؛ "تفسير الميزان" للطباطبائي، وقد ذكر ذلك في مقدمته، ومن أهم المباحث فيها:

➤ تعريف التفسير

(1) المازندراني، علي أكبر السيفي، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، طهران، الطبعة الأولى: 1428هـ، 1/165.

➤ التفسير عند الصحابة والتابعين وبعض مميزات

➤ ذكر الاتجاهات المختلفة في التفسير

وفي "تفسير البيان" لأبي القاسم الموسوي الخوئي مسائل عدّة من أصول التفسير، فهو يذكر مثلاً ما ينبغي للمفسّر تجاه الآيات القرآنية بحسب موضوعها فيجب عليه كما يقول: « أن يجري مع الآية حيث تجري، ويكشف معناها حيث تشير، ويوضح دلالتها حيث تدل . عليه أن يكون حكيماً حين تشتمل الآية على الحكمة، وخلقياً حين ترشد الآية إلى الأخلاق، وفقياً حين تتعرض للفق، واجتماعياً حين تبحث في الاجتماع، وشيئاً آخر حين تنظر في أشياء أخرى، على المفسر أن يوضح الفن الذي يظهر في الآية، والأدب الذي يتجلى بلفظها، عليه أن يجرر دائرة لمعارف القرآن إذا أراد أن يكون مفسراً»⁽¹⁾.

ومن المسائل في تفسير البيان:

➤ التدبر في القرآن ومعرفة تفسيره

➤ القرآن والقواعد العربية

➤ أسلوب القرآن في جمعه بين المواضيع المختلفة

➤ اللغات الفصيحة

➤ اللهجات المختلفة

➤ صيانة القرآن من التحريف

➤ حجية ظواهر القرآن

➤ الاختلاف في القراءات

➤ النسخ في القرآن

كما عقد الخوئي فصلاً بعنوان: أصول التفسير⁽²⁾، مما يدل على أنه مهتم بعلم أصول التفسير، ومما جاء تحت هذا العنوان: مدارك التفسير، إذ يقول فيه: « ولا بد للمفسر من أن يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح، فقد بينا لك حجية الظواهر، أو يتبع ما حكم به العقل الفطري الصحيح فإنه حجة من الداخل

(1) الخوئي، أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، أنوار الهدى للنشر والتوزيع، طهران، الطبعة الثامنة: 1401هـ -

1981م، ص 12.

(2) الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص: 396.

كما أن النبي حجة من الخارج، أو يتبع ما ثبت عن المعصومين عليهم السلام فإنهم المراجع في الدين، والذين أوصى النبي صلى الله عليه وآله بوجوب التمسك بهم»⁽¹⁾.

وهذه العبارة صريحة في تحديد مرتكزات التفسير عند الشيعة، والتي ساروا عليها في مؤلفاتهم وتفسيرهم فمن ذلك:

- إتباع ظاهر القرآن في التفسير
- التأويل بالمعنى الباطن للقرآن
- تحكيم العقل
- التفسير بما ثبت عن أئمتهم.

ومن المؤلفات الشيعية التي أفردت أصول التفسير بالتأليف، وصدرت عناوينها بأصول التفسير، أو قواعد التفسير نذكر ما يلي:

- مقدمات في علم التفسير، لصدر الدين القبانجي

يعدّ هذا الكتاب من كتب الشيعة التي اهتمت بعلم أصول التفسير، وقد ذكر المؤلف العديد من الموضوعات التي يمكن أن تندرج تحت أصول التفسير ومما جاء فيه:

- التفسير معناه وشروطه
- الدراسة الكاملة للموضوع الواحد
- معرفة المقاصد والأهداف القرآنية
- معرفة اللغة العربية وعلومها
- الأخذ بالسنة الشريفة
- استنطاق القرآن
- التفسير بالرأي

(1) المصدر نفسه، ص: 397.

➤ العلوم التي يجب أن يطلع عليها المفسر

وقد عقد المؤلف فصلاً بعنوان (القواعد الأساسية في التفسير) وفصّل فيها وهي:

➤ قاعدة اعتماد الظهور القرآني

➤ قاعدة اتباع عموم اللفظ

➤ قاعدة اتباع عموم العلة

➤ قاعدة اتباع عموم الفكرة

➤ قاعدة اتباع الاصطلاح القرآني

➤ قاعدة تفسير القرآن بالقرآن

➤ قاعدة تفسير القرآن بالسنة

- دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، لعلي أكبر السيفي المازندراني

يعدّ هذا الكتاب أيضاً من المؤلفات التي اهتمت بقواعد التفسير، وسماها القواعد التفسيرية، وهي تندرج ضمن أصول التفسير من منظور الشيعة، ويذكر المؤلف أهمية القواعد التفسيرية في مقدمة كتابه، ممّا يدلّ على اتجاه الشيعة نحو أصول التفسير وقواعده وتنزيلها المتعسف في أغلب الأحيان على التفسير لإثبات ما لديهم من باطل.

يقول المازندراني: « فلا يخفى على ذوي البصيرة أهمية القواعد التفسيرية ومنصّتها الخطيرة في تفسير القرآن الكريم وهي قواعد ممهدة لتحصيل الحجّة على استكشاف مراد الله من الآيات القرآنية، الذي هو الغرض الأصلي من علم التفسير، كما لا يخفى عليك ما يكون من الفرق الأساسي بين القواعد التفسيرية وبين علم تفسير القرآن، وسيأتي تفصيل ذلك عند البحث عن القواعد التفسيرية، ونبحث في هذه المسائل عن قواعد ومسائل مرتبطة بعلم التفسير ودخيلة فيه بصورة كبريات وقواعد عامة»⁽¹⁾.

(1) المازندراني، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، 8/1.

- توشيح التفسير في قواعد التفسير والتأويل، لمحمد بن سليمان التنكابني.

خصص المؤلف الباب الثاني من كتابه لقواعد التفسير، وعنونها بـ: نُبذ من قواعد التفسير والتأويل حسبما ساقني إليه الدليل ودلّ عليه المعقول والمنقول⁽¹⁾.

ومما جاء من مسائل أصول التفسير:

- نزول القرآن الكريم
- حسن نظم القرآن وبلاغته وسلاسته.
- الرد على بعض الشبهات بالرجوع إلى اللغة
- سر التكرير في القرآن الكريم
- أصل الجري في القرآن الكريم⁽²⁾.

كما ذكر التنكابني مجموعة من الكليات التي تعد قواعد للتفسير بمفهوم الشيعة الفاسد، ومن ذلك:

- «إطلاق الذكر في القرآن ينصرف إلى ولاية وليّ الله وصيّ خاتم الأوصياء كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ [الفرقان:29]؛ وغير ذلك من الموارد»⁽³⁾.

- «الطاغوت ينصرف إلى الفرد الكامل وهو عدو وليّ الله، وغاصب حقه»⁽⁴⁾.

- «الشجرة الملعونة في القرآن مأولة ببني أمية وآل أبي سفيان، فإنّ الشجرة الغير المثمرة، بل المثمرة بثمره مُرّ، كشجرة الرّقوم، هي حقيقة السلاطين المتغلبين في الكفرة الفسقة الفجرة، وأكملهم آل أبي سفيان لما صدر منهم بالمشاهدة والعيان من مخالفتهم لعتره الرسول والقرآن، وذلك غني عن التبيان، ويشهد به ما ورد أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:33] وقوله تعالى: ﴿وَنُحُوتُهُمْ فَمَا

1) محمد بن سليمان التنكابني، توشيح التفسير في قواعد التفسير والتأويل، مؤسسة شمس الضحى الثقافية، طهران، الطبعة الأولى: 1432هـ، ص: 41.

2) المرجع نفسه ص: 29.

3) المرجع نفسه، ص: 58.

4) المرجع نفسه، ص: 58.

يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُعِينًا» [الإسراء:60] هو يزيد بن معاوية عليهما الهاوية، فالمطلق في هذا المقام ينصرف إلى الكامل في الشرّ والنقصان، وفيما ذكرنا في ذلك الفصل كفاية لمن حام حول حمى الفرقان بالنسبة إلى تأويل مطلقات كلام الله الملك المتأن «(1)».

ونجد التنكابي، يسلك المسلك الباطني كأصل من أصول التفسير في كتابه ومن ذلك تفسير قول الله تعالى: ﴿حَمَّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان:1-4]

يقول المؤلف: « المراد بالليلة المباركة، ليلة القدر، وهذا في مقام الظاهر، وأما في مقام الباطن ففي الكافي عن الكاظم عليه السلام: أنه سأله نصراني عن تفسير هذه الآية في الباطن فقال عليه السلام: أما ﴿حَمَّ﴾ [الدخان:1] فهو محمد وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه، وهو منقوص الحروف. وأما (الكتاب المبين) فهو أمير المؤمنين عليه السلام، وأما الليلة، ففاطمة عليها السلام، وأما قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:1] يقول يخرج منها خير كثير فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم فقال الرجل: صف لي الأول والآخر من هؤلاء الرجال؟ فقال عليه السلام: إن الصفات تشتهبه، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله، وأنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا وقديماً ما فعلتم، الحديث» (2).

ثم يشرح المصنف هذه الرواية قائلاً: « فهذا الخبر دلّ على أنّ الكتاب هو أمير المؤمنين، والليلة المباركة، فاطمة الصديقة أمّ الأئمة الميامين، أي أنزلنا أمير المؤمنين في بيت أي فاطمة، ولما ورد هذا التفسير حسبما بيّن في التحرير تسرينا وتعدينا وأجرينا هذا التقرير في النظر، وقرّرناه في سورة القدر بهذا التقرير، ويؤيده ما ورد أيضاً أنّ المراد بـ ﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:3]، ألف شهر تملكه بنو أمية³، أي أعطيناك فاطمة وهي خير

(1) التنكابي، توشيح التفسير، ص:59.

(2) المرجع نفسه، ص:60.

(3) محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للمفيد، تحقيق: حسن الموسوي، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة:1365هـ.

من ألف شهر تملكه بنو أمية، والمراد بـ ﴿مَطَّلَعُ الْفَجْرِ ٥﴾ [القدر:5] حينئذٍ ولادة الحسين عليه السلام يعني أنّ فاطمة عليها السلام، كانت في سلامة من المصائب وعافية ممّا في تلك النشأة من البليّات والمعائب، إلى أن ولدت مفخر الأطائب، محطّ رحال النوائب، الحسين المقتول بأبدي النواصب، إذ بعد ولادتها والاطلاع على ما يرد عليه من المصائب، ويتجمّع عليه الكتائب، وضيق عليه المطاعم والمشارب، ويشال رأسه على رماح أرياب المثالب، أقبلت على فاطمة رزايا جليلة، ومصائب عظيمة، وصار يومها كالليلة الدهماء، وأقبلت جيوش الهمّ والغمّ إليها، وإمّا أولنا الفجر بالحسين، إذ ورد في الأخبار المعتمدة في البين في ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ و﴿لَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ و﴿الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ [الفجر:3] أنّ الفجر هو الحسين، فإنّه طلع من بروج الإمامة وظهر من التهامة مع الجيوش والأعلام والعلامة، وذلك بعد اختفاء شمس الولاية، وشهادة بدر فلك الخلافة، أعني أمير المؤمنين وصنوه الحسن، فجاهد لإقامة ما هو للإسلام دعامة، فذاق من كؤوس الشهادة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وورد أنّ المراد بـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ [الفجر:2]، الأئمة العشرة أي الحسن والأئمة من ذريّة الحسين سوى مهديّ الأئمة، فإنّهم للتقيّة والخوف عن الفجرة الفسقة الكفرة صاروا في الغروب والأفول، وقعدوا في زوايا الخمول، فشبّههم الله تعالى بالليل المستور المغمور، ﴿وَالشَّفْعِ﴾ [الفجر:3] أول كما في الخبر بقالع باب الخير، إذ هو شفّع لفاطمة ﴿وَالْوَتْرِ ٣﴾ [الفجر:3]، هو الرسول لكونه فردًا وترًا في المرتبة والمقام عند أرياب العقول لا يشاركه شيءٌ في قوسي الصعود والنزول»⁽¹⁾.

المطلب الثالث: مرتكزات التفسير عند الشيعة

بعد أن بينتُ في المطلب السابق وجود أصول التفسير وقواعده متناثرة في مؤلفات الشيعة سواء في مقدمات التفاسير، أو في كتب مستقلة في أصول التفسير وقواعده، سأذكر في هذا المطلب أهم مرتكزات التفسير عند الشيعة، والتي تتلخص في العناصر الآتية:

1- تفسير القرآن بالقرآن

يتفق الشيعة مع أهل السنة في هذا الأصل وهو تفسير القرآن بالقرآن، ويختلفون في التطبيق، وتجد كتبهم حافلة بالاعتماد في التفسير على القرآن، لكن وفق تفسير الأئمة.

(1) التنكابني، توشيح التفسير، ص: 61.

ولو كان تفسير القرآن بالقرآن عند الشيعة وفق ضوابط علمية، لكان مقبولاً وفي مجال الأقوال التي تورّد في معرض الاحتجاج أو اختلاف التنوع، لكنهم سلكوا مسلكاً مخالفاً للقرآن نفسه، بأن يؤولوا الآية تأويلاً باطلاً، ثم يجدون لها متكناً في آية أخرى لدعم تأويلهم الفاسد، ظلّمت بعضها فوق بعض.

ونورد مثلاً على التعسف في اعتماد أصل تفسير القرآن بالقرآن وهو تفسير قوله

تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:45].

يقول التنكابني: «قد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:45]، أنّ المراد بالصلاة ولاية أمير المؤمنين، والفحشاء هو أول المتقلبين، والمنكر هو ثاني المتحلقين فتعدينا وأجرينا هذا البيان المبين في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل:90] فقلنا: إنّ الفحشاء من وجد إلى الخلافة سيلاً، والمنكر من جعل الأول دليلاً وجعل السلطنة بعد الأول منزلاً ومقيلاً، ولم يدع لآل الرسول عزاء كثيراً ولا قليلاً، وعدد المنكر مع عدد الثاني سيان، فأحسبهما حساباً جميلاً»⁽¹⁾.

ولعلّ الكثير من باحثي أهل السنة الذين كتبوا في أصول التفسير عند الشيعة لا يذكرون هذا الأصل رغم حرص مفسري الشيعة على اعتماده، بل هناك من تجاوز الحدّ في استخدامه لدرجة الإعراض عن أقوال النبي ﷺ في التفسير، إلا في آيات الأحكام، فهذا إمامهم الطباطبائي يقول في تفسيره؛ الميزان في تفسير القرآن: «قد مرّ فيما تقدم أن الآيات التي تدعو الناس عامة من كافر أو مؤمن ممن شاهد عصر النزول أو غاب عنه إلى تعقل القرآن وتأمّله والتدبر فيه وخاصة قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]، تدل دلالة واضحة على أن المعارف القرآنية يمكن أن يناها الباحث بالتدبر والبحث، ويرتفع به ما يتراءى من الاختلاف بين الآيات، والآية في مقام التحدي، ولا معنى لإرجاع فهم معاني الآيات - والمقام هذا المقام - إلى فهم الصحابة وتلامذتهم من التابعين حتى إلى بيان

(1) التنكابني، توشيح التفسير، ص: 64.

النبى ﷺ، فإن ما بينه إما أن يكون معنى يوافق ظاهر الكلام فهو مما يؤدي إليه اللفظ ولو بعد التدبر والتأمل والبحث، وإما أن يكون معنى لا يوافق الظاهر ولا أن الكلام يؤدي إليه فهو مما لا يلائم التحدي ولا تتم به الحجة وهو ظاهر»⁽¹⁾.

فهو يرى أن لا حاجة للمفسر للرجوع إلى المأثور، بما في ذلك أقوال النبي ﷺ، لأن ذلك بمنع متلقي القرآن من فهم معارفه وتدبرها، بل إن الطباطبائي يذهب إلى حد التهوين من شأن السنة وأهميتها في بيان معاني القرآن حين يجعل مهمة النبي ﷺ مجرد الإرشاد إلى المعالم العامة لا المعاني الدقيقة، شأن المعلم الذي يرسم لتلميذه المنهج العام ولا يمنحه المعلومة الكاملة، ولا يخفى ما في هذا التشبيه من مغالطة، يقول الطباطبائي: «ومن هنا يظهر أن شأن النبي ﷺ في هذا المقام هو التعليم فحسب والتعليم إنما هو هداية المعلم الخبير ذهن المتعلم وإرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به والحصول عليه لا ما يمتنع فهمه من غير تعليم، فإنما التعليم تسهيل للطريق وتقريب للمقصد، لا إيجاد للطريق وخلق للمقصد، والمعلم في تعليمه إنما يروم ترتيب المطالب العلمية ونضدها على نحو يستسهله ذهن المتعلم ويأنس به فلا يقع في جهد الترتيب وكد التنظيم فيتلف العمر وموهبة القوة أو يشرف على الغلط في المعرفة»⁽²⁾.

فظهر أنّ أعمال أصل تفسير القرآن بالقرآن عند الشيعة يخضع للخلفيات العقائدية عندهم، لذا فهم يحرفون تفسير الآية الأولى ويضمون إليها آية أخرى أو آيات بنفس التأويل الباطل.

1 (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 47/3.

2) المرجع نفسه، 47/1.

2- تفسير القرآن بالسنة

يعدّ تفسير القرآن بالسنة من المناهج التي سار عليها الكثير من المفسرين الشيعة، وهي تندرج تحت التفسير الروائي القائم على تفسير القرآن الكريم بالروايات الواردة عن النبي ﷺ وأئمة آل البيت، لذا فهم يعرفون السنة بأنها: «قول المعصوم أو فعله أو تقريره»⁽¹⁾.

وعرّفها بعضهم بقوله: «بأنها طريقة النبي والإمام المحكية عنه، فالنبي بالأصالة، والإمام بالنيابة»⁽²⁾، ويظهر من هذا التعريف التوسع في معنى السنة إذ أدخلوا فيها أقوال الأئمة، ومرّد ذلك إلى أنهم يعتقدون أن الأئمة معصومون، ومُنصّبون من الله سبحانه وتعالى، فكان كلامهم مثل كلام النبي ﷺ.

وانطلاقاً من مفهوم السنة عندهم فإنّ تفسير القرآن بالسنة هو تفسير القرآن بما ثبت عن النبي ﷺ بالأصالة، وما ثبت عن الأئمة بالنيابة، ومستندهم في هذا المسلك أحاديث نبوية منها قوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جليل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽³⁾.

ومن أجال النظر في العديد من تفاسير الشيعة يجد أنّها أخذت هذا اللون من التفسير وهو تفسير القرآن بما ثبت عن النبي ﷺ وما ثبت من روايات آل البيت فقط، دون اعتماد أصل آخر أو قاعدة أخرى من قواعد التفسير، فأهملوا التفسير بالرأي حتى الموافق للشرع، وذلك بناء على معتقدتهم في عصمة الأئمة، واستناداً إلى ما ورد من روايات تجعل مدار التفسير على الأئمة الإثني عشرية.

(1) محمد رضا المظفر، أصول الفقه، تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة السابعة: 1423هـ، 64/3.

(2) حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، وصول الأخبار إلى أصول الأخبار، تحقيق، جعفر المجاهدي، عطاء الله الرسولي، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، 1436هـ- 2015م، ص: 128.

(3) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى: 1415هـ- 1995م، 169/5.

ومما ورد من أدلة لديهم: «عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله، قال: صدقت، قلت: إن من عرف أن له ربا، فينبغي له أن يعرف أن لذلك الرب رضا وسخطا وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحي أو رسول، فمن لم يأتيه الوحي فقد يبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة وأن لهم الطاعة المفترضة. وقلت للناس: تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة على خلقه؟ فقالوا: القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، فما قال فيه من شيء كان حقا، فقلت لهم: من قيم القرآن؟ فقالوا ابن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت: كله؟ قالوا: لا، فلم أجد أحدا يقال: إنه يعرف ذلك كله إلا عليا عليه السلام وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أن عليا عليه السلام كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأن ما قال في القرآن فهو حق، فقال: رحمك الله»⁽¹⁾.

ونحوه قول علي رضي الله عنه: «إن الله طهرنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحجته على من في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا»⁽²⁾.

كما يستدلون بقول الباقر لعمر بن عبيد المعتزلي، «فعن سعد بن طريف قال: كنت جالسا عند أبي جعفر عليه السلام فجاءه عمرو بن عبيد فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: 81-82]، قال له أبو جعفر عليه السلام: قد أخبرك أن التوبة والإيمان والعمل الصالح لا يقبلها إلا بالاهتداء أما التوبة فمن الشرك بالله، وأما الإيمان فهو التوحيد لله، وأما العمل الصالح فهو أداء

(1) الكليني، الكافي، 97/1.

(2) المجلسي، بحار الأنوار، 343/24.

الفرائض، وأما الاهتداء فبإشارة الأمر ونحن هم فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو»⁽¹⁾.

كما يذهب الشيعة إلى أنّ النبي ﷺ فسّر كل القرآن، وأن هذا التفسير كان لشخص واحد هو علي رضي الله عنه ففي الكافي: «إن الناس يكفيهم القرآن ولو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب»⁽²⁾.

ويقول كاشف الغطاء مبيناً الحكمة من حصر التفسير في الأئمة: «إن حكمة التشريع اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، وكل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب له حسب الحكمة من عام مخصص، أو مطلق مقيد أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك»⁽³⁾.

كما نجد مفسري الشيعة يؤصلون لتفسير القرآن بروايات آل البيت في تفاسيرهم، ومبررين لهذا الأصل، كما جاء عن تفسير الصافي وهو يتحدث عن تفسير القرآن بروايات أهل البيت، قال: «جعل الكتاب والعترة حبلين ممدودين بينه وبيننا، ليخرجنا بتمسكنا بهما من مهوى ضلالتنا ويذهب عنا شيننا، لم يزل أقامهما فينا طرف منهما بيده وطرف بأيدينا، منّ بهما علينا وحببهما بفضله إلينا، وهما الثقلان اللذان تركهما النبي فينا، وخلفهما لدينا، وقال إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يرده علي حوضي، فأخبرنا بأههما صاحبان مصطحبان، وأخوان مؤتلفان، وإن العترة تراجمة للقرآن، فمن الكشاف عن وجوه عرائس أسرارهِ ودقائقهِ وهم قد خوطبوا به، ومن التبيان مشكلاتهِ ولديه مجمع بيان معضلاتهِ ومنبع بحر حقائقهِ وهم: أبو حسنه، ومن لشرح آيات الله وتيسير تفسيرها بالرموز والصرح إلا من شرح الله صدره بنوره، ومثله بالمشكاة والمصباح ومن عسى يبلغ علمه بمعالم التنزيل والتأويل وفي بيوتهم كان ينزل جبرائيل، وهي البيوت التي

(1) المجلسي، بحار الأنوار، 197/27.

(2) الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1428هـ - 2007م، 148/1.

(3) آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1410هـ - 1990م، ص: 162.

أذن الله أن ترفع، فعنهم يؤخذ ومنهم يسمع، إذ أهل البيت بما في البيت أدري والمخاطبون لما حوطفوا به أوعى، فأين نذهب عن باهم⁽¹⁾.

وبالرجوع إلى تفاسير الشيعة نجد أن القائلين بتفسير القرآن بالسنة وأقوال الأئمة الإثني عشرية على ضربين:

- أولاً: من حرّم تفسير القرآن بغير السنة الواردة عن النبي ﷺ وهو التفسير بالرأي وإن كان محموداً.

فنجد من الضرب الأول، تفسير العياشي، والتفسير المنسوب إلى العسكري تفسير علي بن إبراهيم القمي، وتفسير فرات الكوفي، وتفسير الحسن العسكري، وتفسير محمد بن مسعود العياشي، فهذه الكتب لا تكاد تجد فيها قولاً للمؤلف خارج الروايات، وهم ما يصطلح عليهم "الإخباريون"

- ثانياً: من أباح الاجتهاد إلى جانب الروايات بالرجوع إلى اللغة والعقل وغير ذلك من الأصول

والقواعد التي نص عليها علماء ومفسرو الشيعة وهم ما يصطلح عليهم "الأصوليون"

ومن الضرب الثاني نجد أغلب التفاسير وهي التي تجد في ثناياها روايات أهل البيت واستعمال اللغة العربية وقواعدها في التفسير، وقواعد الترجيح، وغير ذلك من الأصول ومن بين تلك الكتب نجد، تفسير التبيان للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي⁽²⁾، وكنز الدقائق، للمشهدي، ومجمع البيان للطبرسي.

فالإخباريون يمنعون العمل بظاهر الكتاب، والأصوليون يمنعون كذلك إلا بعد الرجوع إلى أقوال الأئمة، ويندرج تحت هذا الظاهر مثل العام والمطلق وغيرهما مما هو ظاهر في معنى ومحتمل لمعنى آخر، فالعام ظاهر في

(1) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، 8/1-9.

(2) هو: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، من علماء الشيعة، تلميذ الشيخ المفيد رأس الإمامية، ولزمه وبرع، وعمل التفسير "التبيان في تفسير القرآن"، وأملأ أحاديث ونوادير في مجلدين، عامتها عن شيخه المفيد، من مؤلفاته الأخرى؛ "تهذيب الأحكام"، "مختلف الأخبار"، "المفصح في الإمامة" انظر ترجمته: (سير أعلام النبلاء، 335/18، رجال النجاشي، ص: 403)

العموم مع احتمال التخصيص، والمطلق ظاهر في الإطلاق مع احتمال التقييد فيرون إذن وجوب الرجوع إلى الأئمة وما روى عنهم بمعرفة مراد الله عزوجل⁽¹⁾.

3- التفسير باللغة العربية

العديد من تفاسير الشيعة ذات الاتجاه الاجتهادي اعتمدت اللغة كأصل من أصول التفسير، كتفسير الطبرسي، وتفسير الطباطبائي، وتفسير الشيرازي، فنجد فيها من المسائل اللغوية والترجيح باللغة الشيء الكثير، وسأسوق نماذج من أقوالهم في ذلك .

فالطباطبائي من المفسرين الذين برزت لديهم المسائل اللغوية، فهو كثير الاعتماد على أقوال علماء اللغة في بيان معاني الألفاظ القرآنية، فعند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: 113]: « قال في الصحاح: ركن إليه كنصر، ركونا، مال وسكن، والركن بالضم الجانب الأقوى، والأمر العظيم والعز والمنعة انتهى. وعن لسان العرب، مثله، وعن المصباح، أن الركون هو الاعتماد على الشيء، وقال الراغب: ركن الشيء جانبه الذي يسكن إليه، ويستعار للقوة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80]، وركنت إلى فلان أركن بالفتح والصحيح أن يقال: ركن يركن، كنصر وركن يركن كعلم قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: 113]، وناقاة مركنة الضرع، له أركان تعظمه، والمركن الإجابة، وأركان العبادات جوانبها التي عليها مبناها، ويتركها بطلانها، انتهى، وهذا قريب مما ذكره في المصباح، والحق أنه الاعتماد على الشيء عن ميل إليه لا مجرد الاعتماد فحسب ولذلك عدي بلى، لا بعلى، وما ذكره أهل اللغة تفسير له بالأعم من معناه على ما هو دأبهم⁽²⁾.

فلاحظ أنّ الطباطبائي أتى بأقوال اللغويين في كلمة "ركن"، ليربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي - وهذا دأب المفسرين من أهل السنة كما مرّ معنا- حيث ساق لها الطباطبائي الكثير من الأقوال والشواهد ثم رجّح بين تلك الأقوال في النهاية، وقد سار على هذا المنوال في الرجوع إلى اللغة في كامل تفسيره.

(1) علي أحمد السالوس، مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، دار الفضيلة، الرياض، دار الثقافة، قطر، مكتبة دار

القرآن، مصر، الطبعة السابعة: 1424 هـ - 2003 م، ص: 453.

(2) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 154/20.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية:22] يقول الطباطبائي: «وقيل: الاستثناء من ضمير عليهم، في قوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية:22]، والمعنى لست عليهم بمتسلط، إلا على من تولى منهم عن التذكرة وأقام على الكفر فسيسلطك الله عليه ويأمرك بالجهاد فتقاتله فتقتله، وقيل: الاستثناء منقطع، والمعنى لست عليهم بمتسلط لكن من تولى وكفر منهم يعذبه الله العذاب الأكبر، وما قدمناه من الوجه أرجح وأقرب» (1).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:5]، يقول الطباطبائي: «الاستثناء راجع إلى الجملة الأخيرة وهي قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:4]، لكنها لما كانت تفيد معنى التعليل بالنسبة إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [النور:4] - على ما يعطيه السياق - كان لازم ما تفيد من ارتفاع الحكم بالفسق ارتفاع الحكم بعدم قبول الشهادة أبداً، و لازم ذلك رجوع الاستثناء بحسب المعنى إلى الجملتين معاً، والمعنى، إلا الذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا أعمالهم، فإن الله غفور رحيم يغفر ذنبهم و يرحمهم فيرتفع عنهم الحكم بالفسق و الحكم بعدم قبول شهادتهم أبداً، و ذكر بعضهم، أن الاستثناء راجع إلى الجملة الأخيرة فحسب فلو تاب القاذف، و أصلح بعد إقامة الحد عليه غفر له ذنبه لكن لا تقبل شهادته أبداً خلافاً لمن قال برجوع الاستثناء إلى الجملتين معاً» (2).

فهذا الكلام للطباطبائي يظهر توسعا في الاعتماد على أصل مهم من أصول التفسير وهو الرجوع إلى لغة العرب، ويكثر ذلك في تفسيره حيث يذكر اشتقاق اللفظة القرآنية، ومظاهرها في معاجم اللغة، والربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، ولم يكتف بما ذكر فقط، بل نجده يرجح من خلال الرجوع إلى اللغة.

ومن اعتمد اللغة أصلاً في تفسيره ناصر مكارم الشيرازي، في تفسيره "الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل" ففي المعنى اللغوي لكلمة الذرية من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

(1) المرجع السابق، 276/20.

(2) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 27/15-28.

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ [الأعراف: 172-174]، قال: «الذرية، كما يقول أهل اللغة وعلماءها، معناها في الأصل الأبناء الصغار اليافعون، إلا أنها تطلق في الغالب على عموم الأبناء، وقد تستعمل هذه الكلمة في معنى المفرد، كما قد تستعمل في معنى الجمع، إلا أنها في الأصل تحمل معنى الجمع، والجذر اللغوي لهذه الكلمة مُخْتَلَفٌ فيه، إذ احتملوا له أوجهاً متعددة، فقال بعضهم: إن جذر هذه الكلمة مأخوذ من ذَرَأَ، على زنة زَرَعَ ومعناه الخلق، فعلى هذا الوجه يكون معنى الذرية مساوياً للمخلوق، وقال بعضهم: بل الجذر مأخوذ من ذَرَّ، على وزن شَرَّ ويعني الموجودات الصغيرة جداً كذرات الغبار مثلاً والنمل الصغير، ومن هنا فإنَّ أبناء الإنسان تبدأ حياتهم من نطفة صغيرة جداً، والاحتمال الثالث أنه مأخوذ من مادة ذَرُو ومعناه النثر والتفريق والتنقية ومنه، ذَرُو الحنطة، وإنما سمي أبناء الإنسان بالذرية لأنهم يتفرقون في أنحاء الأرض بعد التكاثر»⁽¹⁾.

ويقول الشيرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصفات: 45]: «كلمة (كأس) يطلقها أهل اللغة على إناء الشراب المملوء، فيما يطلقون كلمة (قدح) عليه إن كان خالياً، وقال الراغب في مفرداته: الكأس الإناء بما فيه من الشراب»⁽²⁾.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: 6] وقف الشيرازي عند دلالة لفظ مِرَّةٍ لغويًا فقال: «المِرَّة كما يقول أرباب اللغة وأهلها معناها القتل، وحيث أنَّ الحبل كلما قُتل أكثر كان أشدَّ إحكاماً وقوةً، فإنَّ هذه الكلمة استعملت في الأمور المادية أو المعنوية المحكمة والقويّة، وقال بعض المفسرين: المِرَّة مأخوذة من المرور، فمعناها العبور، لكن هذا الرأي لا ينسجم مع ما كتبه أهل اللغة في هذا الصدد»⁽³⁾.

(1) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، منشورات الأعلمي، الطبعة الأولى: 1434هـ - 2013م، 287/5.

(2) المصدر نفسه، 316/14.

(3) المصدر نفسه، 212/14.

فاستخدام اللغة في الترجيح شائع لدى مفسري الشيعة ذوي المنهج الاجتهادي، فنجد مثلاً المازندراني في تفسيره ينجح إلى القواعد اللغوية كثيراً، كما نراه يرجح باللغة لحكم فقهي متعلق بالطهارة، ألا وهو طهارة الخمر كما ذهب إليه، حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:90]، « قال جماعة: رجس خبر لمضاف محذوف، وهو تعاطي هذه الأشياء . إذ الذي تستخبثه العقول وتعافه، تعاطيها على الوجوه المقتضية للمفاسد الظاهرة المشهورة والمتعلقة بها، كشرب الخمر وما يتعلق بها من حفظها وبيعها وشراؤها للشرب، ولعب الميسر وما يتعلق به، وعبادة الأنصاب وتعظيمها وما يتعلق به، والاستقسام بالأزلام وما يتعلق به، فلا تصح إرادة النجس منه، وإن جعل رجس، خبراً للخمر، وهو مرجوح، وقدر خبر المذكورات، فلا يصح حمله على النجس أيضاً؛ لاقتضائه كون المعنى في بعض الأخبار مختلفاً، مع أن الظاهر في أمثاله الاتفاق . وكون المذكور قرينة على المحذوف، وحمل الرجس على النجس وغيره على سبيل عموم المجاز أو الاشتراك، وإرادة كل منهما بالنسبة إلى البعض مع عدم القرينة، في غاية البعد، وكذا جعله خبراً للخمر، وجعل خبر البواقي من عمل الشيطان بعيد، وكذا حمله على النجس، وجعله خبراً للكل وارتكاب التجوز في الإسناد بالنسبة إلى بعض؛ لأن مقتضى اللفظ أن يكون المعنى والإسناد بالنسبة إلى الجميع واحداً .

فإذن، إما أن يراد بالرجس المأثم، أو العمل المستقذر، الذي تعاف منه العقول، كما يوجد في كلام جماعة من المفسرين، وبالجملة حمله على معناه الحقيقي، وارتكاب بعض تلك الوجوه البعيدة، مرجوح بالنسبة إلى حمله على ما ذكرنا من المعاني مجازاً، سلمنا التساوي، لكن لا بد للترجيح من دليل»⁽¹⁾.

وإذا جئنا إلى كتاب الطبرسي الذي يصنف ضمن التفسير بالرأي، نجده يعقد عناوين ذات علاقة بأصول التفسير بعد انتهائه من تفسير كل سورة، وهو منهج اتبعه مع جميع السور، حيث يذكر:

➤ القراءة، ويذكر اختلاف القراء في الكلمات القرآنية، وأحياناً يذكر الأثر المترتب على الخلاف في القراءة، كما يذكر توجيه القراءات.

➤ الإعراب وما يتعلق به، وكذا اللغة، حيث يذكر المعنى اللغوي لغريب كل كلمة قرآنية مع ذكر الشواهد من الشعر العربي في غالبها.

(1) محمد إسماعيل الخواجوي، الدرر المنتقطة في تفسير الآيات القرآنية، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم،

قم، إيران، الطبعة الأولى، ص: 104.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:276]، يقول الطبرسي عن كلمة يمحق: « لغويا، المحق نقصان الشيء حالا بعد حال، يقال: محقه الله يحقه محقا فأنحق وامتحق، أي هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال، والمحاق آخر الشهر لأنحق الهلال فيه »⁽¹⁾.

فقد اعتمد الطبرسي المعنى اللغوي للكلمة القرآنية ثم وجد العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، كما هو الشأن عند مفسري أهل السنة، فكان معنى الآية عنده اعتمادا على اللغة، ينقص الله الربا حتى يذهب، كما ينقص الهلال في آخر الشهر.

ونجد الطبرسي يرجح باللغة في الكثير من المواضع مستشهدا بكلام العرب وأشعارهم، ففي معنى الشيطان لغة، يقول: « والشيطان في اللغة هو كل متمرد من الجن والإنس والدواب ولذلك جاء في القرآن شياطين الإنس والجن ووزنه فيعال من شطنت الدار أي بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط إذا بطل، والأول أصح لأنه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال أمية بن أبي الصلت:

أبما شاطن عصاه عكاه * ثم يلقي في السجن والأغلال»⁽²⁾.

فبعد أن ذكر الأقوال في معنى الشيطان لغة، رجح أن الشيطان كل متمرد من الجن والإنس والدواب، مستشهدا بالشعر الجاهلي.

وحين نقول إن الشيعة يعتمدون على اللغة في تفاسيرهم لا يعني أنهم يتقيدون بالمنهج الصحيح عند التطبيق، بل يخالفون اللغة في كثير من الأحيان لموافقة مذهبهم الفقهي أو العقدي، فهذا الطبرسي ينفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة كما هي عقيدة الشيعة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة:22-23] فيقول: « والله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجلب سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع، وأيضا فإن الرؤية بالحاسة لا تتم إلا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق،

(1) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 169/2.

(2) المصدر نفسه، 21-20/1.

وأيضاً فإن رؤية الحاسة لا تتم إلا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزّه عن اتصال الشعاع به على أن النظر لا يفيد الرؤية في اللغة»⁽¹⁾.

فالطبرسي يخالف المعنى اللغوي منتصراً لمذهبه زاعماً أن النظر لا يفيد الرؤية في اللغة، رغم أن الشواهد التي تنفي ما زعمه أكثر من أن تحصى، بل العكس هو الصحيح، لأنّ العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته كما قال أبو منصور: «ومن قال إن معنى قوله إلى رها ناظرة، يعني منتظرة فقد أخطأ، لأن العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته، إنما تقول نظرت فلانا أي انتظرته؛ ومنه قول الحطيئة: وقد نظرتكم أبناء صادرة** للورد طال بما حوزي وتناسي»⁽²⁾.

4- اعتماد أسلوب الجري والتطبيق

يعدّ هذا الأصل مما انفرد به الشيعة عن أهل السنة تأصيلاً وتنزيلاً، ويقصد بالجري والتطبيق أن يأتي المفسّر إلى آية نزلت في حادثة معيّنة أو شخص أو أشخاص فينزلها على أحداث أو أشخاص بعد عهد النزول، فمفسرو الشيعة يرون أن القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم، مدحا وذمّا. ويرون أنّ «هذه سليقة أئمة أهل البيت، فإنهم عليهم السلام يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد وإن كان خارجاً عن مورد النزول»⁽³⁾.

والذي يرجع إلى تفاسيرهم يجد الغلو الشديد في تطبيق هذا المبدأ حيث جعلوا كل مدح في الشيعة، وكل ذم في مخالفيهم حتى ما كان متعلقاً بحق الله تعالى، وصفاته وأفعاله، فعن الفضل بن شاذان عن داود بن كثير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام أنتم الصلاة في كتاب الله عز و جل و أنتم الزكاة و أنتم الصيام و أنتم الحج؟ فقال يا داود نحن الصلاة في كتاب الله عز و جل و نحن الزكاة، و نحن الصيام، و نحن الحج، و نحن الشهر الحرام، و نحن البلد الحرام، و نحن كعبة الله، و نحن قبلة الله، و نحن وجه الله، قال الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115]، و نحن الآيات، و نحن البيئات، و عدونا في كتاب الله عز و جل الفحشاء و المنكر و البغي و الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزيام و الأصنام و الأوثان و الجبت و الطاغوت و الميتة و الدم و لحم الخنزير. يا داود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا و فضلنا و جعلنا أمناءه و حفظته و خزانه

(1) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 10/154.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 5/217.

(3) الطباطبائي، تفسير الميزان، 1/42.

على ما في السماوات و ما في الأرض، و جعل لنا أصدادا وأعداء، فسمانا في كتابه و كنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء و أحبها إليه، تكنية عن العدو، و سمى أصدادنا و أعداءنا في كتابه، و كنى عن أسمائهم و ضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه و إلى عباده المتقين»⁽¹⁾

ومستندهم روايات كثيرة لسنا بحاجة إلى البحث في أسانيدها، فهي صحيحة عندهم يستدلون بها ويطبقون هذا الأصل في تفاسيرهم ومن هذه الروايات:

روى أبو بصير⁽²⁾ قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7]، فقال: رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم المنذر وعليّ الهادي، يا أبا محمد هل من هاد اليوم؟ قلت: بلى جُعلت فداك ما زال منكم هاد بعد هاد حتى دُفعت إليك، فقال: رحمك الله يا أبا محمد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل فمات ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنه حيّ يجري في من بقي كما جرى في من مضى»⁽³⁾.

وروى خيثمة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «يا خيثمة، القرآن نزل أثلاثاً ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل»⁽⁴⁾.

وروى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يا أبا محمد، ما من آية نزلت تقود إلى الجنة ولا تذكر أهلها بخير إلا وهي فينا وفي شيعتنا، وما من آية نزلت تذكر أهلها بشرّ ولا تسوق إلى النار إلا وهي في عدونا ومن خالفنا»⁽¹⁾.

(1) الغروي الحسيني الأسترابادي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تحقيق: مدرسة المهدي، قم، إيران، الطبعة الثانية: 1433هـ، 26/1-27.

(2) هو أبو بصير الأسدي يحيى بن القاسم، وقيل ابن أبي القاسم، اسحاق، وقيل أبو محمد أحد رجال الإمامية الاثني عشرية، ثقة وجيه عند الطائفة، له كتاب «مناسك الحج» توفي سنة: 150هـ، انظر ترجمته: (رجال النجاشي، ص: 441).
(والحسن بن علي بن داود الحلبي، كتاب الرجال (رجال ابن داود)، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ط، د.ت. ، ص: 284).

(3) الكليني، الكافي، 112/1.

(4) تفسير العياشي، 10/1.

هذا من جانب التأصيل لمسألة الجري والتطبيق، أما تنزيل هذا الأصل فلا يكاد يخلو منه تفسير من تفاسيرهم على مختلف اتجاهاتهم في التفسير.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنِّهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 39-40] يقول الطبرسي: «قال أبو جعفر عليه السلام نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين أخرجوا من ديارهم وأخيفوا»⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: 3]، يقول الطباطبائي: «عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: 3]، قال: من آمن بقيام القائم عليه السلام أنه حق، أقول: وهذا المعنى مروى في غير هذه الرواية وهو من الجري»⁽³⁾.

فلاحظ هنا أنه لم ينقل الرواية التي تنص على أصل الجري فحسب، بل أكد هذا الأسلوب الذي هو من صميم التفسير عند الشيعة.

وفي قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 81] يقول الطباطبائي: «بلى من كسب سيئة، قال: إذا جحدوا ولاية أمير المؤمنين فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، أقول: وروى قريبا من هذا المعنى الشيخ في أماليه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والروايتان من الجري والتطبيق على المصدق»⁽⁴⁾.

فالطباطبائي ينص على هذا الأصل في مواضع عديدة من تفسيره ويذكر الروايات التي تثبت الجري والتطبيق، في عديد من الآيات، ففي تفسير قوله جل وعلا: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189]،

(1) الكليني، الكافي، 23/8

(2) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 114/7

(3) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 46/1.

(4) المصدر نفسه، 216/1.

ساق رواية تفسيرية للآية عن الكافي ثم عوّب بتحريج الرواية على أصل الجري فقال: «وفي الكافي، عن الصادق عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله التي منها يؤتى ولو لا هم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه»⁽¹⁾.

ويقول بعد هذه الرواية مباشرة مثبتاً أصل الجري والتطبيق: «الرواية من الجري وبيان لمصدق من مصاديق الآية بالمعنى الذي فسرت به في الرواية الأولى»⁽²⁾.

5- التفسير من منطلق أنّ للقرآن ظهراً وبطناً

وهذا المرتكز هو عمدة التفاسير ذات الاتجاه الروائي، وهو بشكل أقلّ في التفاسير الاجتهادية، من خلال إيراد الروايات التفسيرية.

والمراد بظهور القرآن، ظاهره الذي يعرفه كل عربي، والمقصود ببطن القرآن، هو تلك المعاني الخفية تحت كل لفظة قرآنية، وهي تختلف من حيث اللغة عن الظاهر اختلافاً جذرياً، وهذه المعاني حسب التفسير الباطني، ليست لكل أحد بل للأئمة فقط، فمرجع هذا الأصل أنّ الشيعة يعتقدون أنّ فهم باطن القرآن لا يكون إلا بالأئمة، لذا لا يوجد أي تفسير باطني إلا برواية عن الأئمة، لأنهم - فيما يزعمون - قد اختصهم الله تعالى بفهم باطن القرآن.

وقد لجأ الشيعة الباطنية إلى هذا المسلك؛ لأنهم لا يجدون ما يدلّ على عقائدهم التي يدّعونها ويدعون الناس إليها، وبما أن القرآن هو المصدر الأول للتشريع، عمدوا إلى تحريف نصوصه بزعم أن له معاني باطنية لا يفهمها إلا أئمتهم، وساقوا لذلك روايات مكذوبة لتبرير هذا المنهج، ومن أدلتهم على هذا المرتكز روايات كثيرة متناثرة في كتب التفسير والعقائد وغيرها، ومنها:

عن جابر الجعفي قال: «سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر:

(1) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 59/2.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»⁽¹⁾.

وفي أصول الكافي في تفسير قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف:33]، قال: «إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق»⁽²⁾.

❖ نماذج من المعاني الباطنية في تفاسير الشيعة

وإذا جئنا إلى تطبيق هذا الأصل الباطل على الروايات الشيعية نجد الكثير منها فمن ذلك:

• كلمات الله هو عليّ، والكافرون بنو أمية:

من تحريفات الشيعة لظاهر القرآن، وتفسيره تفسيراً باطنياً ما ادعوه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۗ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:7-8]، فقد ساق الحويزي الرواية الآتية: «عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في قول الله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:7]» قال أبو جعفر عليه السلام: تفسيرها في الباطن ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ [الأنفال:7] فإنه شيء يريد ولم يفعله بعد، وأما قوله: ﴿يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنفال:7]، فإنه يعني يحق حق آل محمد صلى الله عليه وآله، وأما قوله: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنفال:7]، قال: كلماته في الباطن علي، هو كلمات الله في الباطن، وأما قوله: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:7]، فهو بني أمية هم الكافرون يقطع الله دابرتهم وأما قوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ [الأنفال:8]،

(1) المجلسي، بحار الأنوار، 91/29، هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والباحثين

الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1427هـ-2006م، 20/1-21، الكاشاني، تفسير الصافي، 29/1.

(2) الكليني، الكافي، 223/1.

فإنه يعني ليحق حق آل محمد حين يقوم القائم عليه السلام، وأما قوله: ﴿وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: 8]، يعني القائم فإذا قام يبطل باطل بني أمية وذلك ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون»⁽¹⁾.

- (حم) هو محمد ﷺ، (الكتاب المبين) هو علي رضي الله عنه، (الليلة المباركة) هي فاطمة رضي الله عنها:

ومن التفسير الباطني لدى الشيعة ما فسروا به الآيات الأولى من سورة الدخان، جاء في تفسير الصافي للفيض الكاشاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَمَّ ۝١ وَأَلَكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَتَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: 1-4] ما نصه: «وعن الكاظم عليه السلام إنه سأله نصراني عن تفسير هذه الآية في الباطن فقال: أما (حم): فهو محمد صلى الله عليه وآله، وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف، وأما (الكتاب المبين): فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأما (الليلة): ففاطمة عليها السلام، وأما قوله: (فيها يفرق كل أمر حكيم) يقول: يخرج منها خير كثير، فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم، فقال الرجل: صف لي الأول والآخر من هؤلاء الرجال فقال: إن الصفات تشبهه ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله وأنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا وقديما ما فعلتم الحديث»⁽²⁾.

- (السماء) هو رسول الله ﷺ، و(الماء) علي رضي الله عنه:

ومن تحريفات الشيعة لمعاني القرآن الكريم بادعاء التفسير الباطني ما فسروا به السماء والماء، جاء في تفسير فرات الكوفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾ [الأنفال: 11]، الرواية الآتية: «حدثني جعفر بن محمد الفزاري معننا عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ

(1) الحوزي العروسي، تفسير نور الثقلين، 24/3.

(2) الفيض الكاشاني، الصافي في تفسير القرآن، 417-416/6.

وَلِيَرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿[الأنفال: 11]﴾ قال: أما قوله: ﴿وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنفال: 11]، فإن السماء في البطن رسول الله صلى الله عليه وآله، والماء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»⁽¹⁾.

وهذا التفسير من أبطل الباطل، مخالف لظاهر القرآن، مخالف للغة العربية، بل هو محض هراء مردود على أصحابه، فكيف خفي هذا المعنى عن رسول الله ﷺ وعن العلماء من أصحابه؟.

• (الأزلام) هم أعداء الأئمة:

إِنَّ لَفِظَةَ الْأَزْلَامِ الْوَارِدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 3].

يقصد بها القداح التي يستسقم بها أهل الجاهلية، وهي كلمة عربية لها معناها عند العرب، وعلى هذا المعنى اللغوي سار المفسرون من أهل السنة، قال النسفي: «وهي القداح المعلمة، واحدها زلم وزلم كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو غير ذلك يعمد إلى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرني ربي وعلى الآخر نخائي والثالث عُفْلٌ فإن خرج الأمر مضى لحاجته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أعاده فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام»⁽²⁾.

(1) أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الثانية، 1416هـ-1995م، ص: 153.

(2) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 426/1.

لكن إذا جئنا لهذه الكلمة عند الشيعة الباطنية فإنهم يذكرون لها معنى باطنيا باطلا فقد ورد في بعض كتبهم ورواياتهم « أن الأزلأم في الآية، في الباطن أعداء الأئمة وغصبة الخلافة»⁽¹⁾.

• المساجد هم الأئمة:

ومن تحريفات الشيعة الباطنية ما ذكروا في معنى المساجد الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:18]. فقد ادعوا لها معنى باطنيا خفيا، حيث زعموا أن معناها الأئمة، أو الأوصياء، فقد جاء عن الكاظم أنه قال في عن المساجد في الآية المذكورة: «المساجد هم الأئمة عليهم السلام»⁽²⁾.

• النجم؛ رسول الله ﷺ، والشجر والميزان، علي رضي الله عنه والأئمة.

ادعى الشيعة الباطنية هذه المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن:5-9].

جاء في تفسير القمي: «والنجم والشجر يسجدان؟ قال النجم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سماه الله في غير موضع فقال: والنجم إذا هوى، وقال: وعلامات وبالنجم هم يهتدون فالعلامات الأوصياء والنجم رسول الله، قلت يسجدان؟ قال يعبدان قوله: (والسمااء رفعها ووضع الميزان) قال السماء رسول الله صلى الله عليه وآله رفعه الله إليه، والميزان أمير المؤمنين عليه السلام نصبه لخلقه، قلت: ألا تطغوا في الميزان؟ قال: لا

(1) أبو الحسن بن محمد طاهر العاملي النباطي الفتوي، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، تحقيق، لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1426هـ-2006م، ص: 279. وعلي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، 1419هـ، 304/4.

(2) أبو الحسن بن محمد طاهر العاملي النباطي الفتوي، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، ص: 285.

تعصوا الإمام، قلت وأقيموا الوزن بالقسط؟ قال أقيموا الإمام بالعدل قلت: ولا تخسروا الميزان؟ قال: لا تبخسوا الأمام حقه ولا تظلموه»⁽¹⁾.

وروى الكراجكي عن الصادق في قوله: ﴿وَالْتَجَمُّ وَالشَّجْرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:7]، قال: «النجم رسول الله ﷺ، والشجر علي والأئمة عليهم السلام، لم يعصوا الله طرفة عين»⁽²⁾.

- تفسير الإيمان بـ"علي"، والكفر بـ"أبي بكر الصديق"، والفسوق بـ"عمر"، والعصيان بـ"عثمان" رضي الله عنهم.

ومن أسوأ ما جاء في تفسيرهم الباطني طعنهم - قاتلهم الله - في الخلفاء الراشدين السابقين لعلي رضي الله عنهم جميعاً، وندعتهم بأقبح الصفات، فقد فسروا قوله سبحانه تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات:7] تفسيراً عجيباً وغريباً حين أخرجوها عن سياقها؛ ففي الآية امتنان من الله جل وعلا على عباده المؤمنين بأن حبب إليهم الدين الإسلامي، وزينه لهم ليعملوا به ويتبعوه، وبالمقابل كره لهم الكفر بالله والفسوق والعصيان، فضلاً منه، ونعمة.

والآية لها علاقة بسابقتها وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:6-7].

فهذه الآيات لها سبب نزول يعين على تفسيرها تفسيراً صحيحاً، فعن الحارث بن ضرار الخزاعي أنه قال: «قدمت على رسول الله، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيُرسل إليّ

(1) القمي، أبو الحسن علي بن ابراهيم، تفسير القمي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، إشراف: محمد باقر الموحّد الأبطلحي

الأصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي للنشر والتوزيع، قم، الطبعة الأولى: 1435هـ، 1033/3-1034.

(2) أبو الحسن بن محمد طاهر العاملي النباطي الفتوي، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، ص: 286.

رسول الله ﷺ رسولاً لإبّان كذا وكذا، ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استحباب له، وبلغ زمان الوعد الذي أراد رسول الله أن يبعث إليه، احتبس الرسول فلم يأت، فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا سروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله كان وقت لي وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندنا من الزكاة، وليس من رسول الله الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله، وبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق فرجع، فأتى رسول الله فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه حتى استقبله البعث وقد فصل عن المدينة، قالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال: إلى أين؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن النبي ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على النبي قال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟!)، قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول الله ﷺ؛ خَشِيتُ أن تكون كانت سخطة من الله ورسوله؛ فنزلت الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:6]»⁽¹⁾.

فيكون معنى الآية الموافق للنزول، أعلموا أن نبي الله عز وجل بين ظهركم فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بأخباركم فلو أطاعكم رسول الله ﷺ فيما تقولون له لنالكم عنت وشدة ومشقة، لأنه كان يخطئ في أفعاله كما لو قبل من الوليد قوله في بني المصطلق إنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة لغزاهم وأصابهم بالقتل والسبأ وهم براء، فكنتم تقتلون وتسبون من لا يجل قتله ولا سبأؤه، فيدخل عليكم الإثم والمشقة في إخراج الديات والعنت والفساد والهلاك⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب: مسند المدنيين، باب: حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، رقم الحديث: 18459، 403/30.

(2) أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات

أما عند الشيعة الباطنية فقد جاء في تفسير القمي: في قوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:7]، يعني أمير المؤمنين، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:7]، فلان وفلان وفلان⁽¹⁾؛ ويقصدون بفلان وفلان وفلان على هذا الترتيب أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

فهذه نماذج من تأويلاتهم الباطلة المرتكزة على أن للقرآن معانٍ باطنة، وهذه الأمثلة تبين مدى بعدهم عن أصول التفسير الصحيحة، كما تبين فساد عقولهم لقبولهم مثل هذه السخافات التي تجعل من كتاب الله تعالى كتابا غامضا لا يفقهه العرب الذين نزل بلغتهم إلا أئمة الشيعة - كما زعموا-.

وقد تتبع شيخ الإسلام رحمه الله الكثير من تأويلاتهم الباطنية وردَّ عليها كما قال رحمه الله: «.. ومن تدبر ما عندهم وجد فيه من الكذب في المنقولات والتكذيب بالحق منها والتحريف لمعانيها ما لا يوجد في صنف من المسلمين. فهم قطعاً أدخلوا في دين الله ما ليس منه أكثر من كل أحد وحرفوا كتابه تحريفاً لم يصل غيرهم إلى قريب منه»⁽²⁾.

بل إنَّ شيخ الإسلام رحمه الله وصف من يقول بهذه المعاني الباطنية بذهاب العقل فيقول: «والجواب أن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن بل هو شر من كثير منه والتفسير يمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه بل تفسير القرآن يمثل هذا من اعظم القدح فيه والطعن فيه»⁽³⁾.

بالرجوع إلى تفاسير الشيعة نلاحظ أن أصحاب الاتجاه الروائي هم الأكثر اعتماداً للتفسير الباطني، مع العلم أنهم يذكرون المعاني الظاهرة للآية، ثم يذكرون المعاني الباطنية الباطلة لإثبات أصولهم .

العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى: 1429 هـ - 2008 م، 6996/11.

(1) تفسير القمي، 998/3

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: 1406 هـ - 1986 م، 405/3.

(3) المصدر نفسه، 245/7.

خلاصة الفصل

كخلاصة لما سبق بيانه في هذا الفصل فإنّ علم أصول التفسير من العلوم التي لا زالت قيد التطوير وضبط المسائل المتصلة به، وتمييزها عن علوم القرآن، وإنّ أثر أصول التفسير في عصمة النصّ القرآني لا يخفى على أحد، لذلك عرف مفسرو أهل السنّة باستعمال أصول التفسير منذ بداية التأليف في التفسير، كما عرف الشيعة استخدام أصول للتفسير عند المفسّرين أصحاب الاتجاه الإجهادي، لكن الغلط يظهر في فساد بعض القواعد والأصول تارة، وعند تطبيق هذا القواعد تارة أخرى وهذا ما تمّ بيانه في طيات هذا الفصل.

الفصل الثالث:

التأويل التحريفي للنص القرآني في تفسير العياشي

ويحتوي على أربع مباحث:

المبحث الأول: موقف العياشي من عصمة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات الإمامة.

المبحث الثالث: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات فضائل الشيعة.

المبحث الرابع: التأويل التحريفي في تفسير العياشي للطعن في المخالفين.

تمهيد:

إنّ العياشي كما سبق بيانه ينتمي إلى الطائفة الشيعية الإثني عشرية، وله مكانته في مختلف العلوم وما بقي من كتبه هو تفسيره فقط، وقد أورد الكثير من الروايات التي تصرّح بتحريف القرآن الكريم، كما أورد في تفسير الآيات الكثير من الروايات الباطنية التي تحرّف القرآن عن مراد الله تعالى، وعلى ضوء ذلك جاء هذا الفصل لإبراز موقفه من عصمة القرآن، وموقف الشيعة عموماً، والردّ على عيّنة من الروايات الباطنية التي ساقها في تفسيره.

المبحث الأول: موقف العياشي من عصمة القرآن الكريم

تعدّ مسألة عصمة القرآن الكريم من القضايا الخطيرة التي وقع فيها سجال كبير بين أهل السنة والشيعة، وبين علماء الشيعة أنفسهم على اختلاف فرقهم ومذاهبهم، بين منكر للتحريف وبين قائل به، وكان للعياشي النصيب الوافر من الروايات التي كانت عمدة للقائلين بالتحريف، وسنبيّن من خلال هذا المبحث مكانة القرآن عند السنة والشيعة عموماً، ومنزلته عند العياشي على وجه الخصوص.

المطلب الأول: موقف أهل السنة من عصمة القرآن الكريم

أولاً- مكانة القرآن الكريم عند أهل السنة

لا مجال للشكّ أن أهل السنة مصدرهم الأول هو كتاب الله تعالى، وله في نفوسهم المكانة العليا، وله في القلوب كل التعظيم والتبجيل، كما وصفهم ربنا جلّ وعلا بقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ﴾ [الزمر:23].

وقد حرص النبي ﷺ على غرس حبّ القرآن في نفوس أمته بدءاً من صحابته الكرام رضوان الله عليهم، ورغب في الأجر العظيم على تلاوته، وتدبره، والعمل به، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنَزَلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»⁽¹⁾، كما حثّ على تعاهده حتى يكون المسلم مصاحباً للقرآن الكريم سائر وقته فلا يتفلسف منه، فعن أبي موسى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب: المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رقم:

6477، 8/11.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، رقم: 5033، 6/193.

وَحَدَّرَ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مِنْ هَجْرَانِهِ فَقَالَ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان:30].

كل هذه النصوص وغيرها، إذا التزمها المسلم، فلا شك أنه سيعظم كلام الله تعالى، ويكون له في نفسه كل إكبار وإجلال.

وقد أجمعت الأمة على أن كتاب الله تعالى محفوظ لا يعتريه تحريف ولا تبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، قال ابن كثير: «ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل الذكر، وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل»⁽¹⁾.

وقال الفخر الرازي: «المراد بالحفظ هو أن أحداً لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى حتى أن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا فهذا هو المراد من قوله: (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير إما في الكثير منه أو في القليل وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظاً عن التغيير والتحريف»⁽²⁾؛ وصدق القائل:

هيهات لا يعتري القرآن تبديل** وإن تبدل توراة وإنجيل⁽³⁾.

(1) تفسير ابن كثير، 453/3

(2) القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي البغدادي، المعتمد في أصول الدين، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1974م، ص: 258.

(3) محمد العيد بن محمد علي خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010م، ص: 81.

ثانياً: حكم من يعتقد تحريف القرآن الكريم عند أهل السنة

لقد وقف علماء السنة موقفاً صارماً ضد كل من سوّلت له نفسه أن يقول بتحريف القرآن الكريم، ولو بنقص حرف منه، وكتبهم طافحة بذلك، وهذا يبين لنا مقدار حرصهم على تنزيه كلام الله تعالى عن التحريف، ومن بين ما جاء في هذه المسألة من أقوال:

قال ابن عبد البر: «إن من دفع شيئاً مما في مصحف عثمان كفر»⁽¹⁾.

وقال ابن حزم: « وأن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقاً وغرباً فما بين ذلك من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين كلام الله عز وجل ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ من كفر بحرف منه فهو كافر»⁽²⁾.

وقال القاضي أبو يعلى: « والقرآن ما غير ولا بدل ولا نقص منه ولا زيد فيه خلافاً للرافضة القائلين أن القرآن قد غير وبدل وحولف بين نظمه وترتيبه وأحيل عمّا أنزل إليه، وقرئ على وجوه غير ثابتة عن الرسول ﷺ، وأنه قد نقص منه وزيد فيه، والدلالة عليه أنّ القرآن جمع بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم، وأجمعوا عليه، ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك، ولا طعن فيه، ولو كان مغيراً مبدلاً لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه، لأن مثل هذا لا يجوز أن ينكم في مستقر العادة، ولو جوزنا ذلك لوجب أن يجوز أنّ الله عز وجل قد أوجب أكثر من خمس صلوات، وأوجب صوم شهر أكثر من شهر رمضان، ولما بطل ذلك وجب القطع على أنّ القرآن ما غير ولا بدل، ولأنه لو كان مغيراً ومبدلاً لوجب على علي رضي الله عنه أن يبينه

(1) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى: 1387هـ، 279/4.

(2) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحلى بالآثار، تحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424هـ-2003م، 32/1.

ويصلحه، ويبين للناس بياناً عاماً أنه أصلح ما كان مغيراً، فلما لم يفعل ذلك بل كان يقرؤه ويستعمله، دل على أنه غير مبدل، ولا مغير»⁽¹⁾.

وقال القاضي عياض المالكي: « وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، مما جمعه اللفظان من أول «الحمد لله رب العالمين» إلى آخر « قل أعوذ برب الناس» أنه كلام الله، ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر»⁽²⁾.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، بعد أن عرّج على طعن الروافض في الصحابة رضوان الله عليهم، وفصل في حكمهم في الشرع، ذكر بعض عقائد الغلاة منهم فقال: «أما من اقترن بسببه دعوى أن علياً إله أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا لاشك في كفره بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره، وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم»⁽³⁾.

من خلال ما مضى من نقولات نرى جلياً تعظيم القرآن الكريم عند أهل السنة، تبعاً لتعظيم الله تعالى ولتعظيم نبيه عليه الصلاة والسلام، وما حكمهم بتكفير من زعم التحريف إلاّ دليل على حرصهم على صيانة القرآن الكريم والذبّ عن عصمته من التحريف.

(1) القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي البغدادي، كتاب المعتمد في أصول الدين، تحقيق: الدكتور وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1974م، ص: 258.

(2) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق، عبده علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م، ص873- ص874.

(3) ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص: 586.

المطلب الثاني: موقف الشيعة من عصمة القرآن الكريم

تعدّ مسألة تحريف القرآن الكريم من أعقد المسائل التي تعترض الباحث في أصول الشيعة وعقائدها لما فيها من تباين عند الشيعة أنفسهم، فصنف منهم يوردون الروايات التي تنص صراحة على وقوع التحريف في القرآن الكريم، تارة التحريف بالحذف والحو، وتارة بالتغيير، وكل هذه الروايات في كتبهم المعتمدة، بل في أجلّ الكتب عندهم، وصنف آخر من الشيعة - ونقصد به علماءهم - ينزه القرآن الكريم عن وقوع التحريف فيه، وبذلك انقسم الشيعة إلى فريقين:

أولاً: الفريق القائل بالتحريف.

هذا القسم من علمائهم ومفسّريهم صرحّ بوقوع التحريف في القرآن الكريم، فهذا مفسّرههم المقدّم عندهم القمي يقول في معرض حديثه عن تحريف القرآن الكريم: «وأما ما هو محرف فهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ^ص وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ^ج﴾ [المائدة: 67] وقوله: «إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم» وقوله: «وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون» وقوله: (ولو ترى الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت) ومثله كثير نذكره في مواضعه⁽¹⁾. فهو يزعم أنّ الآية أنزلت على غير المصحف العثماني، وأنّ الصحابة غيروها، ولا ندري أين هو القرآن السالم من التحريف الذي عندهم؟

أمّا الكليني محمد بن يعقوب و الموسوم عندهم بثقة الإسلام وهو من محدثي الشيعة ومجتهديهم فقد ساق الكثير من الروايات التي يثبت فيها - بزعمه - تحريف القرآن الكريم، ومما جاء في كتابه المسمى أصول الكافي؛ عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: « ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام»⁽²⁾.

(1) تفسير القمي، 31/1.

(2) الكليني، الكافي، 1 / 135.

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية»⁽¹⁾.

ويقول المفيد: «إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان»⁽²⁾.

فهذه العقيدة في تحريف القرآن الكريم، هي عقيدة كبار علمائهم كما صرح بذلك الصافي في تفسيره قائلاً: «وأما اعتقاد مشايخنا رضي الله عنهم في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، ولم يتعرض لقدح فيها، ومع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه علي بن إبراهيم القمي، رضي الله عنه، فإن تفسيره مملوء منه، وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي رضي الله عنه فإنه أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الاحتجاج»⁽³⁾.

وقد ألف أحد علمائهم وهو النوري الطبرسي (ت: 1320هـ) كتاباً يثبت فيه تحريف القرآن الكريم مستنداً بما جمعه من كلام أئمتهم سماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب». حيث جاء في مطلع كتابه: «هذا كتاب لطيف، وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل الجور والعدوان، وسميته فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»⁽⁴⁾.

وهذا الكتاب كما يقول إحسان إلهي ظهير: «الكتاب الذي أزاح اللثام عن وجه عقيدة القوم الأصلية في القرآن، وأثار ضجة كبرى في الأوساط الشيعية. لا من حيث أنه تفرد لبيان هذه العقيدة، أو ورد فيه شيء جديد غير مألوف مخالف لمعتقداتهم المنقولة المتواترة من أهل البيت حسب زعمهم، بل لأنه كشف النقاب

(1) المصدر نفسه، 2/ 350.

(2) المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم ابن أبي عبد الله الكعبري البغدادي، أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم

الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى: 1413هـ، ص: 80-81.

(3) الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، 1/ 57.

(4) ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة:

1428 هـ، 1/ 188.

عن الشيء الذي غلفوه بتقيتهم مدة طويلة عن الآخرين، وجمع فيه من الأحاديث والروايات من أمهات الكتب وأهمها نقلاً عن الأئمة الاثني عشر، التي بلغت حد التواتر وزادت عليه⁽¹⁾، ويضاف إلى هذا الفريق من يصرح بالتحريف في مكان، وينفي التحريف في مكان آخر من باب التقيّة.

قال الاسفراييني وهو ينسب لهم القول بالتحريف وغيره من الاعتقادات الفاسدة: « واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ويزعمون أنه قد كان فيه النص على إمامة علي فاسقطه الصحابة عنه ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين و ينتظرون إماما يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا في الحال على شيء من الدين وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة ولكن مقصودهم اسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة وتغيير القرآن من عند الصحابة ولا مزيد على هذا النوع من الكفر إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين»⁽²⁾

ثانياً: الفريق القائل بنفي التحريف عن القرآن الكريم

الفريق الثاني من علماء الشيعة - وهم الأكثرية- ينفون التحريف عن القرآن الكريم، وقد ردوا على ما في كتاب فصل الخطاب، ولكنهم يتأولون لعلمائهم الذين أوردوا روايات التحريف بل ينفون أن يكون القول بالتحريف صدر من الشيعة، وأكثرهم من المعاصرين بل إنهم يستमितون في الدفاع عن عصمة القرن الكريم، ودفع ما علق بعلماء الشيعة الأوائل من القول بالتحريف.

أمّا حكم من يقول بالتحريف فهم لا يكفرونه، لأنهم يرون هذا القول لشبهة وأن العلم بسلامة القرآن من التحريف ليس لعامة الناس، وسأكتفي بنقل أقوال ثلاثة من علمائهم ينفون التحريف عن كتاب الله تعالى.

(1) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والقرآن، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، د.ت، ص: 111.

(2) طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال

يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1403هـ - 1983م، ص: 41.

يقول الصدوق القمي: «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيِّه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا أنّ «الضحى» و«ألم نشرح» سورة واحدة، و«لايلاف» و«ألم تر كيف» سورة واحدة»⁽¹⁾.

ومن أنكر هذه المقالة الفاسدة- تحريف القرآن الكريم- شيخهم محمد حسين آل كاشف الغطاء إذ يقول: «وأن الكتاب الموجود بين أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذه إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ نص الكتاب العظيم «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم أي العامة - الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا فأما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار»⁽²⁾.

ومنهم الشيخ محمد رضا المظفر حيث يقول: «نعتقد أن القرآن هو الوحي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيه تبيان لكل شيء وهو معجزته الخالدة، التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة، وفيما حوى حقائق، ومعارف عالية لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه، وهو نفس القرآن المنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن ادعى فيه غير ذلك فهو محترف أو مغالط أو مشتبه، وكلهم على غير هدى فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه»⁽³⁾.

وخلاصة الكلام في هذه القضية الخطيرة، أنّ مسألة التحريف مبثوثة في كتب كبار علماء الشيعة، وفيها يثبتون تحريف القرآن زيادة ونقصانا وتغييرا للمعنى وإبدال كلمة مكان كلمة؛ أو آية مكان آية. كما أن التبرؤ من القول بالتحريف موجود عند الكثير منهم كما ذكرناه آنفا من نقولات عنهم في هذا المبحث.

(1) الطبرسي، مجمع البيان، 15/1.

(2) محمد حسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص: 143.

(3) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، منشورات مكتبة الأمين، النجف، الطبعة الأولى: 1388هـ-1968م، ص: 59.

1- أن الشيعة لا يكفرون من قال بالتحريف لذلك وقفوا موقفًا باهتا من محدثهم النوري حينما ردوا عليه .
 2- أنّ العدل والإنصاف مع المخالف يجعلنا نقول بأن القول بعصمة القرآن - عند القائلين به من الشيعة - ليس من قبيل التقيّة بل هو قولهم الذي يعتقدونه ويدافعون عنه، مبثوث في كتبهم وأثبتوه في تفاسيرهم حيث فسروا القرآن كاملاً ولم يسقطوا آية منه بدعوى أنّها ليست من القرآن، ولم يضيفوا آيات أخرى وزعموا أنّها ساقطة من القرآن، أو أنّها من مصاحفهم، ولا يعقل أن ننسب إليهم التقيّة ولا نجد ولو قولاً واحداً يصرحون فيه بتفسير القرآن، فهل يستعمل العالم منهم التقيّة طيلة حياته في هذه المسألة الخطيرة؛ وإذا كانوا يعتقدون تحريف القرآن أليس الواجب في عقيدتهم الشيعية أن يصرحوا به ولو عند وفاتهم أو أواخر حياتهم نصحاً لأتباعهم.

وإن قال قائل إنهم لا يقولون بتحريف القرآن حتى لا ينسف مذهبهم، ويبطل دينهم؟ نقول: إنهم أتوا بطامات أعظم من القول بتحريف القرآن الكريم، وهو الشرك بالله، كرفعهم عليّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى مقام الألوهية، والاستغاثة به، وطوام أخرى كالطعن في أصحاب رسول الله، والافتراء على الإسلام، والطعن في عرض المصطفى عليه الصلاة والسلام، وموالاته الكفار، كما أنّ القول بتحريف القرآن في اعتقادهم أنه من قبيل الكبائر ولا يكفر قائله أو معتقده.

المطلب الثالث: موقف العياشي من عصمة القرآن الكريم

سبق معنا أنّ تفسير العياشي عمدة لدى الشيعة، وأثره في كتبهم بارز، بدليل الروايات التي نقلت عنه في أصول مذهب الشيعة وفروعها، ومما نقل عنه من هذا التفسير، قضية تحريف القرآن الكريم التي أثبتتها في تفسيره، فقد ساق المؤلف عدة روايات في تفسير الآيات التي ادعى فيها التحريف، إمّا بالتبديل، أو الحذف والحو ومن ذلك:

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى:

﴿وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها حَمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81].

ادعى العياشي وقوع التحريف في هذه الآية وساق الرواية التالية: « عن حبيب السجستاني قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81]، فكيف يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه؟ وكيف يؤمن عيسى بمحمد صلى الله عليه وآله وينصره ولم يدركه؟ فقال: يا حبيب إنَّ القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف أخطأت بها الكتبة وتوهمها الرجال، وهذا وهم فافقرأها: (واذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) هكذا أنزلها الله يا حبيب»⁽¹⁾.

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

ادعى العياشي أنّ هذه الآية وقع فيها تحريف وساق الروايات التالية: عن أبي بصير قال: قرأت عند أبي عبد الله عليه السلام ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123]، فقال: مه ليس هكذا أنزلها الله، إنما أنزلت (وأنتم قليل)⁽²⁾.

فهذه الرواية تؤكد القول بتحريف القرآن الكريم حيث تزعم أن الآية لم تنزل كما هي في المصحف، وإنما نزلت (وأنتم قليل) بدل (وأنتم أذلة)، ثم ساق العياشي رواية أخرى: عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله أبي عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123]، قال: ليس هكذا أنزلها الله ما أذل الله رسوله قط إنما أنزلت وأنتم قليل⁽³⁾.

هذه الرواية تزعم كسابقتها أن الصحيح هو أنها نزلت قليل بدل أذلة.

(1) المصدر نفسه، 317/1.

(2) تفسير العياشي، 220-219/1.

(3) المصدر نفسه، 220/1.

ثم ساق العياشي رواية ثالثة ليثبت أن الآية غيرت عما نزلت عليه: عن ربعي بن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قرأ: ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء، وما كانوا أذلة ورسول الله فيهم عليه وعلى آله السلام⁽¹⁾.

ولأجل القول بتحريف الآية لم ينتبه الرواي إلى أنه وقع في تناقض فالروايتان الأولى والثانية، تزعمان أنّ الآية نزلت بـ: (وأنتم قليل) والرواية الثالثة تزعم أن الآية نزلت قبل التحريف بـ: (وأنتم ضعفاء) ممّا يدل على فساد هذه الروايات شرعا وعقلا.

ثم إنّ التعليل الذي في الرواية تعليل سخيف حيث زعمت أنهم ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله ﷺ وهذا جهل باللغة العربية ويرد على هذا التعليل من وجهين:

الوجه الأول: أنه يمكن نقض اعتراضهم بقولنا: ما كانوا ضعفاء وفيهم رسول الله ﷺ .

الوجه الثاني: أن كلمة "أذلة" في هذه الآية ليست منقصة ولا مذمّة، بل هي من حيث اللغة تعني قليل، قال البغوي: « وأنتم أذلة، جمع ذليل، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فنصرهم الله مع قلة عددهم وعددهم»⁽²⁾.

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء:47].

زعم العياشي أنّ هذه الآية الكريمة لم تنزل هكذا، وإنما تم تحريفها ثم ساق الرواية التالية: روى عمرو بن شمر عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: « نزلت هذه الآية على محمد صلى الله عليه واله هكذا: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلت في عليّ مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم) إلى قوله (مفعولا) وأما قوله (مصدقا لما معكم) يعني مصدقا برسول الله صلى الله عليه

(1) المصدر نفسه، 220/1.

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 13/2.

وآله»⁽¹⁾؛ فأضافت هذه الرواية للآية (في علي) وهذا من القول بالتحريف بالحذف، كما زعمت طائفة من علماء الشيعة أنّ القرآن طرحت منه آيات كثيرة.

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166].

ادعى العياشي أن هذه الآية قد تم تحريفها بالحذف وساق الرواية التالية: عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) قال: وسمعته يقول: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: (ان الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) إلى قوله: (يسيرا) ثم قال: (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا بولايته فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله عليما حكيمًا)⁽²⁾.

زعمت هذه الرواية أنّ في الآية محذوفات وهي: (في عليّ)، و(وظلموا آل محمد حقهم)، و(بولايته) وهي تصرّح بأنها محرّفة وليست مجرد تفسير للآية، لأنها تزعم أن أبا جعفر قرأها بهذا التحريف، وهذا لإثبات فضل عليّ عليه السلام، والتدليل على أصل الولاية حسب عقائد الشيعة.

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 3].

ادعى العياشي أنّ في الآية تحريف بالحذف، وساق الرواية التالية: عن جعفر بن محمد الخزازي عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله عرفات يوم الجمعة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا محمد إنّ الله يقرؤك السلام، ويقول لك: قل لأمتك: (اليوم أكملت لكم

(1) تفسير العياشي، 272/1.

(2) المصدر نفسه، 311/1.

دينكم بولاية علي بن أبي طالب وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، ولست أنزل عليكم بعد هذا، قد أنزلت عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة ولست أقبل هذه الأربعة إلا بها»⁽¹⁾.
فانظر كيف ادعت هذه الرواية أنّ الآية قد حذف منها (بولاية علي بن أبي طالب) وأنّ الله أتمّ للأمة بما الدّين !

وإتمام الدّين في هذه الآية الكريمة ليس بالولاية المزعومة كما ذهب إليه هذه الرواية، بل هو كما قال ابن رجب في تفسيره: «وإكمال الدّين في ذلك اليوم حصل من وجودها: أنّ المسلمين لم يكونوا حجّوا حجّة الإسلام بعد فرض الحجّ قبل ذلك، ولا أحد منهم، هذا قول أكثر العلماء أو كثير منهم، فكمّل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلّها، ومنها: أنّ الله تعالى أعاد الحجّ على قواعده إبراهيم عليه السلام، ونفى الشرك وأهله، فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد»⁽²⁾.

وقال البغوي: «وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»، يعني: أنجزت وعدي في قوله: ﴿وَلَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 150]، فَكَانَ مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ أَنْ دَخَلُوا مَكَّةَ آمِنِينَ وَعَلَيْهَا ظَاهِرِينَ، وَحَجُّوا مُطْمَئِنِّينَ لَمْ يُجَالِطَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»⁽³⁾.

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]

ادعى العياشي أنّ الآية الكريمة محرفة وأنها نزلت على غير ما تعارف عليه المسلمون ثم ساق الرواية التالية: عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى سمى أمير المؤمنين؛ أمير المؤمنين؟ قال: «والله نزلت هذه الآية على محمد ﷺ (وأشهدهم على أنفسهم ألسنتهم بريكم وأن رسول الله نبيكم وأن علياً أمير المؤمنين)، فسماه الله والله أمير المؤمنين»

(1) المصدر نفسه، 322/1.

(2) تفسير ابن رجب، 384/1.

(3) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 13/2.

وفي رواية أخرى عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: « يا جابر لو يعلم الجهال متى سمي أمير المؤمنين عليّ لم ينكروا حقه، قال: قلت: جعلت فداك متى سمي؟ فقال لي: قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [الأعراف:172] إلى (ألست بربكم وأنّ محمدا نبيكم رسول الله وأنّ عليا أمير المؤمنين) قال: ثم قال لي يا جابر: هكذا والله جاء بما محمد صلى الله عليه وآله.

فهذه الرواية تزعم أنّ الآية نزلت على رسول الله ﷺ وفيها هذه الزيادة: (وأنّ محمدا نبيكم رسول الله وأنّ عليا أمير المؤمنين).

ولا ندري من سمعها من رسول الله ﷺ بهذه الإضافة؟! وكيف لم ينقلها الصحابة رضوان الله عليهم؟ وكيف ينقل الصحابة رضوان الله عليهم الأحاديث التي في فضائل علي رضي الله عنه ثم يغفلون هذه الآية ويتواطئون على إخفائها ومحوها من القرآن؟

ثم إنّ رسول الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فلم يذكر هذه الزيادة، ففي الموطأ أن عمر بن الخطاب، سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:172]، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم، ثم مسح ظهره يمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون»، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: (إن الله إذا خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار)⁽¹⁾

فهذا الحديث هو من قبيل تفسير القرآن بالسنة مما يدل على بطلان الرواية التي تذهب إلى أنّ في الآية تحريفاً.

(1) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر، 892/2.

➤ ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح:28]

ذهب العياشي إلى أن في الآية تصحيحاً من طرف الكتبة وساق الرواية التالية: عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح:28] قال: « هذه كلمة صحفها الكتاب، إنما كان استغفاره لأبيه عن موعدة وعدها إياه وإنما قال: (رب اغفر لي ولولدي) يعني إسماعيل وإسحاق، والحسن والحسين والله ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله»⁽¹⁾.

وهذا الذي ذهب إليه باطل لأنّ القراءات المتواترة أثبتت (ولوالدي) وقد نقلت القراءات بشروطها كما هو معروف ومنها موافقة الرسم العثماني وهذا هو المثبت في المصحف العثماني، وقد قرأ بعض العلماء⁽²⁾ (ولولدي) وهي قراءة شاذة ومن قرأ بها لم يقل إنّ في الآية الكريمة تصحيحاً كما ذهب إليه هذه الرواية، ولم يبطل القراءة المتواترة الواردة بـ (ولوالدي).

ومن خلال ما سبق من الروايات التي أوردها العياشي، والتي تنص صراحة على وقوع التحريف في القرآن الكريم العياشي يمكننا الجزم بأنّ عقيدته في القرآن هي عدم عصمته من التحريف، والذي يؤكد ذلك اعتماد العديد من القائلين بالتحريف على روايات العياشي، فهو الرحي الذي تدور عليه روايات تحريف القرآن الكريم.

(1) تفسير العياشي، 252/2

(2) قرأ (ولولدي)، إبراهيم النخعي، ويحيى بن يعمر، والزهري، الحسين بن علي، وأبو جعفر محمد بن علي، ينظر: (تفسير القرطبي، 375/9)، و(البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، 451/6).

المبحث الثاني: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات الإمامة

تعدّ الإمامة من أهم القضايا التي وقع فيها سجال كبير بين مختلف الفرق والطوائف، لما يبني عليها من آثار دينية واجتماعية وسياسية، وأهميتها عند جميع الطوائف والفرق جعلهم يستدلون لها من الكتاب الكريم أساساً، وقد وقع خلاف كبير حول التصور الصحيح لمكانة الإمامة بين أهل السنّة والشيعة وسنحاول في هذا المبحث التطرق لأهم المسائل المتعلقة بهذه المسألة كما يأتي:

المطلب الأول: تعريف الإمامة لغة واصطلاحاً

أ- تعريف الإمامة لغة:

الإمامة في اللغة مصدر من الفعل (أَمَّ) تقول: «أَمَّهم وأَمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره، الأُمُّ بالفتح القصد، يقال: أُمّه وأُممه وتأممه إذا قصده»⁽¹⁾. ويقال: «أَمَّتُ الرجل، أي جعلته أمامي، أي قدامي، ثم جعلت عبارة عن رياسة عامة تتضمن حفظ مصالح العباد في الدارين»⁽²⁾.

جاء في لسان العرب: «الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قِيَمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله - ﷺ - إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به: اقتدي به، والإمام: المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم، وإمام المثال ما امثل عليه، والإمام: الخيط الذي يُمدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء»⁽³⁾.

وجميع هذه المعاني ترجع بلفظ الإمام إلى معنى التقدم.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 22/12، الرازي، مختار الصحاح، ص: 20.

(2) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكفوي الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م، ص: 186.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 24/12.

ب- تعريف الإمامة اصطلاحاً:

ذكر العلماء عدة تعريفات للإمامة، سأسوق نماذج منها. فقد عرّفها الماوردي بقوله: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»⁽¹⁾.

وهذا التعريف يعدّ من أقدم النصوص التاريخية التي وصلتنا في تعريف الإمامة، وقد عرّف الإمامة بثمرتها والغاية منها، لأن الماوردي ذكر دور الإمامة والسبب الذي وجدت لأجله وهي حراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين ولم يذكر تعريفاً مباشراً للإمامة، ويعدّ الماوردي أوّل من أصّل للولاية في كتابه الأحكام السلطانية، وكلّ من جاء بعده أفاد منه، لذا يعدّ كتابه بمختلف أبوابه دستوراً في مختلف أبواب الحكم.

ويقول الجويني في تعريفها: «الإمامة رياسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامّة في مهمات الدين والدنيا»⁽²⁾.

ويلاحظ على هذا التعريف أنّه لم يستثن النبوة، فهو يعتبر النبيّ ﷺ إماماً يشمل هذا التعريف، والحقيقة أنّ النبيّ ﷺ استحق الإمامة بالوحي والنبوة، وعليه فالإمام خليفة للنبيّ ﷺ في الأمة.

وعرّف الإيجي الإمامة بقوله: «هي خلافة الرسول ﷺ في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة»⁽³⁾.

(1) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق، أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، ص: 15.

(2) أبو المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق، د. مصطفى حلمي. د. فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1400 هـ، ص: 15.

(3) الإيجي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، تحقيق، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى: 1997م، 574/3.

مما يلاحظ على هذا التعريف الذي ذهب إليه الإيجي، أنه ذكر غاية واحدة للإمامة وهي إقامة الدين، ولا شك أن هذا مقصد عظيم من مقاصد الإمامة، لكن المقصد الآخر وهو سياسة دنيا الناس من أعظم واجبات الإمام، فلا ينبغي إغفاله حتى يكون التعريف جامعاً.

ويقول ابن خلدون في تعريفها: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخرية والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»⁽¹⁾.

كل هذه التعريفات كما نلاحظ متقاربة وترجع بالإمامة إلى معنى «النيابة عن رسول ﷺ في قيادة الأمة لحفظ مصالح دينها ودنياها عن طريق أساليب شرعية ومؤهلات شخصية».

ج- إطلاقات الإمامة

تطلق الإمامة عند أهل السنة، ويقصد بها، الخلافة، وإمارة المؤمنين، والذي استخدمه الصحابة رضوان الله عليهم هي هذه الثلاث أي: يطلقون على من تولى شؤون المسلمين العامة، الخليفة، وأمير المؤمنين، وإمام المسلمين، وهو الذي استمر عليه عمل المسلمين بعد ذلك كما يظهر في كتابات العلماء الذين كتبوا حول الإمامة، وفي ذلك يقول النووي: «يجوز أن يقال للإمام: الخليفة، والإمام، وأمير المؤمنين»⁽²⁾.

ويقول ابن خلدون مقررًا تعدد أسماء الخلافة: «وإذ قد بيننا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام»⁽³⁾.

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988م، ص: 239.

(2) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة: 1412 هـ - 1991م، 49/10.

(3) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص: 190.

ويقول محمد نجيب المطيعي: «والمراد بالإمام الرئيس الأعلى للدولة، والإمامة والخلافة وإمارة المؤمنين مترادفة، والمراد بها الرياسة العامة في شئون الدين والدنيا»⁽¹⁾.

ويقول أبو زهرة: «المذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة وهي الإمامة الكبرى، وسميت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي»⁽²⁾.

وقد كان الناس بعد وفاة النبي ﷺ ينادون أبا بكر رضي الله: يا خليفة رسول الله، فعن نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة، قال: قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله، قال: «لست بخليفة الله عز وجل، ولكني خليفة رسول الله، أنا راض بذلك»⁽³⁾.

أما لقب أمير المؤمنين، فأول من تلقب به؛ عمر بن الخطاب، فعن ابن شهاب، أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة: «لم كان أبو بكر يكتب: من أبي بكر خليفة رسول الله، ثم كان عمر يكتب بعده: من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر، من أول من كتب: أمير المؤمنين؟ فقال: حدثني جدتي الشفاء - وكانت من المهاجرات الأول، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا هو دخل السوق دخل عليها - قالت: كتب عمر بن الخطاب إلى عامل العراقين: أن ابعث إلي برجلين جلدتين نبيلين، أسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه صاحب العراقين بلبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فقدمتا المدينة فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص، فقالا له: يا عمرو، استأذن لنا على أمير المؤمنين عمر، فوثب عمرو فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: ما بدا لك في هذا الاسم

(1) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب للشيرازي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية: 1427هـ - 2006م، 21/21.

(2) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، د.ت، 21/1.

(3) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي، السنة، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م، 274/1.

يا ابن العاص؟ لتخرجن مما قلت، قال: نعم، قدم لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فقالا لي: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتم والله أصبتما اسمه، وإنه الأمير، ونحن المؤمنون. فجرى الكتاب من ذلك اليوم»⁽¹⁾.

وقد توسعت هذه الألقاب على مرّ الأزمان وتعاقب الدول، خاصة في العصر الحديث الذي انقسمت فيه الأمة الإسلامية إلى دويلات جراء الفترة الاستعمارية، وأصبح حاكم البلد يطلق عليه، الرئيس، أو الملك والسلطان، وغيرها من الألقاب المحدثّة.

المطلب الثاني: مكانة الإمامة بين أهل السنة والشيعة

أ- الإمامة عند أهل السنة:

مما لا شكّ فيه ولا ريب يعتريه، أنّ مكانة الإمامة عند أهل السنّة عظميّة، فمن واجب الأمة أن يكون لها إمام تنقاد له، يسوسها بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ، ويحفظ لها دينها ودنياها، والأدلة على ذلك كثيرة، منها: قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:59].

قال ابن تيمية وهو يبين من هم أولو الأمر: « وأولو الأمر أصحاب الأمر وذووه؛ وهم الذين يأمرون الناس؛ وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام؛ فلهذا كان أولوا الأمر صنفين: العلماء؛ والأمراء. فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس؛ كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأحمسية لما سألته: ما بقاؤنا على هذا الأمر؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم. ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان؛ وكل من كان متبوعاً فإنه من أولي الأمر وعلى كل واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى عنه وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يطيعه في طاعة الله؛ ولا يطيعه في معصية الله»⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م، باب: التسليم على الأمير، رقم: 1023، ص: 323.

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، 170/28.

ومادامت طاعة أولي الأمر واجبة فمفهوم الآية أنه يجب أن يوجد إمام أو خليفة يسوس الناس وتجب طاعته في المعروف.

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: 30].

فقد استخرج الإمام القرطبي - وغيره - من هذه الآية أصلاً للولاية، يقول في تفسيره: «هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه، قال: إنها غير واجبة في الدين بل يسوغ ذلك، وأن الأمة متى أقاموا حجهم وجهادهم، وتناصفوا فيما بينهم، وبذلوا الحق من أنفسهم، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات على أهلها، وأقاموا الحدود على من وجبت عليه، أجزأهم ذلك، ولا يجب عليهم أن ينصبوا إماماً يتولى ذلك. ودليلنا قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: 30]، وقوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: 26]، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: 55] أي يجعل منهم خلفاء، إلى غير ذلك من الآي»⁽¹⁾.

ووافق الإمام ابن كثير فيما ذهب إليه وقرره بقوله: «قد استدلل القرطبي وغيره بهذه الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: 30] على وجوب نصب الخليفة للفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»⁽²⁾.

وفي سنة النبي ﷺ ما يدل على وجوب نصب الإمام بل والتحذير من نقض بيعته والخروج عليه مع الوعيد الشديد لمن نزع يدا من طاعة، فقد قال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ جَمَاعَةٌ فَإِنَّ مَوْتَهُ مَوْتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»⁽³⁾.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 395/1.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 94-93/1.

(3) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم: 1851، 1478/3.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أقرؤوا أحدهم»⁽¹⁾.

ووجه الدلالة من هذا الحديث أنّ وجوب التأمير على العامة أولى من وجوب التأمير على الثلاثة، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: «فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يؤلى أحدهم، كان هذا تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك»⁽²⁾.

وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسْؤُسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ تَكْثُرُ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِيَعَةَ الْأَوَّلِ فَأَلَّوْا وَأَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»⁽³⁾.

ففي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم⁽⁴⁾.

يقول النووي في شرحه لهذا الحديث: «ومعنى هذا الحديث إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء ويحرم عليه طلبها، وسواء عقدوا للثاني عاملين بعقد الأول أم جاهلين وسواء كانا في بلدين أو بلداً واحداً في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره، هذا هو الصواب

(1) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رقم: 6647، 277/11.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 65/28.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 4، 169/3268. ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، رقم: 1842، 1471/3.

(4) أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1379هـ، 497/6.

الذي عليه جماهير العلماء، وقيل يكون لمن عقدت له في بلد الإمام، وقيل يقرع بينهم، وهذان فاسدان. واتفق العلماء على انه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد سواء اتسعت دار الإسلام أم لا⁽¹⁾.

وأما أقوال العلماء فأكثر من أن تحصى، وكلها تؤكد وجوب نصب الخليفة للمسلمين.

قال الجَوْنِيُّ: « ولا يرتاب من معه مسكة من عقل أن الذب عن الحوزة، والنضال دون حفظ البيضة محتوم شرعا، ولو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ولا يزعمهم وازع، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفنن الآراء، وتفرق الأهواء لانتشر النظام، وهلك العظام، وتوثبت الطغام والعوام، وتحزبت الآراء المتناقضة، وتفرقت الإرادات المتعارضة، وملك الأزدلون سراة الناس، وفضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، وفشت الخصومات، واستحوذ على أهل الدين ذوو العرامات، وتبددت الجماعات، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن⁽²⁾».

وقال ابن تيمية: «إن أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام لدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.. فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لا بتغاء الرئاسة أو المال بها⁽³⁾».

ويقرر ابن القيم مكانة الإمامة الكبرى وأثرها في جمع كلمة المسلمين ووحدة صفهم فيقول: «إن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى، وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف، مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن، وذلك سدا لذريعة التفريق والاختلاف والتنازع، وطلبا

(1) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ، 231/12-232.

(2) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، ص: 23-24.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 391/28.

لاجتماع القلوب وتآلف الكلمة، وهذا من أعظم مقاصد الشرع، وقد سد الذريعة إلى ما يناقضه بكل طريق، حتى في تسوية الصف في الصلاة، لئلا تختلف القلوب، وشواهد ذلك أكثر من أن تذكر»⁽¹⁾.

وأقوال العلماء في وجوب نصب الإمامة أكثر من أن تحصى، فهي تمثل إجماعاً عند من يعتد بأقواله، وقد أكد هذا الإجماع النووي بقوله: «وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة، ووجوبه بالشرع لا بالعقل»⁽²⁾، ونقل النووي رحمه الله للإجماع هنا لا يُنقض بالأقوال الباطلة والشاذة التي حُكيت في عدم وجوب نصب الخليفة، كقول عبد الرحمن بن كيسان، وغيره.

ولم يغفل العلماء المعاصرون الحديث عن مكانة الإمامة في الإسلام ودورها في حفظ مصالح الدين والدنيا، ومنهم محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، يقول: «من الواضح المعلوم من ضرورة الدين أن المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الله في أرضه، ولم يخالف في هذا إلا من لا يعتد به كأبي بكر الأصم المعتزلي... وأكثر العلماء على أن وجوب الإمامة الكبرى بطريق الشرع كما دلت عليه الآية المتقدمة وأشباهاها وإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - ولأن الله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾، لأن قوله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فيه إشارة إلى إعمال السيف عند الإباء بعد إقامة الحجّة»⁽³⁾.

ومن التطبيقات الحية لهذه النصوص ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم عند وفاة النبي ﷺ، إذ بادروا إلى عقد البيعة لأبي بكر الصديق وبايعوه خليفة لرسول الله ﷺ، ولم يمنعهم ما كانوا فيه من مصيبة وحزن بوفاة المصطفى ﷺ، وما ذاك إلا لإدراكهم لمكانة الإمامة، ودورها في حفظ مصالح الدين والدنيا.

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد

عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م، 3/116.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 205/12.

(3) الشنقيطي أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 22/1.

فقد تبين من خلال النصوص التي مرت معنا من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة المكانة العظيمة والمنزلة الخطيرة للإمامة عند أهل السنة والجماعة، وهذا يدل بما لا يدع مجالاً للشك على عنايتهم بها أيما عناية، وكتبهم مستفيضة بذلك، خاصة التي تناولت السياسة الشرعية، لكنهم لا يجعلونها ركناً من أركان الإسلام، ولا ركناً من أركان الإيمان، لعدم ورود الأدلة على ذلك.

ب- الطريق الشرعي لمنصب الإمامة عند أهل السنة:

لما كان للولاية تلك المكانة العظيمة في الإسلام، وذلك الدور الكبير في حماية الدين والذود عن حياضه، بالإضافة إلى حماية مصالح المواطنين الدنيوية، كان لزاماً أن يتولى الإمامة رجل كفؤ من المسلمين، تجب له البيعة والسمع والطاعة بالمعروف ولا يجوز مخالفته في غير معصية امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59].

وتنال الإمامة الكبرى عند أهل السنة عبر الطرق الآتية:

1- تولي الإمامة على سبيل الاختيار من أهل الحل والعقد

ومفاد هذا السبيل، أن يجمع أهل الحلّ والعقد في الأمة على استحقاق رجل تتوافر فيه الشروط ليكون خليفة للمسلمين، وتجب له الطاعة في غير معصية وتحرم مخالفته، وكانت تولية أبو بكر رضي الله عنه عن طريق الاختيار من أهل الحل والعقد من الصحابة رضوان الله عليهم .

2- تولي الإمامة على سبيل التعيين

ومحصّل ذلك أن يعهد الخليفة إلى من يراه أهلاً للخلافة من بعده، كما كان الشأن مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والخليفة المعين بهذه الطريقة له السمع والطاعة في المعروف، وقد كثر تولي الخلافة بالتعيين بعد الخلافة الراشدة خاصة في العهدين الأموي والعباسي، فقد كان كل خليفة يعين ولي العهد في حياته، مع ما في الاستخلاف وولاية العهد من فروق جوهرية، أساسها التوريث الأسري.

3- تولي الإمامة على سبيل الغلبة والقهر

ويُتقصد بذلك أن يستأثر القوي بالإمامة عن طريق غير شرعي لعدم القدرة على مخالفته، وهو سبيل مخالف لما عليه هدي الصحابة رضوان الله عليهم، وإن كان الذي يتولى كفتواً، ومن تولى على سبيل الغلبة والقهر، فإن طاعته واجبة في المعروف ويجرم الخروج عليه حفاظاً على المصلحة العليا للأمة، وفي ذلك يقول النووي رحمه الله: «وأما الطريق الثالث فهو القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام، فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلافٍ ولا بيعَةٍ، وقهر الناس بشوكته وجنوده، انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعاً للشرائط بأن كان فاسقاً أو جاهلاً فوجهان، أصحُّهما: انعقادها لما ذكرناه، وإن كان عاصياً بفعله»⁽¹⁾.

ونلاحظ أن هذه الطرق الثلاث لتولي الإمامة الكبرى دليلها استقرار سيرة الصحابة رضوان الله عليهم، ففي فعلهم وإقرارهم وإجماع الأمة على صحة طريقتهم في تعيين الإمام العام للأمة الذي تجب طاعته ويجرم الخروج عليه.

ج- الإمامة والولاية عند الشيعة

موضوع الإمامة في الفكر الشيعي أهم أصل عندهم، بل يكاد يكون سبب وجود هذا الفكر المنحرف الذي أطلّ بوجهه، ففرض إمامة الخلفاء الراشدين إلّا علياً -رضي الله عن الجميع-، وتجمع فرق الشيعة بمختلف اتجاهاتها على أصل الإمامة، فعقيدة الإمامة لدى الشيعة هي الفيصل بين الكفر والإيمان، ولا يجوز التقليد فيها، فقد يتساهل في بعض العقائد، وتوجد المبررات والمسوغات للمخطئ فيها وتلتمس الأعذار، إلا في الإمامة، فلا يعتبر معتقد تحريف القرآن كافراً، أما منكر الإمامة فهو كافر بلا خلاف، وسيتضح هذا الأمر فيما سيأتي ذكره من أقوال علماء الشيعة في هذا الشأن.

(1) النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، 46/10.

وقبل نقل تلك الأقوال يحسن بنا الوقوف عند تعريف الإمامة عند الشيعة، يقول الحلبي: «رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص من الأشخاص»⁽¹⁾.

ويظهر في هذا التعريف قصور، لأنه حسب معتقد الشيعة، هذه الرئاسة ليست لأي شخص، وليست بأي طريقة، بل هي لأشخاص منصوص عليهم، عيّنهم الله تعالى لإمامة العباد، وأنّ الإمام في عقائد الشيعة منصب تمّ الفصل فيه في الكتاب والسنة، وفي ذلك يروي الكليني في أصول الكافي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: «ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبي قط إلا بها»⁽²⁾.

نلاحظ في هذه الرواية درجة الغلو في أصل الولاية، حتى جعلوا الأنبياء بعثوا بها وأن النص على ولاية علي عليه السلام جاء في الكتب السابقة، وهذا كذب صراح إذ لو كانت الإمامة بهذه المكانة لجاء النص عليها في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة.

إنّ مكانة الإمامة عند الشيعة عظيمة لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، وفي ذلك يقول أحد علمائهم: «ونعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمرين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة»⁽³⁾.

وهذا القول هو ما يعتقده كل طوائف الشيعة، وهو مدون في أمهات كتبهم؛ فقد جاء في الكافي: «عن ذريح قال: سألت أبا عبد الله عن الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان أمير المؤمنين إماماً، ثم كان الحسن إماماً، ثم كان الحسين إماماً، ثم كان علي بن الحسين إماماً، ثم كان محمد بن علي إماماً، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة رسول الله»⁽⁴⁾.

وقد جعلوها قرينة لكلمة التوحيد فيرون تلقينها للمحتضر مع الشهادتين وقد أوردوا الرواية التالية: «لقنوا

(1) الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، تحقيق، السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، الطبعة الأولى، 1405هـ، ص: 325.

(2) الكليني، الكافي، 272/1.

(3) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص: 65.

(4) الكليني، الكافي، 106/1.

موتاكم عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله والولاية»⁽¹⁾.

وأكد مرتضى المطهري هذه المسألة بقوله: «عندما نريد نحن الشيعة أن نعد أصول الدين انطلاقاً من رؤيتنا المذهبية، نقول: إنها التوحيد والنبوة والعدل والإمامة والمعاد، إي إننا ندخل الإمامة في نطاق أصول الدين»⁽²⁾.
وحينما أراد الشيعة الاستدلال للإمامة من القرآن الكريم سلكوا المنهج الباطني في تفسير الآيات لإثبات الإمامة، فصرفوا القرآن عن ظاهره، وحرفوا كلام الله تعالى عن مراده، فقد جاء في أصول الكافي في باب: «إن الأئمة نور الله عز وجل»، وساق الكليني الرواية التالية: «عن أبي خالد الكابلي: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن:08]، فقال: يا أبا خالد! النور والله الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عز وجل نورهم عن من يشاء فتضلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يجبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر»⁽³⁾.

فهذه الرواية تضمنت من العلو والتحريف الشيء الكبير، فهي تجعل الأئمة كل شيء في هذه الدنيا، هم النور الذي أنزله الله، وهم نور الله في السماوات والأرض، وهم يُنور الله قلوب المؤمنين، ومن لا يُحبهم ولا يتولاهم ولا ينظر لهم هذه النظرة المغالية فهو محروم من هذا النور⁽⁴⁾.

(1) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الثانية: 1414هـ، 2/665.

(2) مرتضى المطهري، سلسلة أصول الدين، تحقيق: جواد علي كسار، مؤسسة أم القرى، بيروت، الطبعة الرابعة، 1428هـ - 2007م، ص: 37.

(3) الكليني، الكافي، 1/114.

(4) صلاح عبد الفتاح الخالدي، الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في كتابه أصول الكافي، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى: 1427هـ - 2007م، ص: 78.

فانظر إلى هذا الاستدلال الباطل والتفسير الفاسد للآية، وتحميلها ما لا تحتمل من معان لإثبات الإمامة، فالنور المذكور في الآية يُقصد به القرآن الكريم، فقد أمرنا ربنا بالإيمان به جلّ جلاله، وبالنيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالقرآن الكريم الذي هو نوره يهتدى به.

قال السمرقندي: « صدقوا بالقرآن الذي نزل به جبريل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمى القرآن نوراً، لأنه يهتدى به في ظلمة الجهالة والضلالة، ويعرف به الحلال والحرام. ثم قال: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: 08]، يعني: عالم بأعمالكم فيجازيكم بما ⁽¹⁾، وقال الرازي: «فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي أنزلنا وهو القرآن فإنه يهتدى به في الشبهات كما يهتدى بالنور في الظلمات، وإنما ذكر النور الذي هو القرآن لما أنه مشتمل على الدلالات الظاهرة على البعث»⁽²⁾.

وقد أجمع مفسرو أهل السنة على تفسير النور في الآية بالقرآن الكريم، ولم يعرف لهم خلاف في ذلك.

والكثير من مفسري الشيعة انتهجوا هذا المنهج، إذ يتصرفون في الآية وفق أهوائهم ويحرفونها من أجل أغراضهم الفاسدة ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 14].

قال شيخهم المفيد عند الحديث عن هذه الآية: « وإذا كان الأمر على ما وصفناه، ثبت أن المراد بالآية من الاستخلاف ما ذكرناه، ولم يتضمن ذلك الإمامة وخلافة النبوة على ما بيناه، وكان الوعد به عموماً لأهل الإيمان بما شرحناه، وبطل ما تعلق به خصومنا في إمامة المتقدمين على أمير المؤمنين عليه السلام»⁽³⁾.

(1) السمرقندي، نصر بن محمد، بن أحمد، أبو الليث، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ - 1993م، 3/ 370.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، 22/30.

(3) محمد بن النعمان المفيد، الإفصاح في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد، الطبعة الثانية، 1414هـ، ص: 94.

والعديد من النصوص والروايات التي ساقوها لإثبات الإمامة بعيدة كل البعد عن معنى الإمامة التي اصطلاحوا على تعريفها، وإنّ أيّ قارئ للقرآن لا يمكن أن يخطر بباله هذا هذه المعاني التي ذهبوا إليها وهو يقرأ الآيات، فلا توجد آية صريحة يمكن اعتبارها دليلاً على الإمامة، ورغم ذلك فهم متمسكون بكونها أدلة صريحة صحيحة على عقيدتهم في الإمامة⁽¹⁾.

وأثر الإمامة والولاية في التفسير لا يخفى إذ أنّها أخذت الحيز الكبير من الروايات التي ساقوها للتأويل الفاسد لطواهر النصوص، يقول الدكتور السالوس: « رأيت أن عقيدتهم في الإمامة كان لها أكبر الأثر في وضع الأصول، وفي تناولهم لكتاب الله تعالى، ولعل بيان هذا الأثر كاف شاف في مجال التفسير المقارن بين السنة والشيعية، فحيث لا يوجد أثر لعقيدتهم في الإمامة يصبح تفسيرهم كتفسير غيرهم، وبقدر وجود هذا الأثر بقدر افتراقهم عن سواهم»⁽²⁾.

د- طريق استحقاق الإمامة عند الشيعة.

سبق معنا أنّ لأهل السنة والجماعة طرق شرعية لاستحقاق الإمامة العظمى، وقد تم الإجماع على صحة الاستخلاف بها على مرّ العصور، أمّا عند الشيعة؛ فإنّ للإمامة طريق واحد وهو الوحي لا غير، إذ يعتقدون أنّ النبي ﷺ قد نصّ على من يخلفه من بعده بالترتيب، فلا دخل لبشر في تعيين الإمام، لا أهل الحل والعقد ولا غيرهم، بل جعلوها كالنبوة، من حيث مصدرها، فكما أن الله تعالى يختار الرسل، فهو أيضاً يختار الأئمة. قال المظفر: «نعتقد أنّ الإمامة كالنبوة لا تكون إلاّ بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينصّ على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكّموا فيمن يعينه الله هادياً ومرشداً لعامة البشر، كما ليس لهم حقّ تعيينه أو ترشيحه أو

(1) أمل بنت إبراهيم الشيخ، منهج علي بن إبراهيم القمي في تفسيره- عرض ونقد-، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، العام الدراسي، 1431هـ-1432هـ، ص: 347.

(2) السالوس، مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، ص: 449.

انتخابه، لأنّ الشخص الذي له من نفسه القدسيّة استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألاّ يعرف إلاّ بتعريف الله ولا يعيّن إلاّ بتعيينه»⁽¹⁾.

ويقول شيخهم المفيد: « والاستخلاف من الله تعالى للأئمة لا يكون استخلاف من العباد، ولما ثبت أن أبا بكر كان منصوباً باختيار عمر وأبي عبيدة بن الجراح، وعمر باستخلاف أبي بكر دون النبي صلى الله عليه وآله، وعثمان باختيار عبد الرحمن، فسد أن يكونوا داخلين تحت الوعد بالاستخلاف، لتعريفهم من النص بالخلافة من الله تعالى، وإقرار مخالفينا - إلا من شذ منهم - أن إمامتهم كانت باختيار، وثبت أن الآية كانت مختصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دونهم، لإجماع شيعته على أن إمامته باستخلاف الله تعالى له، ونصه عليه، وأقامه عليه السلام نبيه صلى الله عليه وآله علماً للأمة وإماماً لها بصريح المقال»⁽²⁾.

أمّا الأئمة المنصوص عليهم حسب اعتقاد الشيعة فهم إثنا عشر إماماً حسب الروايات الموثقة في كتبهم، وهم من ذرية علي عليه السلام ومما يستدلون به من الروايات: «يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرضين فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدتها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدي حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم، يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فقال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفت: فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلون وفي وسطهم المهدي، يضيء كأنه كوكب دري، فقال: يا محمد هؤلاء الحجج والقائم من عترتك، وعزتي وجلالي له الحجة الواجبة لأوليائي وهو المنتقم من أعدائي، بهم يمسك الله السماوات أن تقع على الأرض إلا باذنه»⁽³⁾.

(1) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص: 76.

(2) المفيد، الإفصاح في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ص: 94.

(3) المجلسي، بحار الأنوار، 200/27.

فالأئمة الإثني عشر هم على الترتيب⁽¹⁾:

الإمام الأول: علي بن أبي طالب عليه السلام.

الإمام الثاني: الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - ويلقبونه بالمجتبى، وقيل بالزكي.

الإمام الثالث: الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، ويلقبونه بالشهيد.

الإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويلقبونه بالسَّجَّاد، وزين العابدين.

الإمام الخامس: محمد بن علي بن الحسين، ويلقبونه بالباقر.

الإمام السادس: جعفر بن محمد بن علي، ويلقبونه بالصادق.

الإمام السابع: موسى بن جعفر الصادق، ويلقبونه بالكاظم.

الإمام الثامن: علي بن موسى بن جعفر، ويلقبونه بالرضي.

الإمام التاسع: محمد بن علي بن موسى، ويلقبونه بالتقي، و الجواد.

الإمام العاشر: علي بن محمد بن علي، ويلقبونه بالنقي، وقيل بالهادي.

الإمام الحادي عشر: الحسن بن علي بن محمد، ويلقبونه بالزكي، وقيل بالعسكري.

الإمام الثاني عشر: محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه بالمهدي.

ومن خلال ما سبق نرى أنّ الفرق بين أهل السنة والشيعة في مسألة الإمامة شاسع، من حيث شروط

الإمام، حيث يشترط الشيعة العصمة في الإمام، أو من حيث استحقاقها، حيث يرون أنها لا تخرج من الإثني

(1) علي بن محمد بن علي لخزاز القمي الرازي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: محمد كاظم

الموسوي، عقيل الربيعي، مركز نور الأنوار في إحياء بحار الأنوار، إيران، الطبعة الأولى: 1430هـ، ص: 422-423.

عشر إماما بعينهم، ويختلفون في طريقة تولي الإمامة، بحيث ترى الشيعة أنّ الإمام منصب منصوح عليه وحيًا.

ويظهر أنّ الحق الذي لا مرية فيه ما ذهب إليه أهل السنّة والجماعة، لقوة أدلتهم من الكتاب والسنّة، وأنّ اعتقادات الشيعة في الإمامة باطلة، مبنية على التحريف الباطني للآيات وتحميلها ما لا تتحمل، ومبنية على روايات باطلة منسوبة زورا للأئمة آل البيت رضوان الله عليهم.

المطلب الثالث: الآيات التي حرّف المؤلف تأويلها لإثبات الإمامة والولاية

سبق معنا بيان منزلة الإمامة عند الشيعة، وأن الإيمان لا يتم إلا بالاعتقاد بها، لذلك ما دامت بهذه الأهمية والمنزلة كان لا بد لها من أدلة من القرآن الكريم، وإذ أن الآيات لا يوجد فيها نص واحد حول الإمامة بمفهوم الشيعة كان لا بد من سلوك الاتجاه الباطني لإثباتها، وهذا ما سار عليه المؤلف في تفسيره ودونك الروايات التي ذكرها في تفسير الآيات.

1. قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:138]

عند تفسير هذه الآية الكريمة، ساق العياشي رواية: «عن عمر بن عبدالرحمن بن كثير الهاشمي مولى أبي جعفر عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:138] قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين بالولاية في الميثاق»⁽¹⁾.

فرزعت الرواية أنّ الصبغة، معرفة أمير المؤمنين بالولاية في الميثاق، والمقصود أنّ الله اخذ الميثاق على بني آدم بمعرفة علي رضي الله عنه بالولاية.

وهذه الرواية الباطلة لها نظائر كثيرة في تفاسير الشيعة، ففي تفسير فرات الكوفي: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: يا ابن رسول الله متى سمي علي أمير المؤمنين؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى حيث أخذ ميثاق ذرية ولد آدم وذلك فيما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله كما أقرأته: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأنّ محمدا عبدي ورسولي وأنّ عليا أمير المؤمنين حين أخذ ميثاق ذرية بني آدم)»⁽²⁾.

ففي هذا التفسير الباطل لا يوجد رابط ولا مناسبة بين ظاهر الآية ولا باطنها، وتفسير هذه الآية عند مفسري السنة كما جاء في تفسير الطبري: «يعني تعالى ذكره بالصبغة: صبغة الإسلام. وذلك أنّ النصراني إذا أراد أن تنصّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية»⁽³⁾ فنرى أن الطبري رحمه الله انطلق من ظاهر الآية واعتمد على المعنى اللغوي للصبغة، لأن القرآن أنزل بلغة العرب.

(1) تفسير العياشي، 1/63.

(2) تفسير فرات الكوفي، 1/146.

(3) تفسير الطبري، 3/117.

وقال ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري: «صِبْغَةَ اللَّهِ» [البقرة:138]، أي: دينه»⁽¹⁾، وإلى هذا ذهب بدر الدين العيني فقال: «صِبْغَةُ دِينٍ، أَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ الصَّبْغَةَ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة:138] مفسرة: بِالدِّينِ، وَكَذَا فَسَرَهَا مُجَاهِدٌ، رَوَاهُ عَنْهُ عَبْدُ بِنِ حَمِيدٍ مِنْ طَرِيقِ مَنْصُورٍ عَنْهُ قَالَ: صِبْغَةَ اللَّهِ، أَي: دِينَ اللَّهِ، وَرُوِيَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي بَجِيحٍ عَنْهُ، قَالَ: صِبْغَةَ اللَّهِ أَي: فَطْرَةَ اللَّهِ»⁽²⁾.

أما إذا رجعنا إلى معنى الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم فقد ورد في حديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة، فقد ورد أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآية، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: (إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، واستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون)، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار)⁽³⁾.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مسح ربك عز وجل ظهر آدم بنعمان هذه، وهي قرية من عرفات، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم أخذ عليهم الميثاق، ثم تلا:

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 142/1

(2) بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تحقيق، عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م، 109/18.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب: مسند الخلفاء الراشدين، باب: أول مسند عمر بن الخطاب ﷺ، رقم: 311، 399/1.

{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم} (1).

وينقل ابن القيم رحمه الله عن الإمام محمد بن نصر المروزي: أنه ذكر في كتاب الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم} الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم أخذ الميثاق عليهم وردهم في صلبه وأنه أخرجهم مثل الدر وأنه سبحانه قسمهم إذ ذاك إلى شقي وسعيد وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال قال إسحاق أجمع أهل العلم أنها الأزواج قبل الأجساد استنطقهم {وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل} (2).

وقد نقلت لنا الكثير من كتب العقائد اعتقاد أهل السنة والجماعة في الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم، قال الطحاوي في عقيدته: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق» (3).

فنلاحظ أن المنقول عن مفسري السنة يتوافق مع ظاهر القرآن الكريم ولم يصرّفوه إلى الباطن كشأن الباطنية، وعليه يظهر فساد هذا التفسير جلياً، وهو مردود بظاهر القرآن وسنة النبي ﷺ، وأقوال السلف.

2. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: 203].

يقول العياشي عند تفسيره لهذه الآية: «عن أبي حمزة الثمالي (1) عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 203]، قال: أنتم والله هم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يثبت على ولاية علي عليه السلام إلا المتقون» (2).

(1) أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي، القدر، تحقيق، عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997م، ص: 69.

(2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 110.

(3) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص: 240.

جعل المفسر المخاطب بهذه الآية هم الشيعة، والعمل الذي خوطبوا به هو الولاية، أي فمن تعجل إلى ولاية علي فلا إثم، ومن تأخر فلا إثم عليه، فلمهم هو الثبات على الولاية لأنه دليل التقوى؛ وهذا تحريف عجيب لكتاب الله تعالى إذ لا مناسبة بين الآية والولاية، فموضوع الآية مناسك الحج، كما هو معلوم عند المسلمين وعليها عمل الحجاج إلى يوم الدين، فالتعجل هو أن يقوم الحاج برمي الجمرات في يومين من أيام التشريق وهما الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، والتأخر هو رمي الحاج للجمرات في ثالث أيام التشريق.

وقد جاء مبينا في سنة النبي ﷺ، فعن بكير بن عطاء قال: « سمعت عبد الرحمن بن يعمر الديلي، قال: شهدت رسول الله ﷺ، وهو واقف بعرفة، وأتاه ناس من أهل نجد، فقالوا: يا رسول الله كيف الحج؟ قال: (الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر، ليلة جمع، فقد تم حجه، أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين، فلا إثم عليه، ومن تأخر، فلا إثم عليه، ثم أردف رجلا خلفه، فجعل ينادي بهن⁽³⁾ .

قال الواحدي: « ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [البقرة:203]، من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني من منى ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ في تعجله ﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ ﴾ عن النفر إلى اليوم الثالث ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ في تأخره ﴿ لِمَنْ أَتَقَى ﴾ أي: طرْح المأثم يكون لمن اتقى في حجه تضييع شيء مما حده الله تعالى⁽⁴⁾ .

قال ابن جزري: « أي انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق ومن تأخر إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجل فقليل: يترك رمي الجمار اليوم، وقيل: يقدمها في اليوم الثاني فلا إثم عليه في الموضعين، قيل إنه إباحة للتعجل والتأخر، وقيل: إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج، سواء تعجل أو تأخر لمن

(1) أبو حمزة الثمالي، هو ثابت بن أبي صفية دينار، مولى كوفي، وثقه النجاشي الشيعي وعدّه من خيار أصحابهم وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية. له كتاب « تفسير القرآن » توفي سنة (150هـ). انظر ترجمته: (رجال الطوسي، ص: 333)، و (رجال النجاشي، ص: 115).

(2) تفسير العياشي، 1/108.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناسك، باب: من أتى عرفة، قبل الفجر، ليلة جمع، رقم: 2، 3015/ 1003.

(4) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 158.

اتقى أما على القول بأن معنى: فلا إثم عليه الإباحة، فالمعنى أن الإباحة في التعجيل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما، فقد أبيح له ذلك من غير إثم»⁽¹⁾.

وقال القرطبي: «أي: من تعجل من الحاج في يومين من أيام منى صار مقامه بمنى ثلاثة أيام بيوم النحر، ويصير جميع رميه بتسع وأربعين حصاة، ويسقط عنه رمي يوم الثالث. ومن لم ينفر منها إلا في آخر اليوم الثالث حصل له بمنى مقام أربعة أيام من أجل يوم النحر، واستوفى العدد في الرمي»⁽²⁾.

فهذا تفسير علماء السنة بما يتوافق مع ظاهر القرآن وسنة النبي ﷺ، وإجماع الأمة منذ عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى يوم الناس هذا، بل لا دليل على التعجل والتأخر إلا هذه الآية الكريمة.

3. قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:208]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن أبي بكر الكلبي عن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قوله: ﴿

أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:208] هو ولايتنا»⁽³⁾.

فانظر كيف جعل السلام هو الولاية في هذه الآية الكريمة، فصير معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في ولايتنا كافة، ولا ريب أنّ تفسير السلم بالولاية، تفسير باطل ومردود يردّه ظاهر القرآن، وتأباه لغة العرب، ولم يعرف عن السلف الصالح، فمعاني السلم في اللغة «السلم، السلام. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:208] وَذَهَبَ بِمَعْنَاهَا إِلَى الْإِسْلَامِ. وَ (السَّلْمُ) الصُّلْحُ بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِهَا يُدَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. وَالسَّلْمُ الْمُسَالِمُ تَقُولُ: أَنَا سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَنِي»⁽⁴⁾.

وأما ما ذكره المفسرون من أهل السنة فلا يخرج عن ظاهر القرآن، ولا عن سياق الآيات، وموافق للغة العربية التي نزل بها القرآن.

(1) ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، 1/116.

(2) تفسير القرطبي، 3/2.

(3) تفسير العياشي، 1/110.

(4) مختار الصحاح، ص: 153.

فهذا إمام المفسرين الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية يقول: «وأولى التأويلات بقوله: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:208]، قول من قال: معناه، ادخلوا في الإسلام كافة، وأما الذي هو أولى القراءتين بالصواب في قراءة ذلك، فقراءة من قرأ بكسر السين، لأن ذلك إذا قرئ كذلك، وإن كان قد يحتمل معنى الصلح، فإن معنى الإسلام: ودوام الأمر الصالح عند العرب، أغلب عليه من الصلح والمسالمة»⁽¹⁾. فلم يخرج الطبري في تفسير السلم عن معهود العرب في كلامها وإن كان يرجح أن السلم بالكسر أولى إلا أن تفسيره بالصلح صحيح وهو ما يوافق لغة العرب، وعلى هذا التفسير جرى كل المفسرين من أهل السنة، وبهذا يظهر بطلان هذا التفسير الباطني الذي حرّف الآية الكريمة لإثبات الولاية .

4. قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمٌ﴾ [آل عمران157].

يقول العياشي: «عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَلَيْنِ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمٌ﴾ [آل عمران157]، قال لي يا جابر أتدري ما سبيل الله؟ قال: لا أعلم إلا أن أسمعهم منك، فقال سبيل الله علي وذريته، عليهم السلام، ومن قتل في ولايتهم قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايتهم مات في سبيل الله»⁽²⁾.

وفي تفسير نفس الآية ساق العياشي رواية أخرى: «عن عبدالله بن المغيرة عن حدثه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن قول الله ﴿وَلَيْنِ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمٌ﴾ [آل عمران157]. قال أتدري يا جابر ما سبيل الله فقلت: لا والله إلا أن أسمعهم منك، قال: سبيل الله علي وذريته، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله، ليس من يؤمن من هذه الأمة إلا وله قتلة وميته، قال: إنه من قتل ينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل»⁽³⁾.

(1) تفسير الطبري، 253/4.

(2) تفسير العياشي، 216/1.

(3) المصدر نفسه، 217.

ففي تفسير هذه الآية جعل المفسر، المعنى الظاهر في قول الله تعالى: ﴿وَلَيْن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمٌ﴾ [آل عمران 157]، سبيل عليّ وذريته، في تحريف صارخ لمعنى الآية الكريمة التي يدل ظاهرها على القتل في سبيل الله تعالى، وهذا تفسير باطني باطل، مخالف لسياق الآية، وموضوعها، ومخالف للغة العربية، ومخالف لقواعد التفسير، فكيف يكون سبيل الله، هو سبيل عليّ وذريته؟! .

ومعنى هذه الآية ظاهر لا يحتاج إلى تكلف حتى يفهم، ففي هذه الآية «يُخَاطَبُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ يُقُولُ لَهُمْ: لَا تَكُونُوا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةَ، كَمَا شَكَّ الْمُتَافِقُونَ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ عَلَى يَقِينٍ مِنْكُمْ بَأَنَّهُ لَا يُقْتَلُ فِي حَرْبٍ، وَلَا يَمُوتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا مَنْ بَلَغَ أَجَلَهُ وَحَانَتْ وَقَاتُهُ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى جِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَوْتًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقِتْلًا فِي اللَّهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ حُطَامِهَا وَرَغِيدِ عَيْشِهَا الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ يَتَشَاقَلُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَأَخَّرُونَ عَنِ لِقَاءِ الْعَدُوِّ»⁽¹⁾.

5. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: أما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48]، يعني أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية عليّ وأما قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]، يعني لمن والى عليّاً عليه السلام»⁽²⁾.

في تفسير هذه الآية جعل المفسر المعنى الظاهر من الآية معنى باطنياً مخالفاً للشرع والعقل، مخالفاً للغة العربية، فجعل الشرك بالله، وهو الظاهر في الآيات الأخرى وفي أحاديث النبي ﷺ وهو صرف العبادة لغير الله تعالى، إلى الكفر بولاية عليّ، وهذا تفسير فاسد، مردود على صاحبه، وهو من الثمار المسمومة للإتجاه الباطني.

(1) تفسير الطبري، 337/7

(2) تفسير العياشي، 246-245/1.

وهذا الآية ذكر العلماء سببين لنزولها «أحدهما، أنها نزلت في حق طعمة بن أبيرق لما هرب من مكة، ومات على الشرك، وهذا قول الجمهور، منهم سعيد بن جبير، والثاني، أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مُنهمك في الذنوب، إلا أني لم أشرك بالله منذ عرفته، وإني لنادمٌ مستغفرٌ، فما حالي؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس»⁽¹⁾.

فهذه الآية الكريمة، لا علاقة لها بالولاية، لا من قريب ولا من بعيد، فموضوع الآية التحذير من الشرك، وذكر عاقبته وأن الله تعالى لا يغفره كما جاء في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65]. وقوله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت)⁽²⁾.

كما تضمنت الآية كرم الله وفضله وأنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من عباده وهي سائر المعاصي التي لا تصل إلى الكفر والشرك وإن مات المسلم عليها، وهذا مبثوث في كتب العقائد وغيرها وهو معتقد أهل السنة والجماعة «فمن جاء مع التوحيد، بثراب الأرض، وهو ملؤها، أو ما يقارب ملأها خطايا، لقيه الله بقرايها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله - عز وجل -، فإن شاء غفر له، وإن شاء، أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته ألا يُخلد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة»⁽³⁾.

وعليه فإن معنى الآية من ظاهرها يفهم بيسر وهو أن الله لا يغفر الشرك به ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو التفسير الذي يتوافق مع كتاب الله وسنة النبي ﷺ وتفسير السلف.

(1) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ، 472/1.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، رقم: 5976، 4/8. ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، رقم: 87، 91/1.

(3) تفسير ابن رجب، 1/339-340.

6. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء:58].

قال العياشي عند تفسير هذه الآية: « الحلي عن زرارة ﴿ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:58]، يقول: أدوا الولاية إلى أهلها، ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء:58] قال: هم آل محمد وآله عليهم السلام»⁽¹⁾.

هذه الآية كما سبقها من الآيات تم تحريفها عن ظاهرها من غير دليل سيرا على الاتجاه الباطني فكان المعنى بعيد عن مراد الله تعالى مخالفا لسنة النبي ﷺ، ومخالفا للغة العرب، حيث جعل الأمانة التي في الآية، وهي المعهودة من كلام العرب جعلها الولاية، فصير معنى الآية، إن الله يأمركم أن تؤدوا الولاية إلى أهلها، وسار على نفس الاتجاه مع قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء:58] فحرف ظاهر الآية إلى معنى باطن فاسد مردود، حيث فسّر العدل بآل محمد ﷺ.

وتفسير الأمانة بالولاية مسطور في العديد من التفاسير الشيعية الأخرى، فمن ذلك ما ذكره الشيرازي في تفسيره بعد أن ذكر معاني الأمانة: « وأحيانا تفسير الأمانة بأتمها الولاية بشكل عام، ومما يلفت النظر رواية زرارة أحد تلاميذ الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:58]، أدوا الولاية إلى أهلها»⁽²⁾.

أما القمّي فجعل المخاطب في هذه الآية هم الأئمة أنفسهم إذ يقول في تفسيره: « فرض الله على الإمام أن يؤدي الأمانة إلى الذي أمره الله من بعده ثم فرض على الامام ان يحكم بين الناس بالعدل فقال ﴿وَإِذَا

(1) تفسير العياشي، 249/1.

(2) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 421/10.

حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿النساء: 58﴾ ثم فرض على الناس طاعتهم فقال: (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) يعني أمير المؤمنين عليه السلام⁽¹⁾.

وقد جاء تفسير الأمانة بولاية علي عليه السلام في بعض روايات الكافي، فمن ذلك الرواية التي أوردتها الكليني: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ [الأحزاب: 71] قال: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»⁽²⁾.

والتفسير الصحيح للآية الذي يوافق ظاهر القرآن ويُعمل أصول التفسير ما جاء عن مفسري أهل السنة، فمن ذلك مكّي بن أبي طالب القيسي في تفسيره: «قال ابن عباس: الآية على العموم في كل من ائتمن على شيء فعليه رده إلى أهله، واختار أهل النظر أن يكون خطاباً لولاة أمور المسلمين أن يؤدوا الأمانة فيما ائتمنوا عليه من أمور المسلمين في أحكامهم والقضاء في حقوقهم بكتاب الله، والقسم بينهم بالسوية، ويدل على صحة ذلك أن الله تعالى أمر المسلمين بطاعتهم بعد ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فحض الولاية على العدل والإنصاف بين المسلمين، وحض المسلمين على طاعة الولاية»⁽³⁾.

فانظر كيف أعمل المفسر مكّي بن أبي طالب السياق والتناسب بين الآية ولاحقها في تفسير الأمانة، وهذا التناسب يجعل تفسير الأمانة بالولاية تفسير باطل مردود.

كما أنّ سبب نزول الآية يردّ هذا التأويل التحريفي، فعن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]؛ قال: نزلت في عثمان بن طلحة، قبض النبي -

(1) تفسير القمي، 207/1.

(2) الكليني، الكافي، 259/1.

(3) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، 1366/2.

ﷺ - مفتاح الكعبة، فدخل الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح وقال: (خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم)⁽¹⁾.

7. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 03].

قال العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن ابن أذينة قال: سمعت زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أن الفريضة كانت تنزل، ثم تنزل الفريضة الأخرى فكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 03]. فقال أبو جعفر: يقول الله: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة»⁽²⁾.

يرى المؤلف أن الولاية كانت آخر ما نزل من الفرائض، وأنّ بها كمال الدين ثم استدل لها بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 03]، فاستدلّ لشيء باطل لم يدلّ عليه القرآن والسنة بآية لا علاقة لها بالولاية، ثم جعل معنى الآية، لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، وهذا بسبب الاتجاه الباطني، الذي يحرف كلام الله تعالى لإثبات عقيدته الباطلة، وقد سبق معنا بطلان هذه العقيدة إذ لا مستند لها ولا متكأ من كتاب ولا سنة ولا عقل سليم، إذ كيف يخفى على الجمّ الغفير من أصحاب النبي صلى الله عليهم وسلّم هذه الفريضة التي بها تمام الدين وهم يعتبرون نزول الآية عيداً ويعظمونها.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لا تأخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

(1) الواحدي، أسباب النزول، ص: 158.

(2) تفسير العياشي، 322/1.

وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿المائدة:03﴾، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت ورسول الله - ﷺ - قائم بعرفة يوم الجمعة»⁽¹⁾.

ومعنى الآية، أن الله يخبر جلّ جلاله بأنه أكمل الدين فلا نقص فيه ولا يحتاج المسلمون إلى من يكمله، وأنه ارتضى لهم الإسلام ديناً، فظهر بطلان التفسير الباطني لهذه الآية.

8. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة:05].

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة:05]، يعني بولاية علي عليه السلام وهو في الآخرة من الخاسرين»⁽²⁾.

في تفسير هذه الآية فسّر المؤلف الإيمان بولاية عليّ ﷺ، فيصير معنى الآية، ومن يكفر بولاية عليّة فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين، وهذا بقدر ما هو جناية على التفسير، فيه أيضاً تكفير للمخالف للشيعة في عقيدة الولاية، لأنّ الذي يحبط العمل هو الشرك كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:65]. وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:88]. فتفسير الإيمان بولاية علي ﷺ تفسير باطل، يخالف كتاب الله وسنة النبي ﷺ إذا لا يوجد في الكتاب والسنة وأقوال السلف ما يدل على هذا الركن المخلوق وهو ولاية علي ﷺ، ويجعل منكرها كافراً، حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث: 45، 18/1. ومسلم في

صحيحه، كتاب: التفسير، رقم الحديث: 3017، 2313/4

(2) تفسير العياشي، 326/1.

ومعنى الآية كما جاء في تفسير البغوي عند تفسير هذه الآية: «ابن عَبَّاسٍ وَجَاهِدٌ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ، أَيْ: بِاللَّهِ الَّذِي يَحِبُّ الْإِيمَانَ بِهِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: بِالْإِيمَانِ أَيْ: بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَهِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَقِيلَ: وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ، أَيْ: يَسْتَحِلُّ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُ الْحَلَالَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»⁽¹⁾.

فهذه الأقوال وغيرها وإن كانت مختلفة إلا أنّ الجامع لها أنها تذكر الأعمال التي تصل بصاحبها إلى الكفر وتحبط العمل، ويجمعها جميعاً الردة . وهذا موافق لكتاب الله وسنة النبي ﷺ.

9. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [المائدة:66]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [المائدة:66]، قال: الولاية»⁽²⁾.

في تفسير هذه الآية سار المؤلف على الاتجاه الباطني لإثبات الولاية، فحرف الآية عن سياقها، إذ الآية تتحدث عن كتب منزلة وتأمّر أهل الكتاب بإقامتها، فبدأت بالتوراه ثم الإنجيل ثم ما أنزل إليهم من ربهم، فكيف ينتقل سياق القرآن إلى الولاية ؟ حيث جعل معنى الآية ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل والولاية.

والدليل على بطلان هذا التفسير هو مخاطبة أهل الكتاب في الآية التي بعدها بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة:66]، فكيف يخاطب الله أهل الكتاب بالولاية وهم غير معنيين بها أصلاً إن سلّمنا بوجودها حسب معتقد الشيعة.

وسياق الآية يمنع هذا التفسير الباطل، فهي تتحدث عن أهل الكتاب ودعوتهم إلى تطبيق أحكام التوراة والإنجيل، ولو فعلوا ذلك لآمنوا تبعاً بالقرآن ودخلوا في الإسلام⁽¹⁾

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 19/2.

(2) تفسير العياشي، 359/1.

لذا لا يرتاب أحد في بطلان هذا التفسير المبني على الهوى والقول على الله بغير علم مخالفاً للكتاب والسنة وسياق القرآن الكريم، وقواعد التفسير وأصوله.

والمعنى الصحيح للآية، يعني أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما وما أنزل إليهم من ربهم أي القرآن. وقيل: كتب بني إسرائيل⁽²⁾.

يقول ابن عاشور: « والمقصود من الآية إنما هو إقامة التوراة والإنجيل عند مجيء القرآن بالاعتراف بما في التوراة والإنجيل من التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنوا به وبما أنزل عليه. وقد أومأت هذه الآية إلى توغل اليهود في مجانبة الهدى لأنهم قد عطلوا إقامة التوراة منذ عصور قبل عيسى، وعطلوا إقامة الإنجيل إذ أنكروه، وأنكروا من جاء به، ثم أنكروا نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقيموا ما أنزل إليهم من ربهم»⁽³⁾

فلاحظ على أقوال علماء السنة من السلف والخلف الإنضباط بقواعد التفسير الصحيح، لذا لا نجد اختلاف التضاد في أقوالهم، بل اختلاف التنوع الذي يمكن ترجيح بعضه على بعض فيكون بين راجح ومرجوح، لا بين حق وباطل.

10. قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُعَيْنَا وَكُفِّرًا ۗ ﴾ [المائدة: 68]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: « عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾

(1) عبد الفتاح الخالدي، الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في كتابه أصول الكافي، ص: 195.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 431/11.

(3) التحرير والتنوير، 266/6.

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿المائدة:68﴾. قال: هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»⁽¹⁾.

عند تفسير هذه الآية ساق العياشي هذه الرواية و جعل الآية دليلا على ولاية علي رضي الله عنه ، وهذا تفسير باطل إذ كيف يخاطب أهل الكتاب بالولاية مع التوراة والإنجيل، فالله أمرهم بإقامة التوراة والإنجيل والكتب المنزلة ومنها القرآن الكريم بهذا يكونون من أهل الإيمان وبغير ذلك فهم ليسوا على شيء، هذا ماتدل عليه آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

وسبب نزول هذه الآية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «جاء رسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف وراتع بن حرملة، قالوا يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها حق، فقال رسول الله ﷺ: بلى: ولكنكم أحدثتم وحدثتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكنتم منها ما أمرتم أن تبيّنوه للناس فأنا بريء من إحدائكم. قالوا: فإننا نأخذ بما في أيدينا فإننا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [المائدة:68]»⁽²⁾.

11. قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام:93]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام:93]، قال: من ادعى الإمامة دون الإمام عليه السلام»⁽³⁾.

(1) تفسير العياشي، 363/1.

(2) تفسير الطبري، 473 / 10.

(3) تفسير العياشي، 399/1.

يجعل المؤلف لهذه الآية تفسيراً يثبت به عقوبة من ادعى الإمامة من دون الإمام، حيث جعله قد افترى على الله كذبا، وقال أنه أوحى إليه كذبا، وقال سأنزل مثل القرآن الكريم، وهذا خروج عن ظاهر القرآن الكريم من غير دليل بل ربط هذه الآيات بادعاء الإمامة دون الإمام، مخالف للقرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 93]، وردت في عدة مواضع من القرآن، وهي وعيد لمن اختلق الكذب ليشارك بالله تعالى.

وفي سبب نزول هذه الآية، أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة في قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 93]، قَالَ: نزلت في مسيئة فيما كان يسجع ويتكهن به ومن {قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} قَالَ: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ فِيمَا يَمْلَى {عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فَيَكْتُبُ {عَفُورٌ رَحِيمٌ} فَيَغْيِرُهُ ثُمَّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا لَمَّا حَوَّلَ فَيَقُولُ: نَعَمْ سَوَاءٌ فَرَجَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَلِحَقِّ بَقْرِيشٍ»⁽¹⁾.

فظهر من هذا أنه لا علاقة بين هذه الآية وبين الولاية، وعليه فإن تفسير الآية بهذا التفسير الباطني باطل مردود مخالف لظاهر القرآن.

12. قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 160].

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «قال محمد بن عيسى في رواية شريف عن محمد بن علي وما رأيت محمديا مثله قط: الحسنة التي عنى الله ولايتنا أهل البيت، والسيئة عداوتنا أهل البيت»⁽²⁾.

(1) السيوطي، الدر المنثور، 317/3-318.

(2) تفسير العياشي، 415/1.

في تفسير هذه الآية، وبجراحة عجيبة يصرف المفسر القرآن عن ظاهره، ويجعل مراد الله تعالى من الحسنة، ولاية أهل البيت، ومراده من السيئة عداوة أهل البيت.

ومعنى الآية الصحيح الدال على فضل الله تعالى، أن الله يجزي بالحسنة عشر حسنات، ويجزي عن السيئة سيئة فقط.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أن لهذه الآية مثيلات ومنها قول الله جلّ وعلا: ﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَلِّعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠﴾ [النساء:40]. ومنها قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:89].

والمقصود بالحسنة في هذه الآيات، «هي فعل خير من أفعال العبد، كالإنفاق في سبيل الله، وبذل النفس والمال في إعلاء كلمة الله، ونحو ذلك، ومعنى قوله تعالى: فله خير منها، بالنسبة إلى هذا النوع من الحسنات، أن الثواب مضاعف، فهو خير من نفس العمل، لأن من أنفق درهما واحدا في سبيل الله فأعطاه الله ثوابا هو سبعمائة درهم فله عند الله ثواب هو سبعمائة درهم مثلا، خير من الحسنة التي قدمها التي هي إنفاق درهم واحد»⁽¹⁾.

وقد وردت معاني هذه الآيات في الكثير من السنة النبوية، فعن عبد الله بن عمرو، عن النبي - ﷺ - قال: (يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ: رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْعُوُ فَهُوَ حِظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو، فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُونٍ وَلَمْ يَتَخَطَّ رِقْبَةَ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُوذْ أَحَدًا، فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا وَزِيَادَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ١٦٠﴾ [الأنعام:160])⁽²⁾.

(1) الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، 6/145.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: الكلام والإمام يخطب، رقم: 1113، 2/330.

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من صام ثلاثة أيام من كل شهر، فذلك صوم الدهر، فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك في كتابه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ﴿فاليوم بعشرة أيام﴾⁽¹⁾.

وَعَنْ هِلَالِ بْنِ طَلْحَةَ أَوْ طَلْحَةَ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، صُمْ الدَّهْرَ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ)، قَالَ: وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:160]، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: (صُمْ صِيَامَ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا)⁽²⁾.

فهذه الأحاديث مفسرة للآية الكريمة، ومبيّنة لمعنى الحسنة ومضاعفتها لمن عملها، وهي متوافقة مع ظاهر القرآن ولغة العرب وأصول التفسير، فمن ذلك يظهر أنّ تفسير الحسنة بولاية عليّ تفسير باطل مردود مخالف للقرآن نفسه، ومخالف للسنة.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الصوم عن رسول الله ﷺ، باب: باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: 126/762، والنسائي في سننه، كتاب: الصيام، رقم: 219/ 2409،4، وابن ماجه، في سننه، كتاب: الصيام، باب: ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: 544/1708،1.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رقم: 6914، 512/11.

13. قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: 51].

أورد العياشي كتفسير للآية هذه الرواية عن أبي بصير قال : « سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: 51]؛ يعني بذلك : ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد»⁽¹⁾ .

جعلت هذه الرواية كلمة الإله المعروفة في الكتاب والسنة وكلام العرب دون خلاف جعلتها علياً، مخالفة للقرآن والسنة ولغة العرب وأقوال المفسرين، فكان المعنى الفاسد للآية : لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد. والمعنى الظاهر من الآية لا تتخذوا لي شريكاً أيها الناس، ولا تعبدوا معبودين، فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكاً، ولا شريك لي، إنما هو إله واحد ومعبود واحد، وأنا ذلك⁽²⁾

وإذا رجعنا إلى اللغة فإن مصدر اشتقاق مصطلح الإله بعيد كل البعد عن مصطلح الإمام؛ قال ابن فارس: في مادة "أله": «الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التَّعْبُد. فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود. ويقال تأله الرجل، إذا تعبد. قال رؤبة: لله دُرُّ الغاياتِ المدهِ سَبَّحْنَ واستَرْجَعْنَ مِنْ تَأْهُي»⁽³⁾، فظهر بطلان هذا التفسير الذي ساقته العياشي في روايته.

وعلى ضوء ما سبق نجد العياشي قد ساق وجمع الروايات الباطلة التي تفسر القرآن تفسيراً باطنياً لأجل إثبات عقيدة الإمامة والولاية عند الطائفة الإثني عشرية وجميع ما ذهب إليه باطل مردود مخالف لأصول التفسير، والكثير من الروايات مخالفة للعقل السليم.

(1) تفسير العياشي، 283/2

(2) تفسير الطبري، 220/17.

(3) معجم مقاييس اللغة، 127/1.

المبحث الثالث: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات فضائل الشيعة والطعن في مخالفهم

رأينا فيما مرّ معنا من روايات أنّها جاءت لأغراض متعدّدة ومن بين الأغراض التحريفية للروايات إثبات فضائل الشيعة عموماً وآل البيت على وجه الخصوص، ومنها أيضاً الطعن في المخالفين عموماً، والطعن في خواص الصحابة، كأمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين الثلاثة وغيرهم وسنحاول في هذا المبحث الوقوف على مكانة الصحابة بين السنة والشيعة والوقوف مع الروايات التفسيرية التي تحرّف معاني الآيات لأجل نفس الغرض.

المطلب الأول: تعريف الصحابي لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الصحابي لغة

قال ابن فارس في مادة (ص، ح، ب): «الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقارنته، ومن ذلك الصحاب، والجمع: الصحب؛ ومن الباب: أصحاب فلان: إذا انقاد، وكل شيء لائم شيئاً فقد استصحبه»⁽¹⁾.

وجاء في لسان العرب: «صحب: صحبه يصحبه صحبة، بالضم، وصحابة، بالفتح، وصاحبه: عاشره. والصحب: جمع الصحاب مثل راكب وركب. والأصحاب: جماعة الصحب مثل فرخ وأفراخ. والصحاب: المعاشر؛ ... والجمع أصحاب، وأصاحيب، وصحبان، مثل شاب وشبان، وصحاب مثل جائع وجياع، وصحب وصحابة وصحابة، حكاهما جميعاً الأخفش، وأكثر الناس على الكسر دون الهاء، وعلى الفتح معها، والكسر معها عن الفراء خاصة. ولا يمتنع أن تكون الهاء مع الكسر من جهة القياس»⁽²⁾.

قال الباقلائي: «لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول صحابي مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً كما أن القول مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكالم والمخاطبة والضرب وجرار على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيراً وكذلك

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 261/3.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 519/1.

جميع الأسماء المشتقة من الأفعال وكذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره»⁽¹⁾.

وبملاحظة أقوال علماء اللغة في الصحابي فإننا نجد أنها ترجع إلى الملازمة والمجانسة والقرب لذا فإننا نجد علاقة وطيدة بين المعنى اللغوي والإصطلاحي لمصطلح الصحابي كما سيأتي في تعريف الصحابي في الإصطلاح.

كما أن الصحبة في اللغة تطلق على أقل مخالطة و أدنى لقاء وإن كان مدة يسيرة قال ابن تيمية رحمه الله: « والأصحاب جمع صاحب والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها لأنه يقال صحبته ساعة وصحبته شهراً وصحبته سنة قال الله تعالى: والصاحب بالجنب»⁽²⁾.

ثانياً: الصحابي اصطلاحاً:

اتفق العلماء كما مرّ معنا في أنّ الصحبة في اللغة تطلق على من صحب غيره من غير اشتراط مدة، سواء كانت هذه المصاحبة طويلة أو قصيرة، لكنهم اختلفوا في حقيقتها العرفية، وذلك على قسمين:

القسم الأول: الأصوليون

يرى جمهور الأصوليين أنّ الصحابي لا يسمى صحابياً في الإصطلاح إلا إذا صحب النبي ﷺ مدة طويلة، واختلفوا في تحديد هذه المدة.

يقول قال أبو نصر بن القشيري: « لفظ الصحابي من الصحبة فكل من صحبه ﷺ لحظة يطلق عليه اسم الصحابي لفظاً غير أن العرف اقتزن به فلا يطلق هذا اللفظ إلا على من صحبه مدة طالت صحبته

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، تحقيق، أبي إسحاق إبراهيم بن مصطفى آل بحج الدمياطي، دار الهدى، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433هـ-2003م، 193/1.

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق، محمد عبد الله عمر الحلواني و محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 1076/3.

فيها»⁽¹⁾، وحكى نحو هذا القول، السمعاني، أبو حامد الغزالي، و أبو الخطاب الحنبلي، وابن أمير الحاج وغيرهم.

من خلال تعريف الأصوليين نرى أنّ الصحابي يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية:

1- من لقي النبي ﷺ وصاحبه مدة طويلة.

2- من آمن به ﷺ.

3- أن يموت على الإسلام.

القسم الثاني: المحدثون

إذا تأملنا تعريفات جمهور المحدثين للصحابي فإننا نجدهم اعتمدوا اعتماداً كبيراً على معناه اللغوي، فهم يجعلون كلّ من التقى بالنبي ﷺ ولو برهة من زمان قد نال شرف الصحبة.

قال إمام المحدثين البخاري رحمه الله: « باب فضائل أصحاب النبي ﷺ وهم: و من صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»⁽²⁾.

وقال ابن حجر: « وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام؛ فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغاز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»⁽³⁾.

ونرى من خلال تعريف المحدثين أن الصحابي من توفرت فيه الشروط التالية:

(1) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق، عبد القادر عبد الله العاني، دار الصفوة للطباعة و النشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1992م، 302/4.

(2) صحيح البخاري، 2/5.

(3) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، 158/1.

1- من صحب النبي ﷺ صحبة طالت أو قصرت.

2- من آمن به ﷺ.

3- من مات على الإسلام.

وقد اختلف العلماء فيمن تخللت صحبته ردة فقال قسم: يعد صحابيا إن تاب، وقال آخرون: إن الردة تبطل الصحبة وإن تاب منها صاحبها⁽¹⁾.

ونرى أنّ الخلاف بين الأصوليين والمحدثين في تعريف الصحابي خلاف حقيقي، ينبني عليه الخلاف في عدد أصحاب النبي ﷺ، ويترتب عن ذلك:

- مسألة العدالة، فمن عدّ من الصحابة فهو عدل، ومن لم يعدّ من الصحابة فإنه يبحث في عدالته كغيره من الرواة.
- مسألة أقوال الصحابة في التفسير.
- مسألة مرسل الصحابي.
- مسألة ما رواه الصحابي مرفوعا.

والذي تعضده الأدلة هو تعريف المحدثين فلا شكّ أن من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ولو مدّة يسيرة له فضل على غيره، فلا يمكن اعتباره تابعا، وقد نال شرف لقي النبي ﷺ، وذلك لشرف ومكانة النبي ﷺ.

المطلب الثاني: مكانة الصحابة عند أهل السنة

أولا: الأدلة على فضل الصحابة في القرآن الكريم

يحتل أصحاب رسول الله ﷺ المكانة السامية في قلوب المؤمنين لأنّ الله شرفهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ ولما جاء في فضلهم في القرآن والسنة فإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد العديد من الآيات التي تحوي الشناء الباهر عليهم ومن ذلك:

(1) الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، 4/304.

قال الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَعَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: 29].

ففي هذه الآية الكريمة أوصاف عظيمة للصحابة رضي الله عنهم، أثنى عليهم رهم جلّ وعلا ورفع قدرهم، وعدّد محاسنهم، وذلك ولا ريب مزية كبيرة لهم.

يقول الإمام الشنقيطي عند تفسير هذه الآية: « وهذه الآية الكريمة قد بين الله فيها أنه ضرب المثل في الإنجيل للنبي - ﷺ - وأصحابه بأنهم كالزراع يظهر في أول نباته رقيقاً ضعيفاً متفرقاً، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد وتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين بها، فكذلك النبي - ﷺ - وأصحابه كانوا في أول الإسلام في قلة وضعف ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا»⁽¹⁾.

وفي فضل الصحابة الذين بايعوا خاصة يقول الله جل جلاله: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: 18]. والبيعة المذكورة في هذه الآية هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي ﷺ حين نزل بالحديبية بعث حراش بن أمية الخزاعي رسولاً إلى مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر لبيعته فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم، فبعث عثمان بن عفان فخبّرهم أنه لم يأت للحرب، وإنما جاء زائراً للبيت فوقروه واحتبس عندهم فارحف بأنهم قتلوه فقال رسول الله ﷺ: (لأنبرح حتى نناجز) القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه على أن يناجزوها قريشاً ولا يفروا، تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفاً وأربعمائة⁽²⁾.

(1) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، 7/398.

(2) تفسير النسفي، 3/339.

وفي فضل المهاجرين والأنصار، وفي سلامة صدورهم ونقاء سريرتهم يقول الله جلّ وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 8 - 10].

فهذه الآيات المباركات تضمنت وصف أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، بأوصاف تندر في غيرهم، وأخلاق سامية جعلتهم أهلاً لدرجة الصحبة، فهم الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم وهاجروا ابتغاء مرضاة الله، وهم أصحاب القلوب السليمة التي لا حقد فيها ولا غل ولا حسد، وهم أهل الإيثار وقت الشدة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد وعدهم الله عزّ وجل الحسنى، المجتهد منهم في العبادة والأقل اجتهادا ففي تفاوتهم في الإنفاق بين من أنفق قبل فتح مكة وبعدها يقول الله جل جلاله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: 10].

قال ابن جزري: «ومعنى الآية التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك، فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا، والحاجة إلى الانفاق والقتال كانت أشد، ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة أعظم أجرا من أنفق في حال الرخاء، وفي الآية حذف دل عليه الكلام تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل. ثم حذف ذلك لدلالة قوله: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الحديد: 10] وفي هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة وكلا وعد الله الحسنى أي كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة»⁽¹⁾.

ومّا جاء في فضل الصحابة السابقين إلى الإسلام قوله الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

قال الرازي: « والسبق في الهجرة وصف مناسب للتعظيم، وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب، يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فدل هذا على أن التعظيم الحاصل من قوله: رضي الله عنهم ورضوا عنه معلل بكونهم سابقين في الهجرة، والعلة ما دامت موجودة، وجب ترتب المعلول عليها، وكونهم سابقين في الهجرة وصف دائم في جميع مدة وجودهم، فوجب أن يكون ذلك الرضوان حاصلًا في جميع مدة وجودهم، أو نقول: إنه تعالى قال: (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) وذلك يقتضي أنه تعالى قد أعد تلك الجنات، وعينها لهم، وذلك يقتضي بقاءهم على تلك الصفة التي لأجلها صاروا مستحقين لتلك الجنات»⁽²⁾.

فهذه نماذج نيرات من مشكاة القرآن الكريم، ناطقة بفضلهم، وشاهدة بسبقهم، وهي آيات قطعية الدلالة، وعليه فإنّ أيّ معارضة لهذه الآيات الكريمة في فضلهم، مردودة على صاحبها، لمخالفتها لصريح القرآن الكريم، والآيات غيرها في فضلهم كثيرة، لكن نكتفي بإيراد هذه لأنها كافية في إيضاح مكانة الصحابة رضوان الله عليهم.

(1) ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، 2/345.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، 16/129.

ثانيا: الأدلة على فضل الصحابة في السنة المشرفة

كما أنّ آيات القرآن الكريم شاهدة بفضل الصحابة رضوان الله عليهم، فكذا جاءت أحاديث النبي ﷺ تثني عليهم، وتدافع عنهم، وتؤكد شرفهم وتقدمهم على من بعدهم في المكانة والفضل وفيما يلي نصوص نبوية في فضلهم، تعددت أغراضها فنصوص تثني عليهم، ونصوص تدافع عنهم، ونصوص أخرى تنهى عن أذيتهم، ونصوص في فضل خواص الصحابة، كالمبشرين بالجنة، أو نساء النبي ﷺ، أو ما جاء في فضل أفراد الصحابة رضوان الله عليهم، حسب سياق كلّ حديث .

ففي إثبات الخيرية لجيل الصحابة عموما قال ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)⁽¹⁾.

ومن فضلهم رضي الله عنهم أن حياتهم أمان للأمة وهذا لا شكّ فضل عظيم أن كانوا سببا لأمان الأمة في عصرهم كما قال ﷺ فعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَعْرَبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَعْرَبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: النَّجُومُ أَمْنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النَّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ)⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، رقم: 3651، 5/3. ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم: 2533، 1963/4.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، رقم: 2531، 1961/4.

قال النووي: « ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسمااء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت وقوله ﷺ: « وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون» أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقد وقع كل ذلك، قوله ﷺ: «وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك» (1).

وقد جاءت السنة حافلة بالثناء على أصناف محددة من الصحابة، ومن ذلك ما جاء في فضل الصحابة الذين شهدوا موقعة بدر وقد جعل النبي ﷺ لأهل بدر فضلا على غيرهم، فعن علي رضي الله عنه قال: « بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالرُّبَيْعُ وَالْمُقَدَّادُ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخِ، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا حَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرُّوضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟ قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَصْطَبِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا ازْتِدَادًا عَن دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: (إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) قَالَ عَمْرُو: وَنَزَلَتْ فِيهِ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } قَالَ: لَا أُدْرِي الْآيَةَ فِي الْحَدِيثِ أَوْ قَوْلُ عَمْرُو « (2).

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 83/16.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: { لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء } [المتحنة: 1] ، رقم: 4890، 149/16.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أصيب . حارثة . يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى تر ما أصنع فقال: «ويحك . أو هبلت . أو جنة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس»⁽¹⁾.

قال ابن كثير رحمه الله، وهو يذكر فضل ذلك الصحابي الذي شهد بدرا ولم يكن في قتال مع العدو ومع ذلك فمن فضل الله أن نال الفردوس بشهادته: «وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا لم يكن في بحيجة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس . التي هي أعلا الجنان، وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة، أن يسألوه إياها، فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً ومعدداً»⁽²⁾.

وقد جاء في السنة مزيد فضل لبعض الصحابة فمن ذلك ما جاء في فضل العشرة المبشرين بالجنة الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»⁽³⁾.

وقال الإمام الذهبي بعد ذكر السيرة الحافلة للأئمة العشرة المبشرين بالجنة: «فهذا ما تيسر من سيرة العشرة، وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدرين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة، فأبعد الله الرافضة ما أغواهم، وأشد هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم، وبخسوا التسعة حقهم، وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة؟ فوالله ما جرى من ذلك شيء، وأنهم زوروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تميم، يتجر ويتكسب، لا لرغبة في

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي ، باب: فضل من شهد بدرا، رقم: 3982، 77/5.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 3/329.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري رضي الله عنه، رقم:

أمواله، ولا لرهبه من عشيرته ورجاله، ويحك أيفعل هذا من له مسكة عقل؟ ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة، لاستحال وقوعه والحالة هذه من ألوف من سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة، وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في براء الرفض، فإنه داء مزمن، والهذى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله»⁽¹⁾.

وقد جاء في فضل أبي بكر رضي الله عنه ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد

الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه

فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال: نعم إني

لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك أصدقته بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق»⁽²⁾.

وعن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدثه قال: «نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في

الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين

الله ثالثهما»⁽³⁾.

والشيعة الذين يزعمون حب علي واتباعه يخالفونه في توقيره لأبي بكر، بل إنّه بايعه على الخلافة وارتضاه

مع المبايعي رغم أنهم يشوشون على بيعة علي للصديق بحكم تأخره عن المبايعين في أول الأمر بسبب حزنه

لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بايعه بعد ذلك على ملأ من الأَشهاد⁽¹⁾.

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 141/1.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب: معرفة الصحابة رضي الله عنهم «أما الشيخان فإنهما لم يزيدا على المناقب، وقد

بدأنا في أول ذكر الصحابي بمعرفة نسبه ووفاته، ثم بما يصح على شرطهما من مناقبه مما لم يخرجاه فلم أستغن عن ذكر محمد

بن عمر الواقدي وأقرانه في المعرفة»، باب: أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما «فمن فضائل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي

بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنهما مما لم يخرجاه»، رقم: 4407 ، 65/3

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار ، باب: هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، رقم: 3922

، 65/5.

فمكانة أبي بكر رضي الله عنه في هذا الحديث ظاهرة، فبعد أن شرفه النبي صلى الله عليه وسلم، زاده تشريفاً بأن كان الله معهما هو والمصطفى صلى الله عليه وسلم، فما بعد هذه المعية من منزلة، وقد قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها هذا اللفظ ومنها بذله نفسه ومفارقتة أهله وماله ورياسته في طاعة الله تعالى ورسوله وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك»⁽²⁾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»⁽³⁾.

قال الخطابي وابن بطلال وغيرهما في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر، وفيه إشارة قوية إلى استحقيقه للخلافة ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر وقد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة والأمر بالسد كناية عن طلبها كأنه قال لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه في طلبها وإلى هذا جنح بن حبان فقال بعد أن أخرج هذا الحديث في

(1) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1405هـ، ص: 361.

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 15/150.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر»، رقم: 3654، 4/5.

هذا دليل على أنه الخليفة بعد النبي ﷺ لأنه حسم بقوله سدوا عني كل خوخة في المسجد أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده وقوى بعضهم ذلك بأن منزل أبي بكر كان بالسبح من عوالي المدينة⁽¹⁾.

وقد جاءت السنّة الصحيحة أيضا شاهدة بفضائل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا؟ فقال: هذا بلال ورأيت قصراً بفنائنه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك» فقال عمر: «بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار»⁽²⁾.

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» فقال عمر: فأنت أحق أن يهين يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط، إلا سلك فجا غير فحك»⁽³⁾.

قال الطيبي: «وهذا الحديث فيه تنبيه على صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض، حتى كان بين يدي رسول الله ﷺ كالسيف الصارم والحسام القاطع إن أمضاه مضى وإن كفه كف،

(1) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 7/14.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أصحاب النبي ﷺ باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: 3679، 5/10.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أصحاب النبي ﷺ باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: 3683، 5/11.

فلم يكن له على الشيطان سلطان إلا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان هو كالوازع بين يدي الملك فلماذا كان الشيطان ينحرف عن الفجر الذي سلكه، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة إلى العالمين مأموراً بالعتق عن المذنبين، معنياً بالصفح عن الجاهلين لم يكن ليواجههم فيما لا يحمد من فعل مكروه أو سوء أدب بالفضاظة والغلظة والزجر البليغ، إذ لا يتصور الصفع والعتق مع تلك الخلال، فلماذا تسامح هو فيها واستحسن استشعارهن الهيبة من عمر رضي الله عنه» (1).

عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «افتح له وبشره بالجنة» ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «افتح له وبشره بالجنة»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: «افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه»، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم قال: الله المستعان» (2).

ومما جاء في فضل عائشة رضي الله عنها ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم، بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: «أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعد رجالاً (3).

(1) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 3856/12.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: 3693 ، 13/5 .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذاً خليلاً»، رقم: 3662 ، 5/5 .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»⁽¹⁾. فكل هذه الآثار في فضل أصحاب المصطفى عليه السلام والسلام، رفعت مكانة الصحابة إلى أعلى المراتب عند أهل السنة وعرفوا لهم فضلهم، وقدرهم، وذبوا عن أعراضهم، وتذكروا محاسنهم في المجالس والمحافل، واحتفوا بسيرهم.

ثالثاً: اهتمام كتب العقائد بتقرير فضل الصحابة

إنّ مسألة محبة الصحابة ومعرفة فضلهم، والدفاع عنهم، ليست من المسائل الفرعية أو الهينة، بل لخطورتها، ألحقها العلماء بأبواب العقيدة، فنجد أنّ كتب العلماء طافحة بالدعوة إلى محبتهم والذب عن أعراضهم، بل لا يكاد يوجد كتاب ذكرت فيه عقيدة أهل السنة والجماعة إلا و جاء فيه فضل الصحابة والذب عنهم، بل صار الولاء والبراء، يعقد حول الصحابة الاعتقاد في الصحابة مع الكثير من الفرق.

فهذا الإمام ابن أبي زيد القيرواني وفي مقدمة رسالته، وعندما أتى على ذكر ما تعتقده الأئمة ذكر اعتقاد أهل السنة في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: «وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ، الْقُرُونُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَأَنَّ لَا يُدْكَرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ»⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: فضل عائشة رضي الله عنها، رقم: 3769، 29/5؛ ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: 2431، 4/1886.

(2) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، الرسالة في فقه الإمام مالك، تحقيق، عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ص: 9-10.

قال الإمام أحمد: « ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ - أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً بل حبيهم سنة والدعاء لهم قرينة والافتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير الأمة بعد النبي ﷺ - أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ - بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتبه فإن تاب قبل منه وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع»⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «من كان مستنأً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب

محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ وكانوا على الهدى المستقيم»⁽²⁾.

ويقول ابن الوزير: «فما أكرم قوماً ذكرُوا في التَّوراة والإنجيل والقرآن، ووُصفوا بالسُّبق والمجزة والنُّصرة والإيمان، أولئك أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين صدَّعتْ مَمدُحُ الوحي قرآناً وسُنَّةً، بأنهم

(1) أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، تحقيق، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ، 63/1.

(2) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1400هـ - 1980م، 305/1.

خيرُ الناس وخيرُ القرون، وخيرُ أُمَّة. ولو لم يرد من فضائلهم الشريفة، إلا حديثُ « ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»⁽¹⁾.

وقال الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»⁽²⁾.

وقد أسهب علماء أهل السنة في تأكيد عدالة الصحابة رضي الله عنهم، وذلك لما ورد من نصوص الوحيين في مكانتهم وفضلهم.

يقول الخطيب البغدادي: « بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْدِيلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِلصَّحَابَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يُجْتَاخُ لِلسُّؤَالِ عَنْهُمْ ، وَإِنَّمَا يَجِبُ ذَلِكَ فِيمَنْ دُونَهُمْ كُلِّ حَدِيثٍ اتَّصَلَ إِسْنَادُهُ بِبَيْنٍ مَنْ رَوَاهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ ، لَمْ يَلْزَمْ الْعَمَلُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ ثُبُوتِ عَدَالَةِ رِجَالِهِ ، وَيَجِبُ النَّظَرُ فِي أَحْوَالِهِمْ ، سِوَى الصَّحَابِيِّ الَّذِي رَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لِأَنَّ عَدَالَتهِ الصَّحَابَةِ ثَابِتَةٌ مَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ لَهُمْ وَإِخْبَارِهِ عَنْ طَهَارَتِهِمْ ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُمْ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 110] ، وَقَوْلُهُ: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143] ، وَهَذَا اللَّفْظُ وَإِنْ كَانَ عَامًّا فَالْمُرَادُ بِهِ الْخَاصُّ ، وَقِيلَ: وَهُوَ وَارِدٌ فِي الصَّحَابَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: 18] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة: 100] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَالسَّابِقُونَ

(1) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1415 هـ - 1994 م، 1/180.

(2) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، 2/689.

السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿الواقعة: 11﴾ , وَقَوْلُهُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] «⁽¹⁾ .

ويرى الخطيب من خلال قوله هذا أن عدالة الصحابة قد دلّ عليها القرآن الكريم، من خلال الآيات التي تنوّه بفضلهم ولا تخفى مكانة الخطيب البغدادي وعلو كعبه في العلم وقدرته على الإستنباط من القرآن الكريم، فالآيات التي ساقها فيها الدليل القاطع على عدالة الصحابة.

ولأنّ الطعن فيهم وهم الذين نقلوا لنا الدّين، طعن في الدّين، فما نقل القرآن الكريم إلا من طريقهم، وما نقلت السنّة إلا من طريقهم، قال العلامة بقرق: « يجب تعظيم كافة الصحابة رضي الله عنهم، والكف عن القدح في منصبهم الجليل، وتطلب المحامل الحسنة والتأويلات اللاتقّة بقدرهم فيما ينقل عنهم بعد العلم بصحة ذلك عنهم، وعدم المسارعة إلى ما ينقله عنهم المؤرخون والأخباريون وأهل البدع المضلة المبطلون. وإنما المعتمد على ما يورده العلماء الراسخون في علم الحديث والسير بالأسانيد المعتمدة. فإذا صح ذلك وجب حمله على أحسن المحامل لأن تقريره يؤدي إلى مناقضة كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ -؛ والخلف في قولهما محال، ثم يؤدي إلى هدم أركان الشرع من أصله والإضرار بشارعه وناقله وأهله، لأن الصحابة الذين نقلوا إلينا الشرع والتوحيد والنبوة والرسالة والإسلام والإيمان والصلاة والزكاة والصيام والحج والحلال والحرام إلى غير ذلك، ومتى تطرقت الأوهام إلى القدح فيهم انخرمت عدالتهم وردت روايتهم وشهادتهم، وصار هذا الدين الذي هو خير الأديان شر الأديان لكون حماله فسقة، وكان القرآن مفتري»⁽²⁾.

(1) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص: 46.

(2) بقرق، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الحسام المسلول على منتقضي أصحاب الرسول، تحقيق، حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني، مصر، 1386 هـ، ص: 56.

المطلب الثالث: مكانة الصحابة عند الشيعة

أولاً: عقيدة الشيعة في عموم الصحابة

سبق معنا أن مكانة الصحابة عند أهل السنة، لا تدانيها مكانة، لما جاء في فضلهم في الكتاب والسنة، وعلى النقيض من ذلك فإن الشيعة الباطنية وقفوا موقفاً مخزياً من الصحابة رضي الله عنهم إلا أفراداً من الصحابة يعدون على الأصابع، وموقفهم من عموم الصحابة الطعن فيهم، وتكفيرهم، والإفتراء عليهم، ووضع الروايات المكذوبة التي تقدح في عدالتهم، وقالوا في أصحاب النبي ﷺ، ما لم يقله اليهود في أصحاب موسى عليه السلام، وما لم يقله النصارى في أصحاب عيسى عليه السلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: «أصحاب موسى»، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: «حواريو عيسى». وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: «أصحاب محمد». أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ولا تقوم لهم راية ولا تجتمع لهم كلمة، دعوتهم مدحوضة وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله عز وجل»⁽¹⁾.

فرغم ضلال اليهود والنصارى، إلا أنهم مع أصحاب أنبيائهم كانوا أفضل من موقف الرافضة مع أصحاب النبي ﷺ صلّا الله عليه وسلّم، ولا يعني هذا التفضيل المطلق لليهود والنصارى على الشيعة، بل في هذا الباب - أصحاب الأنبياء - كان موقف اليهود والنصارى أفضل من موقف الرافضة.

(1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق، محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 27/1-28

أما كتب القوم فإننا نجدها مليئة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية⁽¹⁾.

ومن اعتقادهم الفاسدة في الصحابة، أنهم ارتدوا بعد النبي ﷺ، ولم يبق على الإسلام إلا قلة قليلة.

ومن رواياتهم المكذوبة التي تطعن في عموم الصحابة، ما نسب زروا وبهتاننا إلى النبي ﷺ أنه قال: (يا علي إن أصحاب موسى اتخذوا بعده عجلاً فخالفوا خليفته، وستتخذ أمي بعدي عجلاً ثم عجلاً، ثم عجلاً، ويخالفونك، وأنت خليفتي على هؤلاء، يضاؤون أولئك في اتخاذهم العجل، ألا فمن وافقك وأطاعك فهو معنا في الرفيق الاعلى، ومن اتخذ بعدي العجل وخالفك ولم يتب فأولئك مع الذين اتخذوا العجل زمان موسى: ولم يتوبوا في نار جهنم خالدين مخلدين)⁽²⁾.

ومن الكذب المنسوب إلى الباقر رضي الله عنه قوله: «كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ قال: المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسي، ثم عرف أناس بعد يسير فقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمر المؤمنين عليه السلام مكرها فبايع، وذلك قول الله: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران: 144])»⁽³⁾.

وفي تفسير العياشي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ قال: «المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسي»⁽⁴⁾.

(1) ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -، أطروحة دكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1414 هـ، 616/2.

(2) المجلسي، بحار الأنوار، 67/28.

(3) الكليني، الكافي، 133/8.

(4) تفسير العياشي، 213/1.

وهذه الرواية الباطلة، منقولة في الكثير من أمات كتب الشيعة، ويحتفون بها ولم نجد من ردّها او دافع عن الصحابة رضي الله عنهم.

وقال القمي في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [المائدة: 54] قال: « هو مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين غضبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله » فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونهم « نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه»⁽¹⁾.

وفي موضع آخر للقمي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ [محمد: 1] قال: «نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغضبوا أهل بيته حقهم وصدوا عن أمير المؤمنين عليه السلام ولاية الأئمة (أضلل أعماهم).. أي أبطل ما كان تقدم منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجهاد والنصرة»⁽²⁾.

ومن نماذج طعونهم في عدالة الصحابة رضي الله عنهم، قول التستري: « وقع الارتداد من الصحابة فلا يجوز الحكم بالإيمان والعدالة لأحد منهم إلا إذا تحقق اتصافه بهما وموته عليهما، ولا يعلم ذلك إلا بتتبع الأحوال واستقراء الآثار الدالة على بقاء الإيمان والعدالة أو الزوال»⁽³⁾.

ويقول المفيد: «واتفقت الإمامية، والزيدية، والخوارج على أن الناكثين والفاسقين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال، ملعونون بحركهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون»⁽⁴⁾.

(1) تفسير القمي، 1/170.

(2) تفسير القمي، 2/300.

(3) القاضي نور الله التستري، الصوارم المهركة، ص: 10.

(4) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ص: 45.

فهذه هي عقيدتهم المنشورة في ما سودوه من باطل في كتبهم، وهو يبيّن ما هم عليه من ضلال في اعتقادهم في الصحابة رضوان الله عليهم، وتفسير الآيات تفسيراً باطلاً لتنزيلها على أصحاب النبي ﷺ، وسيأتي الكثير من هذه البلايا في هذا الفصل.

ثانياً: عقيدة الشيعة في خواص الصحابة

ذكرنا فيما سبق أنّ الشيعة كفروا عموم الصحابة، وطعنوا فيهم، وقدحوا في عدالتهم، وأنهم استثنوا عدداً قليلاً منهم لم يحكموا برّدّتهم، أمّا خواص أفراد الصحابة فإنهم يحملون لهم من البغض ما جعلهم يتقربون إلى الله بلعنهم ويجعلون لعنهم من أعظم القربات، ومّن نالهم النصيب الأكبر من سهام الرفضة سباً ولعناً وتكفيراً، الخلفاء الراشدون _ ما عدا عليّاً _ وزوجات النبي ﷺ.

ومن أساليب الطعن تنزيل آيات نزلت في الكفار والمنافقين على الصحابة، ومن ذلك ما رروه كذباً وزوراً «عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا) [آل عمران: 90] قال: نزلت في فلان وفلان وفلان (أي: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين) آمنوا بالنبي ﷺ في أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم الولاية، حين قال النبي ﷺ: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين عليه السلام، ثم كفروا حين مضى رسول الله ﷺ فلم يقرؤا بالبيعة ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق منهم من الإيمان شيء»⁽¹⁾.

كما يقول عالمهم نعمة الله الجزائري: «الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي، وكفروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين -عليهم السلام-، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة، وهي الناجية إن شاء الله»⁽²⁾.

(1) الكليني، الكافي، 1/264. المجلسي، بحار الأنوار، 31/608

(2) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية، تحقيق: محمد علي القاضي الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1431هـ-2010م، 2/244.

يقول محمد باقر المجلسي: « وعقيدتنا في التبرؤ أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن النساء الأربع عائشة وحفصة وهند وأمّ الحكم ومن جميع أتباعهم وأشياعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم»⁽¹⁾.

وفي موضع آخر يسوق رواية مختلفة في الطعن في الصحابة حيث يقول: « عن أبي حمزة الشمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا حمزة إنما يعبد الله من عرف الله وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره هكذا ضالاً، قلت: أصلحك الله وما معرفة الله؟ قال: يصدق الله ويصدق محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله في موالاته علي والايتمام به وبأئمة الهدى من بعده، والبراءة إلى الله من عدوهم، وكذلك عرفان الله. قال: قلت: أصلحك الله أي شيء إذا عملته أنا استكملت حقيقة الإيمان؟ قال: توالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتكون مع الصادقين كما أمرك الله، قال: قلت: ومن أولياء الله؟ فقال: أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ثم انتهى الأمر إلينا ثم ابني جعفر، وأوماً إلى جعفر وهو جالس، فمن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله؛ قلت: ومن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل ورمع ونعثل ومعاوية ومن دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله»⁽²⁾.

ويقصدون بأبي الفصيل أبا بكر رضي الله عنه، ورمع عمر بن الخطاب، ونعثل عثمان رضي الله عنه عنه وأرضاه؛ وفي ذلك يقول: الصدوق: « واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة ومن الأنداد الأربعة ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله، وجاء في تفسير الأوثان الأربعة أنهم أبو الفصيل ورمع ونعثل ومعاوية؛ قال المجلسي: أبو الفصيل أبو بكر لان الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب عمر، ونعثل هو عثمان»

ومن مطاعنهم في الصحابة الأجلاء طلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم، ما افتروه في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ﴾

(1) محمد باقر المجلسي، حق اليقين، ص: 519.

(2) المجلسي، بحار الأنوار، 58/27.

سَحَابٌ ظُلِمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴿النور: 40﴾، ما جاء في تفسير الأصفى: «(أو كظلمات): الأول والثاني، (يغشيه موج): الثالث، (من فوقه موج): طلحة والزبير، (ظلمات بعضها فوق بعض): معاوية ويزيد وفتن بني أمية»⁽¹⁾.

ولا يخفى أنّ هذا تحريف لمعنى الآية بغرض الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، وهو تفسير باطل مردود، لمعارضته للآيات التي جاءت في فضلهم، ولما ورد أيضا من أحاديث في محاسنهم رضي الله عنهم أجمعين.

أما مطاعنهم في زوجات النبي ﷺ فمشهورة متواترة، فلا يكاد يخلو كتاب من الطعن فيهن، ومن ذلك ما ذكره القمي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَّرَاتِ نُوحٍ وَأُمَّرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحریم: 10]. قال: ثم ضرب الله فيهما مثلا فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَّرَاتِ نُوحٍ وَأُمَّرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحریم: 10] فقال: والله ما عنى بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلا الفاحشة وليقيمن الحد على فلانة فيما أتت في طريق البصرة وكان فلان يجبهها⁽²⁾.

وهذا تفسير باطل للآية، وطعن صريح في عرض المصطفى ﷺ، فالآية صريحة في ذكر ضرب المثل للذين كفروا بزوجة نوح وزوجة لوط، حيث كفرتا ولم ترتكبا الفاحشة، وقد أجمع المسلمون على أنّ زوجات الأنبياء مبرئات من الفاحشة وأنّ الخيانة كانت في العمل والإيمان وليست في الفراش، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ما بغت امرأة نبي قط»⁽³⁾.

(1) الفيض الكاشاني، التفسير الأصفى، 143/3.

(2) تفسير القمي، 377/2.

(3) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 451/2.

ومن افتراءهم على زوجات النبي ﷺ أن عائشة وحفصة وضعتا للرسول سماً ﷺ فقتلتاه ومن رواياتهم المزعومة عن أبي عبد الله قال: «أتدرون مات النبي ﷺ أو قتل، إن الله يقول: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ثم قال: إنهما سقتاه قبل الموت، يعني امرأتين لعنهما الله وأبويهما»⁽¹⁾

فهذه بعض النقولات من كتب القوم التي تطعن في إيمان الصحابة وأعراضهم رضي الله عنهم، وتسقط عدالتهم، ومادام الشيعة يكفروهم فمما لا شك فيه ولا ريب يعتريه أنهم لن يقبلوا أقوالهم في التفسير، كما سبق معنا.

المطلب الرابع: التأويل التحريفي لإثبات فضائل الشيعة وآل البيت

كما جرت عادة المفسر أنه يورد الروايات ذات التأويل الباطني التحريفي، للغرض الذي يرمي إليه، وقد ساق عددا من الروايات التفسيرية التي تخالف ظاهر القرآن بغرض إثبات فضائل الشيعة عموما، وفضائل آل البيت على وجه مخصوص، ومن ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: 136]

عند تفسير هذه الآية ساق العياشي هذه الرواية: «عن سلام عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: 136] قال: إنما عنى بذلك عليا والحسن والحسين وفاطمة، وجرت بعدهم في الأئمة قال: ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: 137]، يعني: الناس ﴿ بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِء ﴾ [البقرة: 137] يعني عليا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم ﴿ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: 137]»⁽²⁾.

جعلت هذه الرواية، المخاطبين في الآية هم علي والحسن والحسين وفاطمة، من غير دليل من كتاب الله ولا سنة صحيحة، للاستدلال على فضلهم رضي الله عنهم أجمعين، وجعلت الإيمان بالأئمة علامة هدى، وتحميل الآية هذه المعاني تحريف لها عن مراد الله تعالى.

(1) تفسير العياشي، 1/214.

(2) تفسير العياشي، 1/81.

فقوله تعالى: ﴿ قُولُوا ﴾ [البقرة: 136] هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: 136] أي القرآن ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة: 136].

وبحسب سياق الآية فإنّ للآية الكريمة مناسبة لما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: 135]. فيكون معنى الآية المراعي للسياق: « قولوا أيها المؤمنون هؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: 136] ، أي: صدقنا به، وصدقنا بما أنزل إلينا وهو القرآن، وبما أنزل إلى إبراهيم وإلى إسماعيل وإلى إسحاق وإلى يعقوب وإلى الأسباط»⁽¹⁾.

وعليه فلا دليل على تخصيص الآية بعليّ والحسن والحسين وفاطمة والأئمة، بل هي شاملة للمؤمنين على قول أو للكافرين على القول الآخر .

2. قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143].

يقول العياشي عند تفسيره لهذه الآية: «عن بريد بن معوية العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143] قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه»⁽²⁾.

(1) أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ ، 2008 م، 466/1

(2) تفسير العياشي، 81/1

جعل المؤلف المقصود من الأمة الوسط، والشهداء في هذه الآية هم الشيعة، ففسّر الآية بما يخالف الفهم الصحيح المبني على أصول التفسير، وبما يخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فصار معنى الآية عنده، وكذلك جعلناكم أيها الشيعة أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، فإذا جئنا إلى القرآن الكريم نجد العديد من الآيات التي تبين بأن المقصود بالشهداء هم الأمة الإسلامية؛ فمعنى أمة وسطا، أي: عدلا، كما في قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 110]

وفي السنة المطهرة يبيّن النبي ﷺ أنّ المقصود في الآية هي الأمة، وليس الشيعة، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: (يُجَاءُ بَنُو حِمْيَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتَسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدْتُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143]- قال: عَدْلًا - ﴿ لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]⁽¹⁾.

والتفسير من النبي ﷺ لهذه الآية من طرق تفسير القرآن بالسنة وهو؛ أن يذكر التفسير ثم يذكر الآية المفسرة⁽²⁾

فيكون المعنى الصحيح للآية الموافق للقرآن والسنة، كما قال الطبري: «كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143] وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم، رقم: 7349،

.107/9،

سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطاً»⁽¹⁾.

ففي الآية تكريم لأمة النبي ﷺ جمعاء أن جعلها شاهدة على الأمم السابقة، التي قصّ القرآن أخبارها، ومن هنا يتبين بطلان التفسير الوارد في هذه الرواية .

3. قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ) [البقرة:159]

عند تفسير هذه الآية الكريمة ساق العياشي الرواية التالية: «عن ابن أبي عميه عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ [البقرة:159]، في علي عليه السلام، و عن حمran عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ [البقرة:159]، يعني بذلك نحن، والله المستعان»⁽²⁾

جعل المؤلف المقصود من البيّنات والهدى في هذه الآية هو عليّ ﷺ وفي الرواية الأخرى هم الشيعة، وهذا تفسير باطل مردود مخالف لأصول التفسير، فهذه الآية سبب نزولها كما جاء عند الإمام الطبري عن ابن عباس قال: « سأل مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، نَفَرًا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودٍ - قَالَ أَبُو كَرِيبٍ: عَمَّا فِي التَّوْرَةِ، وَقَالَ ابْنُ حَمِيدٍ: عَنْ بَعْضِ مَا فِي التَّوْرَةِ - فَكْتَمُوهُمْ إِيَّاهُ، وَأَبَوْا أَنْ يُخْبِرُوهُمْ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِيهِمْ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [البقرة:159] »⁽³⁾.

فأحبار اليهود كانوا يحاورون النبي ﷺ، عما في التوراة، كما جاء في سبب نزول الآية؛ فهؤلاء اليهود كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرها من سائر الأحكام التي كانت في التوراة، أولئك يلعنهم الله، وأصل

(1) تفسير الطبري، 141/3.

(2) تفسير العياشي، 90/1.

(3) تفسير الطبري، 250/3.

اللعن الطرد والبعث، ويلعنهم اللاعنون، أي: يسألون الله أن يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم، واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن والإنس، وقال قتادة: هم الملائكة، وقال عطاء: الجن والإنس، وقال الحسن: جميع عباد الله، وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ وصفته، وقال مجاهد: اللاعنون، البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وقالت: هذا من شؤم ذنوب بني آدم⁽¹⁾.

فمن هنا يظهر أن تأويل الآية الذي ذهب إليه المؤلف باطل مردود مخالف لكتاب الله وسنة النبي ﷺ ولقواعد التفسير عامة.

4. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، قال: هم آل محمد صلى الله عليه وآله»⁽²⁾.

ساق المؤلف هذه الرواية لتفسير المقصود من قوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، بأنهم آل محمد ﷺ، ونحن لا ننكر أن آل محمد رضي الله عنهم، من المؤمنين الذين يحبون ربهم جلّ وعلا، لكن هل الآية تخصهم وحدهم؟.

إنّ هذه الآية واضحة الدلالة في أنّ المقصود في الآية على ظاهره وهم الذين آمنوا، يحبون ربهم جلّ وعلا كما جاء في آيات كثيرة أنّ المؤمنين يحبون ربهم كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 1/194.

(2) تفسير العياشي، 1/91.

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة:54] «.

يقول الشوكاني: « ثم وصف سبحانه هؤلاء القوم بهذه الأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم ومن كونهم ﴿ أَدْلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:54] «⁽¹⁾.

فإذا كان الكفار يحبون آلهتهم فإن المؤمنين يحبون ربهم أشد الحب من الكفار لآلهتهم، وقد جعل الله تعالى جعل هذه العبادة لغير الله من علامات الخسران والفسق المبين قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسٰكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:24] .

وفي الحديث الشريف المصدق لهذه الآية يقول ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار)⁽²⁾.

وعليه فإن تفسير الآية ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة:165]، بحصرها على آل محمد بالعدول عن ظاهرها من غير دليل مردود، لأنه يخالف الآيات الأخرى التي تدعو المؤمنين إلى محبة الله تعالى وتخالف سنة النبي ﷺ الذي لم يخص المحبة بآل محمد ﷺ.

(1) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،

تحقيق، يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1428 هـ-2007م، 378/1.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، رقم: 1، 13/21، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان، رقم: 43، 66/1.

5. قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية الكريمة: «عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأته عن هذه الآية ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189] فقال: آل محمد صلى الله عليه وآله أبواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة والقادة اليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة»⁽¹⁾.

سيرا على الاتجاه الباطني صرفت هذه الرواية الآية الكريمة عن ظاهرها إلى معنى باطني فاسد، حيث فسرت الأبواب بأنهم محمد ﷺ وآل بيته، وهذا كله بغرض إثبات فضل الشيعة من خلال تحريف معاني القرآن الكريم، فهذا التفسير مخالف كتاب الله تعالى، بعيد عن مراد الله جل وعلا، ولم يثبت تفسيرها بهذا المعنى الباطل، عن رسول الله ﷺ، ولا عن السلف، كما أن تركيب الآية يمنع أن يكون هذا التفسير مقبولا، فالآية تتحدث عن ألفاظ معروفة وهي الإتيان، والبيوت، والظهور، والبر، الأبواب، فإذا كان تفسير الأبواب بأنهم الرسول صل الله عليه وسلم وآله، فماذا سيكون معنى الظهور؟ ومعنى البيوت؟.

أما من جهة أسباب النزول فإن سبب نزول الآية يردّ هذا التفسير الباطل ففي البخاري يقول البراء بن عازب: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا؛ كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَحَاوُوا، لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، فَكَأَنَّهُ عَيَّرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189]»⁽²⁾، وإن من أصول التفسير؛ أن سبب النزول له حكم الرفع⁽³⁾

(1) تفسير العياشي، 1/ 105 .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189]، رقم: 1803، 8/3، ومسلم في صحيحه، كتاب: التفسير، رقم: 3026، 4/ 2319.

(3) خالد السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار بن عفان، الرياض، الطبعة الأولى: 1421هـ. 1/ 54.

وأما مناسبة هذه الآية لما قبلها فإنه يردّ أيضا التأويل الباطني الفاسد فقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:189] جاءت بعد قول الله جل وعلا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:189] وذلك «أَنَّ سَبَبَ نُزُولِهَا كَانَ مُوَالِيًا أَوْ مُقَارِنًا لِسَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَأَنَّ مَضْمُونَهَا كَلَّمَا الْجُمْلَتَيْنِ كَانَ مُتَارَ تَرَدُّدٍ وَإِشْكَالٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهُ، فَكَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ مِنْ بِلَادِهِمْ، جَعَلُوا مِنْ أَحْكَامِ الْإِحْرَامِ أَلَّا يَدْخُلَ الْمُحْرِمُ بَيْتَهُ مِنْ بَابِهِ أَوْ لَا يَدْخُلَ تَحْتَ سَفْفٍ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ»⁽¹⁾.

فعلم مما تقدّم أنّ إتيان البيوت من ظهورها أو من أبوابها تؤول على ظاهرها وأنها متعلقة بأفعال مخصوصة كان الناس يعملونها خطأ في الحج والعمرة، ولا علاقة لها بالنبي ﷺ وآل بيته رضي الله عنهم.

6. قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:103]

يقول العياشي في تفسير هذه الآية: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: السلم هو آل محمد أمر الله بالدخول فيه، وهو حبل الله الذي أمر بالاعتصام به قال الله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:103]»⁽²⁾، و«عن ابن يزيد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:103] قال: علي بن أبي طالب عليه السلام حبل الله المتين»⁽³⁾، وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «آل محمد عليهم السلام هم حبل الله الذي امرنا بالاعتصام به، فقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:103]»⁽⁴⁾

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 197/2.

(2) تفسير العياشي، 1/121.

(3) المصدر نفسه: 1/217.

(4) المصدر نفسه: 1/217.

فسّرت هذه الروايات جبل الله بأنه آل محمد الذي أمر الله بالإعتصام به، حيث صار معنى الآية، واعتصموا بآل محمد جميعا ولا تفرقوا، وهذا تحريف للقرآن الكريم عن مراد الله تعالى، لمخالفته لسنة النبي ﷺ ولتفسير الصحابة .

وقد وصف النبي ﷺ القرآن بأنه جبل الله ويمكن أن يكون تفسيراً لجبل الله الوارد في الآية، فعن عبد بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَةِ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ جَبَلُ اللَّهِ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشَّافِعُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ يَتَمَسَّكُ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَعْوَجُ فَيَقْوَمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، أَثْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرْكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَلْفٌ وَلَا مِ، وَلَكِنْ أَلْفٌ عَشْرًا، وَلَا مِ عَشْرًا ⁽¹⁾ .

ومن أقوال السلف في معاني جبل الله، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها جبل الله الذي أمر به، وإن ما تكروهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة، وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن، وقال مقاتل بن حيان: بجبل الله أي: بأمر الله وطاعته، ولا تفرقوا، كما افترت اليهود والنصارى ⁽²⁾ .

فهذه أقوال السلف في معنى "جبل الله" وهي مخالفة لما ذهب إليه العياشي بسوقه لهذه الروايات الباطلة.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، كتاب: تعظيم القرآن ، باب: فصل في إيمان قراءة القرآن، رقم: 3، 371/1832.

(2) تفسير البغوي، 480/1

المطلب الخامس: التأويل التحريفي للطعن في المخالفين

وسنقف في هذا المطلب على طعنه في عموم الصحابة وفي خواصهم، كالخلفاء الثلاثة الراشدين، وعددا من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ساق المفسر روايات تفسيرية باطلة للطعن في الصحابة .

1. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة:

165].

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية الكريمة: « عن جابر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ قال: فقال هم أولياء فلان وفلان وفلان اتخذوهم أئمة من دون الامام الذي جعل للناس اماما فلذلك قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [١٦٥] إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [١٦٧] قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله يا جابر هم أئمة الظلم وأشياعهم»⁽¹⁾.

حرف المؤلف تفسير هذه الآية بصرفها عن ظاهرها، سيرا على الاتجاه الباطني، فجعل الناس في هذه الآية، هم أولياء أبي بكر وعمر، وجعل الله تعالى الإمام، وجعل المحبة إتخاذ الإمام، فكان معنى الآية عنده، ومن أولياء أبي بكر وعمر ومن يتخذونهما إمامين من دون الإمام؛ ثم نزل عليهم هذه الآية ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [١٦٥] إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ فجعلهم أئمة الظلم و أشياعهم وجعلهم خالدين في النار لقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [١٦٧] [البقرة: 167]

ثم ساق العياشي رواية أخرى « عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: 167]، قال: أعداء علي عليه السلام هم المخلدون في النار أبد

(1) تفسير العياشي، 91/1.

الآبدين ودهر الدهارين»⁽¹⁾ ، فأضاف لفساد المنهج الذي فسّر به هذه الآية، تكفير المخالفين وهم الذين يتولون أبي بكر وعمر رضي الله عن الجميع.

وهذا لا شك تفسير باطل ومردود مخالف للكتاب والسنة ومخالف لتفسير السلف، ومخالف للغة العربية، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر، فكيف يجعل الله جلّ جلاله معنى باطني فاسد وهو الإمام تعالى الله عمّا يقولون.

والمعنى الصحيح للآية: «وَمِنَ النَّاسِ، يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ، مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا، أَيْ: أَصْنَامًا يَعْبُدُونَهَا. يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، أَيْ يُحِبُّونَ آهْلَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهَ، وَقَالَ الرَّجَّاحُ: يُحِبُّونَ الْأَصْنَامَ كَمَا يُحِبُّونَ اللَّهَ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهَا مَعَ اللَّهِ، فَسَوَّوْا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَوْلِيَانِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ، أَيْ: أَتَّبَعْتُ وَأَدْوَمْتُ عَلَى حَبِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَ عَلَى اللَّهِ مَا سِوَاهُ، وَالْمُشْرِكُونَ إِذَا اتَّخَذُوا صَنَمًا ثُمَّ رَأَوْا أَحْسَنَ مِنْهُ، طَرَحُوا الْأَوَّلَ وَاخْتَارُوا الثَّانِي»⁽²⁾.

ومعنى قوله تعالى: «﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: 165] يعني: الذين أشركوا بالله، ﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ [البقرة: 165] يعني: في الآخرة حين يعاينون جهنم، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 165] تقدير الآية: ولو يرون أن القوة لله جميعا، والمعنى: ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته، وجواب لو محذوف، وتقديره: لعلموا مضرة اتخاذ الأنداد»⁽³⁾.

فظهر فساد هذا التفسير التحريفي، لمخالفته لظاهر القرآن والسنة الصحيحة، وأصول التفسير، ولما عليه مفسرو أهل السنة والجماعة.

(1) تفسير العياشي، 92/1

(2) تفسير البغوي، 196/1.

(3) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 250/1.

2. قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: « عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿ يُرِيدُ

اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185]، قال: اليسر على عليه السلام، وفلان وفلان العسر»⁽¹⁾.

سار العياشي على الاتجاه الباطني في تبين معنى هذه الآية فصرفها عن ظاهرها، وحرّف كلام الله عن مراد الله، فجعل اليسر المعروف عند العرب، عليا رضي الله، وجعل العسر المعروف في لغة العرب فلان وفلان، معرّضا بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فصار معنى الآية عنده يريد الله بكم عليا ولا يريد بكم أبا بكر وعمر، ولا ندري كيف استصاغ المؤلف هذا التفسير الذي تمجحه الأسماع، ضف إلى ذلك مخالفته الصريحة لأصول التفسير وقواعده، فهو تفسير باطل مردود لا يجوز تفسير كلام الله به.

فإذا رجعنا إلى سياق الآية فإن هذه الآية: فإن لها مناسبة لما قبلها وهي آية الصيام، كما ذكره غير واحد، يقول البقاعي: « وما رخص ذلك علل بقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: 185] أي الذي لا يستطيع أحد أن يقدره حق قدره ﴿ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ [البقرة: 185]؛ أي: شرع السهولة بالترخيص للمريض والمسافر ويقصر الصوم على شهر ﴿ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185]، في جعله عزيمة على الكل وزيادته على شهر، قال الحرالي: اليسر عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم، والعسر ما يجهد النفس ويضر الجسم. وقال: فيه إعلام برفق الله بالأجسام التي يسر عليها بالفطر، وفي باطن هذا الظاهر إشعار لأهل القوة بأن اليسر في صومهم وأن العسر في فطر المفطر، ليجري الظاهر على حكمته في الظهور ويجري الباطن على حكمته في البطن، إذ لكل آية منه ظهر وبطن، فلذلك والله سبحانه وتعالى أعلم كان النبي ﷺ يصوم في رمضان في السفر ويأمر بالفطر وكان أهل القوة من العلماء يصومون ولا ينكرون الفطر»⁽²⁾.

(1) تفسير العياشي، 1/101.

(2) أبو بكر البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق، عبد

الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م، 1/344

ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] استئناف بياني كالعلة لقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾ إلخ. بين به حكمة الرخصة أي شرع لكم القضاء لأنه يريد بكم اليسر عند المشقة، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] نفي لضعف اليسر، وقد كان يقوم مقام هاتين الجملتين جملة قصر نحو أن يقول: ما يريد بكم إلا اليسر، لكنه عدل عن جملة القصر إلى جملة إثبات ونفي لأن المقصود ابتداءً هو جملة الإثبات لتكون تعليلاً للرخصة، وجاءت بعدها جملة النفي تأكيداً لها، ويجوز أن يكون قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] تعليلاً لجميع ما تقدم من قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183] إلى هنا فيكون إيماء إلى أن مشروعية الصيام وإن كانت تلوح في صورة المشقة والعسر فإن في طيها من المصالح ما يدل على أن الله أراد بها اليسر أي تيسير تحصيل رياضة النفس بطريقة سليمة من إرهاق أصحاب بعض الأديان الأخرى أنفسهم»⁽¹⁾.

3. قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193]

يقول العياشي في تفسير هذه الآية: «عن الحسن ببيع الهروي يرفعه عن أحدهما في قوله ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193]، قال إلا على ذرية قتلة الحسين عليه السلام»⁽²⁾.

في هذه الآية استدلال المفسر على حدث وقع بعد نزول القرآن الكريم، إذ أن مقتل الحسين على الصحيح عاشوراء 61 هـ، والذي يرى هذا التفسير يحتمل له أن النبي ﷺ فسّر هذه الآية لأصحابه بمثل هذا التفسير، وهذا من أعجب العجائب إذ كيف يخفى هذا التفسير على صحابة رسول الله ﷺ؟، بل لم يعرف حتى عن علي رضي الله عنه الذي تعظمه الشيعة بزعمهم، بل إن المصطفى ﷺ كان يعلم بمقتل الحسين ولم ينقل في سنته أنه استدلال بهذه الآية، بل لم ينقل لنا ولو حديثاً ضعيفاً أو موضوعاً.

(1) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1984 هـ، 2/175.

(2) تفسير العياشي، 105/1

نعم، قد يكون الإستدلال صحيحا إذا أخرجنا الآية عن سياقها، فيكون معنى الآية فلا عدوان إلا على الظالمين بإطلاق، وليس قاصرا على الظالمين من ذرية قتلة الحسين، بل القتل من أكبر الكبائر ومرتكبه من الظالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ ﴾ [البقرة: 193]، وقد قتل من هو أفضل من الحسين بالإجماع، فقد قتل عمر رضي، وعثمان، وعلي، وهما أفضل ممن أتى بعدهما فإن صح حصر هذه الآية فهم أولى بها، وغيرهم كثير.

وإذا رجعنا إلى سبب نزول هذه الآية، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: « نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه للعمرة، وكانوا ألفا وأربعمائة، فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدتهم المشركون عن البيت الحرام، فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك، على أن يخلوا له مكة عام قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت، فلما كان العام المقبل، جهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بما قالوا، وأن يصدوهم عن البيت الحرام، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ﴾ [البقرة: 190]، يعني محرمين، الذين يقاتلونكم، يعني: قريشا ولا تعتدوا، فتبدؤوا بالقتال في الحرم وأنتم محرمين، إن الله لا يحب المعتدين»⁽¹⁾.

ولمعرفة سياق الآية فإن الآيات التي قبلها قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(١٩٠) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرِجُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ [البقرة: 190]؛ ومن هنا يظهر فساد هذا التفسير الذي خالف الكتاب والسنة وأصول التفسير كلها.

(1) تفسير البغوي، 237/1.

4. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة:204]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: « عن الحسين بن بشار قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة:204]، قال: فلان وفلان، ﴿ وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ [البقرة:205]، النسل هم الذرية والحراث الزرع»⁽¹⁾.
يجعل المفسر لهذه الآية معنى باطلا، مخالفا للقرآن والسنة وأصول التفسير، ليطعن في أفضل الصحابة رضوان الله عليهم، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، لأنهما بزعمه يهلكان الحراث والنسل، وهذا افتراء بالباطل، ومخالفة للوحي الذي نطق بفضلهم، فهذا تفسير باطل مردود على صاحبه، أبان فيه حقه على أصحاب المصطفى ﷺ.

وإذا رجعنا إلى أسباب النزول، وفهمنا سياق الآية، نجد التفسير الصحيح للآية، فقد قال السدي: «نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي - وهو حليف لبني زهرة- وأقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة، فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أنني صادق وذلك قوله: ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ [البقرة:204]، ثم خرج من عند النبي ﷺ فمرَّ بزراع لقوم من المسلمين ومُحْرَمٍ، فأحرق الزرع، عقر الحُمُرَ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ [البقرة:205]»⁽²⁾.

5. قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ [البقرة:264]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ إلى قوله: ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا

(1) تفسير العياشي، 1/119.

(2) تفسير الطبري، 4/229.

كَسَبُوا^١ قال: ﴿صَفْوَانٍ﴾ أي حجر، والذين ينفقون أموالهم رياء الناس، فلان وفلان وفلان ومعاوية وأشياعهم^(١).

جعل المفسر معنى الذين ينفقون أموالهم رياء الناس الواردة في الآية، أبو بكر وعمر وعثمان، وعلي وأشياعهم، طاعنا كما هو شأنه في الصحابة رضي الله عنهم، وهذا تفكير صريح، لأنّ تمام الآية، (ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر)، وهذا تفسير باطل مردود، مخالف للقرآن والسنة، ولتفسير السلف.

وهذه الآية «نزلت في المنافقين، كانوا ينفقون أموالهم رياء، لا لوجه الله»^(٢). وقيل: «هو صفة اليهود أيضاً، وهو بصفة المنافقين أليق وأحسن، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، واليهود يؤمنون بالبعث، وقد وصفهم الله تعالى أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر فهو إلى المنافقين أقرب»^(٣).

وفيها ينهى الله جل جلاله عن المنّ والأذى لأنّ فيه أذية المتصدّق عليه، ونهى عن الرياء لأنّه شرك بالله تعالى، و قد ورد في السنة أيضا النهي عن الرياء، فعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)^(٤)، أي: قد يكون بعض الناس غنياً عن الشريك، ولكن لم يكن استغناؤه عن الشريك في جميع الأوقات، وقد يكون مستغنياً في بعض الأوقات ومحتاجاً في بعضها، وأنا غنيٌّ عن الشركاء والضدّ والند والظهير أبداً؛ لأن الحاجة والعجز والفقر وغيرها من أوصاف المخلوقات لا سبيل لشيء منها إليّ، فمن عمل عملاً لا يكون خالصاً لي - بل عمله للرياء والسمعة - لا أقبل ذلك العمل منه^(٥).

(1) تفسير العياشي، 167/1.

(2) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 53/2.

(3) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، 1327/2.

(4) أخرجه ومسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرفائق، باب: من أشرك في عمله غير الله، رقم: 2985، 2289/4.

(5) الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الصريّ الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري، المفاتيح في شرح المصاييح، تحقيق، لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، الكويت، الطبعة الأولى، 1433 هـ - 2012 م، 109/1.

وسياق الآية يؤيد هذا التفسير حيث « إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَزْوَاجِ الْحَاجَاتِ، بَيَّنَّ أَنْ مَنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ قِسْمَانِ: فَالْأَوَّلُ: هُوَ الْبَحِيلُ الَّذِي لَا يُقَدِّمُ عَلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ الْبَتَّةَ، وَهُمُ الْمَذْمُومُونَ فِي قَوْلِهِ: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) [النساء: 37]، وَالثَّانِي: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ، لَكِنْ لَا لِعَرْضِ الطَّاعَةِ، بَلْ لِعَرْضِ الرِّبَا وَالسُّمْعَةِ، فَهَذِهِ الْفَرْقَةُ أَيْضًا مَذْمُومَةٌ، وَمَتَى بَطَلَ الْقَوْلُ بِهَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ. وَهُوَ إِنْفَاقُ الْأَمْوَالِ لِعَرْضِ الْإِحْسَانِ»⁽¹⁾؛ ومن هنا يظهر بطلان هذا التفسير الذي ذهب إليه المؤلف وفساده.

6. قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران: 7].

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: « عن عبدالرحمن بن كثير الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ [آل عمران: 7] قال أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: 7] فلان وفلان وفلان ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ [آل عمران: 7] أصحابهم وأهل ولايتهم ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران: 7] »⁽²⁾.

جرى المؤلف على الاتجاه الباطني لتفسير هذه الآية، فصرفها عن ظاهرها إلى معنى باطني باطل وجه التحريف يظهر فيه من غير تأمل، فجعل آيات القرآن المحكمة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأئمة الشيعة، والآيات المتشابهة، أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، والذين في قلوبهم زيغ هم أهل السنة الذين يتولون الخلفاء، فصار معنى الآية، هو الذي أنزل عليك الكتاب منه علي والأئمة، و منه آخر متشابهات أبو بكر وعمر وعثمان، فأما الأتباع الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون أبا بكر وعمر وعثمان.

(1) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 79/10.

(2) تفسير العياشي، 185/1.

وهذا تحريف منكر لكتاب الله تعالى بما لا يليق به، وصرف للنص القرآني عن ظاهره بدون دليل، ومخالف للقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

وأقوال العلماء في المحكمات والمتشابهات مبثوثة في كتب التفسير وعلوم القرآن وكل أقواهم تنزه كلام الله تعالى عما لا يليق به.

قال الضحاك: «﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:7]، قال: الناسخات، ﴿وَأُخْرٌ مُدْتَشِبِهَاتٌ﴾ [آل عمران:7] قال: ما نُسخ وتُرك يُتلى»⁽¹⁾.

وقال مجاهد: «﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران:7] ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو متشابه، يصدق بعضه بعضاً، وهو مثل قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَلْسِقِينَ﴾⁽²⁾ [سورة البقرة: 26]، ومثل قوله: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾ [سورة الأنعام: 125]، ومثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾⁽⁴⁾ [سورة محمد: 17]»⁽²⁾.

ويقول الإمام الطبري: «فأما المحكمات فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه، من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك، ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن هن أم الكتاب، يعني بذلك أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين، والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم، وإنما سماهن أم الكتاب لأنهن معظم الكتاب، وموضع مفرغ أهله عند الحاجة إليه»⁽³⁾.

(1) تفسير الطبري، 6/176.

(2) تفسير الطبري، 6/177.

(3) تفسير الطبري، 6/170.

ونلاحظ أنّ اختلاف أهل السنّة في تحديد الآيات المحكمات والمتشابهات القرآنية الواردة في هذه الآية إختلاف سائغ، لا يعارض ظاهر القرآن الكريم، ولا سنّة النبي ﷺ، ولا طريقة السلف في التفسير.

وعلى النقيض من ذلك نجد التناقض الكبير بين ظاهر الآية، وتفسيرها في هذه الرواية، وهذا التفسير مردود بسياق الآية نفسها، فإذا فسّرنا الآية ﴿ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَةٌ ﴾ [آل عمران:7]، بأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فكيف يكون تفسير قوله تعالى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران:7]؟. فمن هنا يظهر بطلان هذا التفسير الباطني وسداجة واضعه .

7. قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء:51]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن بريد بن معاوية قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فسألته عن قول الله: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء:59] قال: فكان جوابه أن قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء:59]، فلان وفلان ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء:51]. ويقول الأئمة الضالة والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدى من آل محمد وأوليائهم سبيلا»⁽¹⁾.

ساق المؤلف هذه الرواية الباطلة، لتفسير الآية الكريمة، حيث فسّر الجبت والطاغوت، بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، مخالفا لما جاء في فضلهم، من كتاب الله وسنّة النبي ﷺ، وتفسير الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر ليست قاصرة على هذا المفسّر فقط، فإنّ عداوة الشيعة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والحقد الدفين تجاههما تظهر في الروايات التفسيرية فالجبت والطاغوت عند مفسريهم، علما على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد فسّرها أبو الحسن العاملي بقوله: «الجبت في القاموس بالكسر الصنم والكاهن والساحر والسحر والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله وهو وارد في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿

(1) تفسير العياشي، 273/1.

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطُّغُوتِ ﴿ [النساء: 51] وعن الباقر عليه السلام، أن المراد فلان وفلان وفي دعاء صلمي قريش: وجبتيهما وطاغوتيها وإفكيهما وفي بعض الزيارات اللهم العن جوابيت هذه الأمة وفراعنتها الرؤساء منهم والأتباع من الأولين والآخرين»⁽¹⁾.

فهذه نتف من تفسيراتهم الباطلة التي تواطعوا عليها، للطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والمعنى المقبول للآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: 51] يعني: علماء اليهود ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ ﴾ [النساء: 51] أي: الأصنام ﴿وَالطُّغُوتِ ﴾ [النساء: 51] سدنتها وتراجمتها وذلك أنهم حالفوا قريشاً على حرب رسول الله ﷺ وسجدوا لأصنام قريش وقالوا لهم: أنتم أهدى من محمدٍ عليه السلام وأقوم طريقةً ودينًا وهو قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء: 51] يعني: قريشاً ﴿ هَتُّوْلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: 51]»⁽²⁾.

فهذا التفسير موافق لأصول التفسير، حيث أن سبب نزول الآية رافد من روايد تفسيرها، ومما جاء في سبب نزولها «عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: جَاءَ حُبَيْبُ بْنُ أَخْطَبٍ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ، فَأَخْبَرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ. قَالُوا: مَا أَنْتُمْ وَمَا مُحَمَّدٌ؟ قَالُوا: نَحْنُ نَنْحُرُ الْكُومَاءَ، وَنَسْقِي اللَّبَنَ عَلَى الْمَاءِ، وَنَقُكُ الْعُنَاةَ، وَنَصِلُ الْأَرْحَامَ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ، وَدِينُنَا الْقَدِيمُ، وَدِينُ مُحَمَّدٍ الْحَدِيثُ. قَالُوا: بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَهْدَىٰ سَبِيلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: 51]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ [النساء: 51]»⁽³⁾.

(1) مرآة الأنوار، العاملي، 113

(2) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص: 268-269.

(3) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص: 160.

8. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 63-64-65]

عند تفسير هذه الآية ساق العياشي هذه الرواية، «عن عبد الله النجاشي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: 63] يعني والله فلانا وفلانا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: 64] إلى قوله: (تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾) [النساء: 64] يعني والله النبي وعليما بما صنعوا أي لو جاءوك بها يا علي فاستغفروا مما صنعوا ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65] ثم قال أبو عبد الله: هو والله علي بعينه ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ على لسانك يا رسول الله يعني به ولاية علي ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، لعلي بن أبي طالب عليه السلام ﴿١﴾.

فسر المؤلف الآية بهذه الرواية الباطلة المخالفة لأصول التفسير، حيث حصرها في أبي بكر وعمر معرضاً بهما كما هي عادته، بالأول والثاني، فجعل الآية ذمّاً لهما وأخما المقصودين بقول ربنا جل وعلا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: 63]، مؤكداً افتراءه بيمين كاذبة.

وسياق الآية يمنع أن يكون المقصود هنا أبو بكر وعمر لعدة أمور منها:

(1) تفسير العياشي، 281/1.

1- أن أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يعرف عنهما أنهما أرادا التحاكم إلى الطاغوت في حياتهما؛ بل سيرتهما الناصعة تظهر بما لا يدع شكًا لمرتاب، ولا مغمزًا لكذاب أنهما معظمان لكتاب الله وسنة النبي ﷺ، وسياق الآية ينص على ذلك في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 60]

2- أن الآية تخاطب المنافقين صراحة وفي نفس سياق الآيات قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: 61] فدلّت الآية أنّ شأن المنافقين الإعراض عن حكم الله ورسوله، كما جاء في آية أخرى تؤيد هذا المعنى وهي قوله جلّ وعلا: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [النور: 49].

بل إنّ القرآن الكريم ينص صراحة على أنّ المؤمنين يستجيبون لحكم الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51].

فإنّ لم يكن أبو بكر وعمر من الذين يقولون سمعنا وأطعنا فمن غيرهم؛ وهم أفضل الصحابة رضوان الله عليهم؟

ومن التفسير الباطل لهذه الآيات عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 64]، أن جعل المقصود في هذه الآية الرسول ﷺ وعليّ، فصار معنى الآية: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك يا علي فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا، ويلاحظ هنا إقحام لعلي ﷺ بما لا يحتمله القرآن الكريم، فهو تفسير باطل مردود، إذ أنّ هذه الآية جاءت بعد أن ذم

الله المتحاكمين إلى الطاغوت، في الآية التي قبلها، فيكون معنى هذه الآية، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت ثم جاؤوك يا محمد، فاستغفروا الله واستغفرت لهم لوجدوا الله توابا رحيمًا. كما أنّ الضمير في قوله تعالى ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء:64] يعود إلى المتحاكمين إلى الطاغوت؛ ولا يقال إنّ المخاطب في قوله: ﴿جَاءُوكَ﴾ [النساء:64] هو غير الرسول ﷺ، لأنه جاء بعدها واستغفر لهم الرسول، لأنّ هذا إلتفات لبيان عظمة إستغفار الرسول ﷺ. ذ

ومّا جاء في سبب نزول هذه الآية: أنّها نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف -وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت- فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ فلما رأى المنافق ذلك أتى معه النبي ﷺ واختصما إليه ففضى رسول الله ﷺ لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب فأقبلا إلى عمر، فقال لليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد ففضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بي فجئت معه، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ فقال: نعم فقال لهما: رويدكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف فاشتمل عليه ثم خرج إليهما فضرب به المنافق حتى برد وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء رسول الله ﷺ وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية وقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق⁽¹⁾؛ وعليه فإنّ سبب النزول يرّد هذا التفسير الباطل، إضافة إلى مخالفته لأصول التفسير الأخرى.

9. قوله تعالى: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:108].

عند تفسير هذه الآية الكريمة أورد العياشي رواية: «عن عطاء الهمداني عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء:108]؟ قال: فلان وفلان، وفلان، وأبوعبيدة بن

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص: 162.

الجراح، وفي رواية عمر بن سعيد عن أبي الحسن عليه السلام قال: هما وأبو عبيدة بن الجراح، وفي رواية عمر بن صالح قال: الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح»⁽¹⁾.

سار المؤلف على منهجه في إثبات عقيدته في أفضل الصحابة، وذلك بالطعن فيهم برواية مختلفة، مخالفاً بذلك التفسير الصحيح للآية الموضح فس سبب نزولها، فسبب نزول الآية، فالضمير المستتر في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء:108]، لا يعود على الصحابة الكرام الذين ذكرهم العياشي، وحاشاهم رضي الله عنهم، أن تشملهم هذه الآية، لما سبق في فضلهم في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وسبب نزول الآيات كما جاء عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، يقال له زيد بن السمين، فالتصمت الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق، فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله ﷺ أن يعاقب اليهودي»⁽²⁾.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ [النساء:108]، يستحفي هؤلاء الذين يختانون أنفسهم، ما أتوا من الخيانة، وركبوا من العار والمعصية ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ [النساء:108]، الذين لا يقدرون لهم على شيء، إلا ذكرهم بقبيح ما أتوا من فعلهم، وشنيع ما ركبوا من جرمهم إذا اطلعوا عليه، حياءً منهم وحذراً من قبيح الأحداث ﴿وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء:108] الذي هو مطلع عليهم، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، ويده العقاب والنكال وتعجيل العذاب، وهو أحق أن يستحى منه من غيره، وأولى أن يعظم بأن لا يراهم حيث يكرهون أن يراهم أحد من خلقه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء:108]، يعني: والله

(1) تفسير العياشي، 301/1.

(2) تفسير البغوي، 698/1.

شاهدتم ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء:108]، يقول: حين يسؤون ليلا ما لا يرضى من القول، فيغيرونه عن وجهه، ويكذبون فيه⁽¹⁾.

فمما سقناه من سبب نزول الآية، يرد تفسيرها الباطل الذي جاء في هذه الرواية، التي تحمل الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مما هما منه براء.

10. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء:137].

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا﴾ [النساء:137] قال: نزلت في فلان وفلان آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله، فبايعوه ثم كفروا حين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقرؤا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء»⁽²⁾.

لغرض الطعن في الصحابة الكرام، ساق المؤلف هذه الرواية المخالفة لنصوص القرآن وسنة النبي ﷺ، وتفسير السلف، وذلك أن الآية تتحدث عن الذين آمنوا ولم يثبتوا على إيمانهم بل ازدادوا كفرا، وحاشا أن تكون نزلت في أبي بكر وعمر- فلان وفلان- كما تزعم هذه الرواية، لأنهم ثبتوا على الإسلام، وهم من المبشرين بالجنة، والأعجب من ذلك أن تذكر الرواية أن كفرهم المزعوم هو أنهم آمنوا بالولاية ثم كفروا بها، ثم ازدادوا كفرا لأنهم تولوا الخلافة قبل علي رضي الله عنه.

وقد اختلف المفسرون في من المقصود بهذه الآية؟، هل هم اليهود والنصارى أم المنافقين؟ وقد نقل أبو بكر الجصاص طرفا من أقوال العلماء في ذلك فقال: «فتأده يعنى به أهل الكتابين من اليهود والنصارى آمن

(1) تفسير الطبري، 191/9.

(2) تفسير العياشي، 307/1.

الْيَهُودُ بِالتَّوْرَةِ ثُمَّ كَفَرُوا بِمُخَالَفَتِهَا وَكَذَلِكَ آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ كَفَرُوا بِمُخَالَفَتِهِ وَأَمَّنَ النَّصَارَى بِالإِنجِيلِ ثُمَّ كَفَرُوا بِمُخَالَفَتِهِ وَكَذَلِكَ آمَنُوا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ كَفَرُوا بِمُخَالَفَتِهِ ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا بِمُخَالَفَةِ الْفُرْقَانِ وَمُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ فِي الْمُتَنَافِقِينَ آمَنُوا ثُمَّ إِزْدَادُوا ثُمَّ مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَقَالَ آخِرُونَ: هُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَصَدَّتْ تَشَكُّيكَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَكَانُوا يُظْهِرُونَ الإِيمَانَ بِهِ وَالْكَفَرَ بِهِ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ أَمْرَهُمْ فِي قَوْلِهِ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»⁽¹⁾.

وعليه يظهر جلياً بطلان هذا التفسير الفاسد، لمخالفته للقرآن الكريم الذي أثنى على الصحابة ووعدهم الحسنی، ومخالف لسنة النبي ﷺ، كما أنه لم يعرف أنّ الصحابة كانوا يعرفون الإمامة المزعومة، ولا بايعوا عليها، ولا ذكرها لهم رسول الله ﷺ، كما أنّ أبا بكر وعمر لم يطلبوا الخلافة لأنفسهما، ولكنّه الجهل والهوى الذي يدفع المبطلين إلى مخالفة صريح القرآن دفاعاً عن عقيدة الباطنية الفاسدة.

11. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة:3]

يقول العياشي عند تفسير هذه الآية: «عن عمرو بن شمر عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة:3] يوم يقوم القائم عليه السلام يمس بنو أمية فهم الذين كفروا يمسوا من آل محمد عليهم السلام»⁽²⁾.

استدل المفسر بهذه الرواية لتفسير الآية بمعنى باطل حيث جعل الذين كفروا المذكورين في الآية هم بنو أمية، مخافاً للقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، إذ كيف يخاطب القرآن المسلمين منذ نزوله على قلب رسول الله ﷺ، ولم يذكر أحد منهم أنّ الذين كفروا في هذه الآية هم بنو أمية.

وإذا رجعنا إلى سبب نزول هذه الآية فيقول الضحّاك: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَحَ مَكَّةَ لِثَمَانَ بَقِيَّةٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ، وَيُقَالُ: سَنَةَ ثَمَانَ، وَدَخَلَهَا وَنَادَى مُنَادِي رَسُولٍ

(1) الحصص، أحكام القرآن، 352/2.

(2) تفسير العياشي، 321/1.

اللَّهُ ﷻ: (أَلَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ وَضَعَ السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ)»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة:3]، قال: «يبس أهل مكة أن ترجعوا إلى دينهم عبادة الأوثان أبدا»⁽²⁾.

قال السدي: «﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة:3]، قال: يَبْسُوا أَنْ تَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [المائدة:3]، لَا تَخْشَوْا أَنْ أُرَدَّكُمْ إِلَيْهِمْ»⁽³⁾. فسبب النزول وتفسير الصحابة والتابعين يرد التأويل الباطل للآية.

هذه بعض الروايات المكذوبة في تفسير العياشي والتي هي عمدة يعتمدها الشيعة في الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، والكثير منها مبثوث في كتب العقائد الاثني عشرية، حرّفت معنى القرآن الكريم بغرض النيل من حملة الشريعة ونقلتها، وهم صفوة الخلق بعد الرسول ﷺ، ومما لا شك فيه أنّ ما ساقه المفسّر من روايات تفسيرية باطل ومردود، لمخالفته لظاهر القرآن الكريم، ولصحيح السنّة التي جاءت بفضل الصحابة رضوان الله عليهم وقد مرّت معنا في غير ما موضع من بحثنا هذا.

(1) تفسير القرطبي، 60/6.

(2) أخرجه البيهقي، في شعب الإيمان، باب: القول في زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، رقم: 135/32، 1.

(3) أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المزوزي، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق، د. عبد الرحمن عبد الجبار الفيرواني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1406هـ، 352/1.

خلاصة الفصل

على ضوء ما سبق نخلص إلى أنّ الشيعة انقسموا فريقين من حيث موقفهم من صيانة القرآن، قسم يقول بتحريف القرآن، منهم من يصرّح ومنهم من يستخدم التقيّة، وقسم آخر يعتقد صيانة القرآن وعصمته عن التحريف، وأبو النضر العياشي ممّن ساق العديد من الروايات المختلقة التي فحواها أنّ القرآن زيد فيه ونقص وغير.

أمّا إيراد العياشي للروايات كما سبق بيانه فقد كان لأغراض منها، إثبات مكانة آل البيت خصوصا والشيعة عموما، وكذا الإستدلال للقضايا الكبرى عند الشيعة كالإمامة والولاية، الطعن في المخالفين للشيعة كأكثر الصحابة وأمّهات المؤمنين، وأن العياشي قد انتهج الاتجاه الباطني في إيراد العديد من الروايات للأغراض التي سبق إيرادها في هذا الفصل.

خاتمة

بعد البحث والدراسة في ثنايا تفسير أبي النضر محمد بن مسعود العياشي، مع ما صاحب رحلة البحث من الإطلاع على الكثير من الطعونات في الصحابة والقول بالتحريف والعديد من العقائد الكفرية الباطلة التي يقشع منها البدن، ومن خلال تحليل ونقد الروايات التفسيرية الباطلة على ضوء أصول التفسير وقواعده خلصت إلى النتائج التالية:

➤ ضرورة الإحاطة بعلم أصول التفسير لمن يريد خوض غمار تفسير القرآن الكريم، لكونها السياج الذي يحمي علم التفسير من الدخيل والفاسد من الآراء والأقوال، يضاف إلى ذلك كله إلتزامه بالآداب الشرعية، وتحصيل الشروط المعرفية.

➤ أصول التفسير عند أهل السنة منضبطة بالكتاب والسنة ولغة العرب، لذا فإن الرجوع إلى أصولهم يعدّ الطريق الأمثل والمنهج السديد في تفسير القرآن الكريم كما لها الأثر الكبير في تقريب مراد الله تعالى من كتابه، وطرح الآراء المخالفة والباطلة التي تعج بها تفاسير المخالفين لهذه الأصول.

➤ أصول التفسير عند الشيعة تتحكم فيها النزعة العقديّة والهوى، يتضمن أخطر أصل فيها القول بتحريف القرآن الكريم عند الكثير من علماء الشيعة، كما أنّ الكثير من أصولهم مخالف للعقل السليم، مخالف للقرآن والسنة ولغة العربية التي أنزل بها القرآن، يحمل نزعة عدائية للمخالفين، من خلال ليّ أعناق النصوص للطعن فيهم، يحلّل النصوص القرآنية ما لا تحتل.

➤ خطر التأويل الباطني على علم تفسير القرآن الكريم، حيث يجعل هذا المنهج حمى القرآن الكريم مستباحا لكلّ مبطل يريد الاستدلال لعقيدته الفاسدة، بادّعاء معنى باطنيّ للآية خدمة لعقيدته.

➤ لا يمكن عدّ التأويل الباطني لونا من ألوان التفسير الإجتهادي لأنّ مستنده أصول فاسدة يغلب عليها الهوى والرأي الفاسد.

➤ تأكيد المكانة العلمية المرموقة التي يتميز بها أبو النضر العياشي عند الطائفة الإثني عشرية وتأثيره في تفاسير الشيعة، إذ تعد رواياته مستندا للشيعة في الكثير من أصولهم وعقائدهم الباطلة.

➤ ما وصلنا من تفسير العياشي هو النصف الأول من القرآن الكريم وهو محذوف الأسانيد.

➤ هذا التفسير يندرج ضمن التفسير الروائي عند الشيعة أو ما يسمى التفسير بالمأثور عند أهل السنة، إذ لا يوجد فيه اجتهاد أو رأي للعيّاشي إلا النقل والترتيب، لذا اقتصر فيه على إيراد الروايات دون تعليق أو تمحيص أو إبداء رأي.

➤ حوى التفسير العديد من الروايات التي تنقض عرى الإسلام، كالروايات المتضمنة للشرك، و القول بالتحريف، والطعن في حملة الشريعة- الصحابة- وزوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقول بالرجعة والبداءة.

التوصيات

انبثق عن هذا البحث مجموعة من التوصيات التي يرى الباحث أنّها مفيدة في هذا المضمار من أهمّها:

➤ ضرورة عناية الباحثين في أصول التفسير بمواطن الخلل في تفاسير الشيعة وذلك بمحاكمتها إلى قواعد وأصول صحيحة من أجل تقويمها.

➤ يوصي الباحث بالعكوف على باقي التفاسير التي انتهجت الإتجاه الباطني كالقمي، والطبرسي والطباطبائي وغيرهم من أجل دراستها دراسة نقدية في شقّها الذي ينحى منحى الإتجاه الباطني.

➤ دراسة موضوع التفسير الإشاري والتفسير الباطني دراسة موضوعية وإظهار وجوه التباين بينهما.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، بهذا أكون قد أتممت - بحمد الله وتوفيقه- هذا البحث التواضع الذي أرجو أن ينفع الله به وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم إن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمن نفسي والشيطان.

الفهارس

فهرس الآيات

الصفحة	طرف الآية ورقمها
سورة الفاتحة	
59	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]
سورة البقرة	
	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:3]
221	﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة البقرة: 26]
81	﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:28]
147	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]
62	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة:89]
205	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: 135]
204	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:136]
161	﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:138]
206	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:143]
139	﴿وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 150]
207	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة:159]
213/208	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: 165]
213	(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) [البقرة: 165]
214	(أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) [البقرة: 165]
208	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:165]
213	﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:167]
216	(كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) [البقرة: 183]

215	(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) [البقرة: 185]
25/210/24/17	﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة: 189]
210/114	﴿ وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهَا ﴾ [البقرة: 189]
211	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ ﴾ [البقرة: 189]
217	﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ ﴾ [البقرة: 190]
216	﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 193]
217	(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ) [البقرة: 193]
163	﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [البقرة: 203]
218	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة: 204]
218	﴿ وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ [البقرة: 204]
218	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ [البقرة: 205]
218	﴿ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ [البقرة: 205]
165	﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: 208]
22	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَى ﴾ [البقرة: 222]
23	﴿ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: 259]
135/134	﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 259]
23	﴿ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: 259]
218	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ﴾ [البقرة: 264]
73	﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: 275]
سورة آل عمران	
216/215	﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ [آل عمران: 07]

216/215	﴿ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَةً ﴾ [آل عمران: 07]
216/215	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ [آل عمران: 07]
16	﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 07]
136	﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: 33]
134	(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) [آل عمران: 81]
196	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ إِذَا دُؤِبُوا كُفَرُوا ﴾ [آل عمران: 90]
93	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران: 96]
208	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: 103]
196	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 110]
135	(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) [آل عمران: 123]
196	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: 144]
166	﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾ [آل عمران: 157]
سورة النساء	
12	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء: 01]
220	(الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) [النساء: 37]
177	﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا ﴾ [النساء: 40]
81	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء: 41]
23	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ [النساء: 43]
137	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [النساء: 47]
167	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: 48]
167	﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: 48]

222	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: 51]
222	﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ ﴾ [النساء: 51]
222	﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ ﴾ [النساء: 51]
222	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: 51]
222	﴿ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فْلَنَ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ [النساء: 51]
68	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء: 54]
169	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ ﴾ [النساء: 58].
169	﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: 58]
222	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء: 59]
225	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ ﴾ [النساء: 60]
225	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [النساء: 61]
224	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [النساء: 63]
225	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: 64]
225	﴿ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء: 64]
224	﴿ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ الرَّسُولَ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: 65]
224	﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ [النساء: 65]
82	﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: 80]
22	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: 82]
84	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [النساء: 105]
226	﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ [النساء: 108]

228/226	﴿إِذْ يَبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء:108]
228	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ [النساء:137].
138	﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:166]
سورة المائدة	
118	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة:3]
230 /229	﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة:3]
171	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:03]
172	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة:05]
208	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ [المائدة:54]
209/208	﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:54]
173	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة:66]
173	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة:66]
130	﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة:67]
110	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة:90]
13	﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة:105]
سورة الأنعام	
80	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:82]
90	﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:125]
90	﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام:14]
176/175	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:93]
178/177/176	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:160]

سورة الأعراف	
116	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:33]
140/139/109	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف:172]
سورة الأنفال	
116	﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنفال:7]
116	﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:7]
117	﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال:11]
197	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:64]
سورة التوبة	
209	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [التوبة:24]
17	﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة:38]
186	﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة:100]
سورة هود	
81	﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ [هود:103]
107	﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود:113]
107	﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:80]
سورة يوسف	
10	﴿نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف:36]
سورة الرعد	
113	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7]
سورة ابراهيم	
72	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم:24]

سورة الحجر	
127	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]
62	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: 87]
سورة النحل	
84/82	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]
84	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [النحل: 64]
101	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]
سورة الإسراء	
98	﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 33]
99	﴿وَنُحِيقُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا﴾ [الإسراء: 60]
سورة مريم	
83	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [مريم: 96]
سورة طه	
104	﴿وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: 81]
سورة الحج	
114	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: 39]
سورة النور	
108	﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [النور: 4]
108	﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 4]
108	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ [النور: 5]
202	﴿أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرِ لُجِّي يَعْشَهُ مَوْجٌ﴾ [النور: 40]
225	﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النور: 49]

225	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [النور: 51]
147	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [النور: 55]
سورة الفرقان	
98	﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾ [الفرقان: 29]
127	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ ﴾ [الفرقان: 30]
03	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: 33]
سورة الشعراء	
89	﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: 192]
سورة النمل	
85	﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ [النمل: 59]
177	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ [النمل: 89]
العنكبوت	
101	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: 45]
26	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: 69]
سورة الروم	
14	﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ [الروم: 19]
سورة لقمان	
80	﴿ يَبْنِي لَّا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13]
سورة الأحزاب	
170	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: 71]
سورة الصافات	
81	﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات: 22]
109	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الصافات: 45]
سورة ص	

147	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: 26]
87	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: 29]
سورة الزمر	
126	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: 23]
168	(وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [الزمر: 65].
سورة الدخان	
117/99	﴿حَمِّمٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: 01]
99	﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: 04]
سورة محمد	
200	(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ [محمد: 1]
221	﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَوَعَائِهِمْ تَقْوَاهُمْ ﴿٧﴾﴾ [سورة محمد: 17]
سورة الفتح	
184/85	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]
184/85	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29]
سورة الحجرات	
121/120	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]
120	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ [الحجرات: 7]
122/120	﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: 7]
سورة النجم	
109	﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: 6]
83	﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13]
سورة الرحمن	

119	﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ [الرحمن:5]
120/119	﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ [الرحمن:7]
سورة الواقعة	
197	﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ [الواقعة: 11]
سورة الحديد	
185	﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح﴾ [الحديد: 10]
سورة الحشر	
185/184	﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم﴾ [الحشر:08]
سورة التحريم	
203	﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا أمراة نوح﴾ [التحريم: 10]
سورة المعارج	
91	﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ [المعارج:37]
سورة نوح	
141	(رَبِّ اعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) [نوح:28]
سورة الجن	
119	﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:18]
سورة القيامة	
111	﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:22-23]
سورة النبأ	
92	﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا﴾ [النبأ:24]
سورة عبس	
23	﴿تُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: 22]

سورة التكوير	
81	﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير: 7]
83	﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٣٣﴾﴾ [التكوير: 23]
سورة المطففين	
81	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: 14]
سورة البروج	
81	﴿وَشَاهِدِ مَشْهُودِ ﴿٣﴾﴾ [البروج: 03]
سورة الغاشية	
108	﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: 22]
سورة الفجر	
100	﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ [الفجر: 3]
18	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: 14]
سورة القدر	
99	﴿أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: 3]
100	﴿مَطَّلِعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: 5]
سورة النصر	
13	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴿١﴾﴾ [النصر: 03]

فهرس

الأحاديث والآثار

الصفحة	صاحب الأثر	الحديث أو الأثر
189		أبو بكر في الجنة
90	عمر بن الخطاب	ابغوني رجلاً من كنانة
193	أبي موسى	افتح له وبشره بالجنة
188	علي <small>رضي الله عنه</small>	انطلقوا حتى تأثوا روضة خاخ
168		ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
130		أَلَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ آمِنٌ
219		أنا أغني الشركاء عن الشرك
193		أي الناس أحب إليك
83		إذا أحبب الله عبداً نادى: يا جبريل
12	ابن عباس	إننا ممن يعلم تأويله
162		إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره
191		إن الله خير عبداً
83		إنما هو جبريل، لم أره على صورته
212		إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ
188		إنه شهد بدراً
103		إني تارك فيكم الثقلين
172	عمر بن الخطاب	إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه
126		تعاهدوا القرآن
75	ابن عباس	تعلموا التأويل قبل أن يجيء أقوام
83		ثلاث من تكلم بواحدةٍ منهنَّ
209		ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
164		الحج عرفة
187		خير الناس قرني

192		رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء
13		سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ
145	ابن أبي حثمة	السلام عليك يا أمير المؤمنين
81	الحسن بن علي	الشاهد، محمد ﷺ
192		عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي
11		فصلى رسول الله ﷺ في المسجد
81	عمر بن الخطاب	قال: ضُرِّبَتْ أَعْيُنُهُمْ
210	البراء بن عازب	كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا
148		كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ
13	عائشة رضي الله عنها	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ
13	أبو العالبيّة	كَانُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
194		كامل من الرجال كثير
12	أسلم أبو عمران	كنا بمدينة الروم
90	ابن عباس	كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
186 / 85		لا تسبوا أصحابي
148		لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة
80	ابن مسعود	لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾
11		اللهم فقهه في الدين
82		لِيُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ
88		من تكلم في القرآن برأيه
178		من صام ثلاثة أيام من كل شهر
88		من قال في القرآن برأيه
147		مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ

187		النُّجُومُ أُمَّةٌ لِلسَّمَاءِ
210/25/12	البراء بن عازب	نزلت هذه الآية فينا
190	أبو بكر	نعم إني لأصدقه
81	عمر بن الخطاب	هما الرجلان يعملان العمل
24	علي <small>رضي الله عنه</small>	والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما أنزلت
189		ويحك أو هبلت
126	عبد الله بن عمرو	يقالُ لصاحبِ القرآنِ اقرأَ وارقَ ورتِّل
190	أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق	يا أبا بكر ما ظنك باثنين
145	ابن أبي مليكة	يا خليفة الله
178		يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، صُمِّمِ الدَّهْرَ
206	صحيح البخاري عن أبي سعيد،	يُجَاءُ بَنُوْحِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
177	عبد الله بن عمرو	يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ

فهرس

الأعلام

الصفحة	العلم المترجم له
04	أبو حامد أحمد بن محمد الخارزنجي البُشْتِي
06	أبو حيان التوحيدي
05	أبو منصور الأزهري
38	أحمد بن محمد بن خالد البرقي
07	الزركشي
58	ابن أبي حديد
61	عبد علي بن جمعة العروسي
63	الفيض الكاشاني
65	الفضل بن الحسن الطبرسي
113	يحيى بن القاسم أبو بصير
164	أبو حمزة الشمالي
38	محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
106	محمد بن الحسن بن علي الطوسي
59	محمد حسين علي أصغر الطباطبائي

فهرس

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
2. الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق، أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م.
3. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ - 2003م
4. أحكام القرآن، الجصاص، أبو بكر الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ - 1994م.
5. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1427هـ.
6. الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، باب: التسليم على الأمير، رقم: 1023، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م.
7. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى: 1405هـ.
8. أسباب النزول، النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، الطبعة الثانية: 1412هـ - 1992م.
9. الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى: 1403هـ.
10. أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، محمد الحسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1410هـ - 1990م.
11. أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1406هـ-1986م.

12. أصول الفقه، محمد رضا المظفر، تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكبي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة السابعة: 1423هـ.

13. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ - 1995م.

14. الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، 2002 م.

15. أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.

16. الإفصاح في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن النعمان المفيد، تحقيق مؤسسة البعثة، دار المفيد، الطبعة الثانية، 1414هـ.

17. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، منشورات الأعلمي، الطبعة الأولى: 1434هـ - 2013م.

18. الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، عبد الله الشير، مؤسسة الوفاء بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1403هـ.

19. أوائل المقالات، المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم بن أبي عبد الله الكعبري البغدادي، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى: 1413هـ.

20. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي أبو محمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1403 هـ - 1983 م.

21. الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1402هـ.

22. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1414 هـ - 1993 م.
23. إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي، تحقيق، السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، الطبعة الأولى، 1405 هـ.
24. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
25. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
26. الإكسير في علم التفسير، الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، تحقيق، عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1409 هـ - 1979 م.
27. إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، الطبعة الأولى: 1389 هـ - 1969 م.
28. الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2001 م.
29. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى: 1406 هـ - 1982 م.
30. إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: 1406 هـ - 1982 م.

31. الأنساب، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى: 1382 هـ - 1962 م.

32. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي تحقيق: مجموعة من العلماء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1403 هـ - 1983 م.

33. بحر العلوم، السمرقندي، نصر بن محمد، بن أحمد، بن إبراهيم، أبو الليث، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ- 1993م.

34. البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق، عبد القادر عبد الله العاني، دار الصفوة للطباعة و النشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1992م.

35. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان التوحيد، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1431 هـ - 2010م.

36. بحوث في أصول التفسير، الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

37. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1986 م.

38. البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1427هـ-2006م.

39. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى: 1376 هـ - 1957م.

40. البيان في تفسير القرآن، الخوئي، أبو القاسم الموسوي، أنوار الهدى للنشر والتوزيع، طهران، الطبعة الثامنة: 1401هـ - 1981م.
41. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المرناكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2013م.
42. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1428هـ - 2007م.
43. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 2003م.
44. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.
45. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: 1425هـ - 2004م.
46. تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبري، دار التراث، بيروت الطبعة الثانية: 1387هـ.
47. تاريخ الغيبة الصغرى، محمد الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.
48. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
49. تأويل الآيات في فضائل العترة الطاهرة، شرف الدين الحسيني النجفي، تحقيق: مدرسة المهدي، قم، إيران، الطبعة الثانية: 1433هـ.

50. التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1414 هـ - 1994م.
51. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1984 هـ.
52. تصحيح الفصح وشرحه، ابن المرزبان، أبو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى: 1419 هـ - 1998م.
53. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، أبو المظفر الاسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: 1403 هـ.
54. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1403 هـ - 1983م.
55. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1429 هـ - 2008م.
56. تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المُرَوَزِي، تحقيق، د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1406 هـ.
57. تفسير القمي، القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، إشراف، محمد باقر الموحّد الأبّطحي الأصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي للنشر والتوزيع، قم، إيران، الطبعة الأولى: 1435 هـ.
58. التفسير اللغوي للقرآن، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى: 1422 هـ.
59. تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الثانية، 1416 هـ - 1995م.

60. **تفسير مجاهد**، مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تحقيق، الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1989 م.
61. **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى: 1423 هـ.
62. **تفسير نور الثقلين**، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: د.ت.
63. **التفسير والمفسرون**، الذهبي، محمد السيد حسين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.
64. **التفقيه في اللغة**، البندنجي: أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد الطبعة الأولى: 1976 م.
65. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى: 1387هـ.
66. **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار**، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة.
67. **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للمفيد**، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الموسوي، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة: 1365هـ.
68. **توشيح التفسير في قواعد التفسير والتأويل**، محمد بن سليمان التنكابي، مؤسسة شمس الضحى الثقافية، طهران، الطبعة الأولى: 1432هـ.

69. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1384هـ - 1965م.
70. جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000 م.
71. جمهرة اللغة، ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1987م.
72. حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الرابعة، 1426 هـ - 2005 م.
73. الحسام المسلول على منتقضي أصحاب الرسول، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق»، تحقيق، حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني، مصر، 1386 هـ.
74. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1400هـ - 1980م.
75. خاتمة مستدرك الوسائل، الميرزا الشيخ حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.
76. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى: 1406هـ.
77. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، للحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامية، الطبعة الرابعة: 1431هـ.
78. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية: 1392هـ - 1972م.

79. **الدّرر الملتقطه في تفسير الآيات القرآنيّة**، محمد إسماعيل الخواجهوي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم، قم، إيران، الطبعة الأولى، د.ت.
80. **دفع الكذب المبين المفترى على أمهات المؤمنين**، د. عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، 1418هـ.
81. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
82. **ديوان محمد العيد آل خليفة**، محمد العيد بن محمد علي خليفة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010م.
83. **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1403هـ-1983م.
84. **ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة**، نور الله التستري، تحقيق: مؤسسة آل البيت، مطبعة ستارة، قم، إيران، الطبعة الأولى: 1419هـ.
85. **ذم الكلام وأهله**، الهروي، أبو إسماعيل، تحقيق: أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى: 1419 هـ - 1998م.
86. **رجال الطوسي**، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الخامسة، 1430هـ.
87. **رجال ابن داود**، للحسن بن علي بن داود الحلبي، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ط، د.ت.
88. **رجال النجاشي**، النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الأسدس الكوفي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة السادسة، 1418هـ.

89. رسالة في الرد على الرافضة، أبو حامد محمد المقدسي، تحقيق: عبد الوهاب خليل الرحمن، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى: 1403هـ.
90. الرسالة في فقه الإمام مالك، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق، عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية.
91. روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2001م.
92. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ.
93. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
94. روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1412هـ - 1991م.
95. رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، الطبعة: 1403هـ.
96. الرياض النضرة في مناقب العشرة، أحمد بن عبد الله الطبري، تحقيق: عيسى الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1996م.
97. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
98. الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1412هـ - 1992م.
99. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، عباس القمّي، تحقيق: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، الطبعة الثالثة: 1430هـ.

100. سلسلة أصول الدين، مرتضى المطهري، تحقيق: جواد علي كسار، مؤسسة أم القرى، بيروت، الطبعة الرابعة، 1428هـ-2007م.
101. السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م.
102. السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: الدكتور محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى: 1406هـ.
103. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قرة بللي، دار الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.
104. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1430 هـ - 2009 م.
105. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1997م.
106. السنن الكبرى، البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1424 هـ- 2003م.
107. سير أعلام النبلاء، لمحمد أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ، 1405 هـ - 1985 م.
108. شرح العروة الوثقى، المرتضى البروجردي، شرح العروة الوثقى، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، الطبعة الرابعة: 1430هـ-2009م.
109. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق، جماعة من العلماء، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة عن مطبوعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.

110. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد ابراهيم، دار الكتاب العربي، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007م.
111. الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الله الدميحي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية: 1420هـ.
112. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق، عبده علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م.
113. الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الثالثة: 1394هـ . 1974م.
114. الصارم المسلول على شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق، محمد عبد الله عمر الحلواني و محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ.
115. الصافي في تفسير القرآن، محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني، تحقيق: محسن الحسيني الأميني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، 1419 هـ.
116. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: 1422هـ.
117. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م.
118. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدعة والزنادقة، ابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1403هـ.
119. طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م .
120. طبقات الحنابلة، أبو الحسين بن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ .

121. **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1413هـ.
122. **طبقات المفسرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1396هـ.
123. **عقائد الإمامية**، محمد رضا المظفر، منشورات مكتبة الأمين، النجف، الطبعة الأولى: 1388هـ-1968م.
124. **العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط**، الدكتور سليمان بن سالم السحيمي، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى: 1425هـ.
125. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، تحقيق، عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.
126. **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير**، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين،، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة: 1415 هـ - 1994 م.
127. **غرائب القرآن و رغائب الفرقان**، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1416 هـ.
128. **غياث الأمم في التياث الظلم**، أبو المعالي الجويني، تحقيق، د. مصطفى حلمي. د. فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1400 هـ.
129. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1379هـ.

130. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق، يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1428 هـ - 2007 م.

131. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م.

132. الفصول العشرة في الغيبة، محمد بن محمد المفيد، تحقيق: فارس حسون، دار المفيد، الطبعة الثانية، 1414 هـ.

133. فقه القرآن، سعيد بن هبة الله الراوندي، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الولاية، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، الطبعة الثانية: 1405 هـ.

134. فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م.

135. الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1417 هـ - 1997 م.

136. فهرست كتب الشيعة وأصولهم وأسماء المصنفين وأصحاب الأصول، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، مكتبة المحقق الباطبائي للنشر والتوزيع، قم، إيران، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

137. الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الثانية: 1407 هـ - 1986 م.

138. القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاد الفريابي، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م.

139. القرآن في الإسلام، الطباطبائي، تحقيق: أحمد الحسيني، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1393 هـ - 1973 م.

140. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الطبعة الأولى، 1417هـ.

141. قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد السبت، دار بن عفان، الرياض، الطبعة الأولى: 1421هـ.

142. الكافي، الكليني محمد بن يعقوب، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1428هـ - 2007م.

143. الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.

144. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1417 هـ - 1997 م.

145. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2002 م.

146. كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد بن علي لخزاز القمي الرازي، تحقيق: محمد كاظم الموسوي، عقيل الربيعي، مركز نور الأنوار في إحياء بحار الأنوار، إيران، الطبعة الأولى: 1430هـ.

147. الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق، أبي إسحاق إبراهيم بن مصطفى آل مجح الديماطي، دار الهدى، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433هـ-2003م.

148. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء، تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1419هـ-1998م.

149. الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في كتابه أصول الكافي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى: 1427هـ - 2007م.
150. الكنى والألقاب، عباس القميّ، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الخامسة، 1259هـ.
151. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانلي، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1401هـ - 1981م.
152. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1388هـ - 1968م.
153. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1416هـ - 1996م.
154. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، 1985م.
155. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة: 1421هـ - 2000م.
156. مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1381هـ.
157. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1426هـ - 2005م.
158. المجموع شرح المهدب للشيرازي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية: 1427هـ - 2006م.

159. **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ-1995م.
160. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422 هـ.
161. **المحلى بالآثار**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424هـ-203م.
162. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
163. **مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار**، أبو الحسن بن محمد طاهر العاملي النباطي الفتوي، تحقيق، لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1426هـ-2006م.
164. **مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة**، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة: 1428 هـ.
165. **المسالك والممالك**، الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004 م.
166. **مستدرك سفينة البحار**، علي النمازي الشاهرودي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، 1419هـ.
167. **المستصفى**، الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ - 1993م.

168. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
169. مشارق أنوار اليقين، رجب البرسي، تحقيق: علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1419 هـ.
170. مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، ا. د. علي أحمد السالوس، دار الفضيلة، الرياض، دار الثقافة، قطر، مكتبة دار القرآن، مصر، الطبعة السابعة: 1424 هـ - 2003 م.
171. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420 هـ.
172. معاني القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، الطبعة الأولى: 1409 هـ.
173. المعتمد في أصول الدين، القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي البغدادي، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1974 م.
174. المعتمد في أصول الدين، القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي البغدادي، تحقيق الدكتور وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1974 م.
175. معجم رجال الحديث، الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، الطبعة الأولى، د.ت.
176. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكفوي الكليات: تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1998 م.
177. المعجم الكبير، أخرجه الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى: 1415 هـ - 1995 م.

178. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، الرازي، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1399هـ - 1979م.
179. مفاتيح الغيب، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، تحقيق: الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2000 م.
180. المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضريّ الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري، تحقيق، لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، الكويت، الطبعة الأولى، 1433 هـ - 2012 م.
181. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ.
182. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1417 هـ - 1996م.
183. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.
184. مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1490هـ - 1980م.
185. مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الناشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1490هـ - 1980م.
186. الملل والنحل، الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1387هـ - 1968م،

187. **مناهل العرفان في علوم القرآن،** الزرقاني: محمد عبد العظيم، تحقيق: فواز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ، 1995 م.

188. **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال،** الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الثالثة، 1413 هـ.

189. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: 1406 هـ - 1986 م.

190. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

191. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،** ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

192. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392 هـ.

193. **منهج البحث الأدبي عند العرب،** جودت الركابي، دار ممتاز للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م.

194. **منهج البحث الأدبي عند العرب،** جودت الركابي، دار ممتاز للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م.

195. **الموافقات،** الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: 1417 هـ - 1997 م.

196. **المواقف في علم الكلام،** الإيجي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م.

197. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الإسلام- إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى: 1417 هـ - 1996 م .
198. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1406 هـ - 1985 م.
199. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البحايي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م.
200. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
201. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1435 هـ.
202. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، تحقيق، عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ - 1995 م.
203. نقد الرجال، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، قم، إيران، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
204. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.
205. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.
206. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د:

الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى: 1429 هـ - 2008 م.

207. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ، 2008 م.

208. الوجيزة في علم الرجال، المجلسي، محمد باقر، تحقيق، محمد كاظم رحمان ستايش، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، 1320 هـ-200 م، ص: 139-

209. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ.

210. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، الطبعة الثانية: 1414 هـ.

211. وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، تحقيق، جعفر المجاهدي، عطاء الله الرسولي، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، 1436 هـ، 2015 م.

212. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1398 هـ-1978 م .

الرسائل الجامعية

213. نقد الصحابة والتابعين للتفسير، عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، ، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، العام الجامعي: 1427 هـ - 1428 هـ.

214. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -، ناصر بن عبد الله بن علي الففاري، أطروحة دكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1414 هـ.
215. تفسير العياشي دراسة عقديّة نقدية، سامي بن سعد الأسمري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1433 هـ.
216. تفسير القمي دراسة عقديّة، فايز بن علي العتيبي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1432 هـ.
217. الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن، الدكتور محمد العسال، الطبعة الأولى: 1427 هـ.
218. جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، محمد أحمد لوح، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، 1417 هـ.
219. منهج علي بن إبراهيم القمي في تفسيره - عرض ونقد -، أمل بنت إبراهيم الشيخ، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، العام الدراسي، 1431 هـ - 1432 هـ .

فهرس

الموضوعات

الصفحة	
	اهداء
	شكر وتقدير
أ-د	مقدمة
الفصل التمهيدي: مفاهيم حول التفسير والتأويل	
02	تمهيد:
03	المبحث الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً
03	المطلب الأول: تعريف التفسير لغة
06	المطلب الثاني: تعريف التفسير اصطلاحاً
09	المبحث الثاني: تعريف التأويل لغة واصطلاحاً
09	المطلب الأول: تعريف التأويل لغة.
11	المطلب الثاني: تعريف التأويل اصطلاحاً
16	المطلب الثالث: الفرق بين التفسير والتأويل
19	المطلب الرابع: شروط وآداب المفسر
19	أولاً: الشروط المعرفية
26	ثانياً: الشروط الأخلاقية
29	خلاصة الفصل
الفصل الأول: التعريف بالمؤلف وتفسيره	
31	تمهيد
32	المبحث الأول: عصر المؤلف
32	المطلب الأول: لمحة تاريخية حول مدينة سمرقند
33	المطلب الثاني: الأوضاع السياسية لعصر المؤلف في العالم الإسلامي عموماً
38	المطلب الثالث: الحالة الدينية والفكرية لعصر المؤلف
38	أولاً: الحالة العلمية والفكرية
39	ثانياً: الحالة الدينية لعصر المؤلف وأهم الفرق

43	المبحث الثاني: اسمه ونسبه ونشأته ووفاته
43	المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته
43	المطلب الثاني: سيرته العلمية
45	المطلب الثالث: مكانة العياشي عند علماء الشيعة
46	أقوال علماء أهل السنة في العياشي
47	مذهب المفسر وعقيدته
47	المطلب الرابع: مؤلفاته
49	المطلب الخامس: مشايخه وتلاميذه
52	المبحث الثالث: تفسير العياشي وأثره في تفاسير الشيعة
52	المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه
55	المطلب الثاني: منهج العياشي في تفسيره
55	طريقة العياشي في تفسيره للآيات
56	أسانيد الروايات الواردة في تفسير العياشي
58	المطلب الثالث: أثر تفسير العياشي في تفاسير الشيعة
59	أولاً: أثره في تفسير "الميزان في تفسير القرآن" لمحمد بن حسين الطباطبائي
61	ثانياً: أثر تفسير العياشي في تفسير "نور الثقلين" لعبد علي بن جمعة العروسي الحويزي
63	ثالثاً: أثر تفسير العياشي في تفسير الصافي، لمؤلفه الفيض الكاشاني
65	رابعاً: أثر تفسير العياشي في تفسير "مجمع البيان في تفسير القرآن" لمؤلفه: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
69	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: أصول التفسير بين أهل السنة والشيعة الباطنية	
71	تمهيد
72	المبحث الأول: أصول التفسير وأثرها في عصمة معاني النصوص القرآنية من الخطأ والتحرير
72	المطلب الأول: أصول التفسير لغة واصطلاحاً

72	أولاً: تعريف الأصول لغة
73	ثانياً: تعريف الأصول اصطلاحاً
74	المطلب الثاني: أثر أصول التفسير في عصمة معاني النصوص القرآنية من الخطأ والتحرّيف
80	المبحث الثاني: أصول التفسير عند أهل السنّة
80	المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن
82	المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنّة
84	المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة
86	المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين
87	المطلب الخامس: التفسير بالرأي
89	المطلب السادس: تفسير القرآن باللغة
94	المبحث الثالث: أصول التفسير عند الشيعة
94	المطلب الأول: تعريف أصول التفسير عند الشيعة
94	المطلب الثاني: أهم مسائل أصول التفسير في مؤلفات الشيعة
96	مقدمات في علم التفسير، لصدر الدين القبانجي
97	دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، لعلي أكبر السيفي المازندراني
98	توشيح التفسير في قواعد التفسير والتأويل، لمحمد بن سليمان التنكابني
100	المطلب الثالث: مرتكزات التفسير عند الشيعة
100	1. تفسير القرآن بالقرآن
103	2. تفسير القرآن بالسنّة
107	3. التفسير باللغة العربية
112	4. اعتماد أسلوب الجري والتطبيق
115	5. التفسير من منطلق أنّ للقرآن ظهراً وبطناً

116	نماذج من المعاني الباطنية في تفاسير الشيعة
116	كلمات الله هو (علي)، والكافرون (بنو أمية)
117	(حم) هو محمد ﷺ، (الكتاب المبين) هو علي رضي الله عنه ، (الليلة المباركة) هي فاطمة رضي الله عنها
117	(السماء) هو رسول الله ﷺ، و(الماء) علي رضي الله عنه
118	(الأزلام) هم أعداء الأئمة
119	المساجد هم الأئمة
119	النجم؛ رسول الله ﷺ، والشجر والميزان، علي رضي الله عنه والأئمة
120	تفسير الإيمان بـ"علي"، والكفر بـ"أبي بكر الصديق"، والفسوق بـ"عمر"، والعصيان بـ"عثمان" رضي الله عنهم
123	خلاصة الفصل
الفصل الثالث: التأويل التحريفي للنص القرآني في تفسير العياشي	
125	تمهيد
126	المبحث الأول: موقف العياشي من عصمة القرآن الكريم
126	المطلب الأول: موقف أهل السنة من عصمة القرآن الكريم
126	أولا: مكانة القرآن الكريم عند أهل السنة
128	ثانيا: حكم من يعتقد تحريف القرآن الكريم عند أهل السنة
130	المطلب الثاني: موقف الشيعة من عصمة القرآن الكريم
130	أولا: الفريق القائل بالتحريف صراحة
132	ثانيا: الفريق القائل بنفي التحريف عن القرآن الكريم
134	المطلب الثالث: موقف العياشي من عصمة القرآن الكريم
134	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾

	لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ [البقرة:259]....
135	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالًا إِبْرَاهِيمَ وَعَالًا عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:33]
136	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِهِ وَتُنصِرُنَّهُ﴾ [آل عمران:81].
136	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:123]
137	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَتُْوا أَلْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء:47]
138	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۗ أَنْزَلَهُ وَبِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:166]
138	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]
139	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:172]
141	ادعاء التحريف في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح:28]
142	المبحث الثاني: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات الإمامة

142	المطلب الأول: تعريف الإمامة لغة واصطلاحاً
142	أ. تعريف الإمامة لغة
143	ب. تعريف الإمامة اصطلاحاً
144	ج. إطلاقات الإمامة
136	المطلب الثاني: مكانة الإمامة بين أهل السنة والشيعة
136	أ. الإمامة عند أهل السنة
151	ب. الطريق الشرعي لمنصب الإمامة عند أهل السنة
152	ج. الإمامة والولاية عند الشيعة
156	ح. طريق استحقاق الإمامة عند الشيعة
160	المطلب الثالث: الآيات التي حرّف المؤلف تأويلها لإثبات الإمامة والولاية
161	1. قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:138]
163	2. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة:203]
165	3. قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:208]
166	4. قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عمران:157]
167	5. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48]
169	6. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:58]
171	7. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:03]
172	8. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة:05]

173	9. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [المائدة:66]
174	10. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُعَيْنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة:68]
175	11. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام:93]
176	12. قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:160]
179	13. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل:51].
180	المبحث الثالث: التأويل التحريفي في تفسير العياشي لإثبات فضائل الشيعة والظعن في مخالفيهم
180	المطلب الأول: تعريف الصحابي لغة واصطلاحاً
180	أولاً: تعريف الصحابي لغة
181	ثانياً: الصحابي اصطلاحاً
183	المطلب الثاني: مكانة الصحابة عند أهل السنة
183	أولاً: الأدلة على فضل الصحابة في القرآن الكريم
187	ثانياً: الأدلة على فضل الصحابة في السنة المشرفة
194	ثالثاً: اهتمام كتب العقائد بتقرير فضل الصحابة
198	المطلب الثالث: مكانة الصحابة عند الشيعة
198	أولاً: عقيدة الشيعة في عموم الصحابة

201	ثانيا: عقيدة الشيعة في خواص الصحابة
204	المطلب الرابع: التأويل التحريفي لإثبات فضائل الشيعة وآل البيت
204	1. قوله تعالى: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: 136]
205	2. قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]
207	3. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: 159]
208	4. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 165]
210	5. قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 189]
211	6. قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: 103]
213	المطلب الخامس: التأويل التحريفي للطعن في المخالفين
213	1. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 165]
215	2. قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185]
216	3. قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 193]
218	4. قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

	[البقرة:204]
218	5. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴿ [البقرة:264]
220	6. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:7]
222	7. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِبْتِ وَالطَّلُغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء:51]
224	8. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:63-64-65]
226	9. قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء:108].
228	10. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء:137].

229	11. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة:3]
231	خلاصة الفصل
232	الخاتمة
236	فهرس الآيات القرآنية
248	فهرس الأحاديث والآثار
252	فهرس الأعلام
254	فهرس المصادر والمراجع
278	فهرس الموضوعات
290	ملخص البحث بالعربية
291	ملخص البحث بالإنجليزية

ملخص البحث

عنوان البحث: التأويل التحريفي للنص القرآني عند الباطنية - تفسير أبي النضر العياشي (320هـ)
أنموذجا-

يُعنى هذا البحث بدراسة أحد الاتجاهات المنحرفة في التعامل مع النصوص القرآنية؛ ألا وهو الاتجاه الباطني، من خلال دراسة تطبيقية على روايات تفسير أبي النضر محمد بن مسعودي العياشي (320هـ)، من خلال الإجابة على إشكالية رئيسية وهي: هل يمكن اعتبار تفسير العياشي للقرآن الكريم تفسيراً مقبولاً يرجع إليه المسلمون في فهم القرآن الكريم؟

وقد اشتمل البحث على من مقدمة ذكرت فيها أهم العناصر التي تدرج فيها عادة؛ كعنوان البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسباب اختياره، الإشكالية التي يعالجها، والدراسات السابقة له وغيرها. وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد وثلاثة فصول.

تناول الفصل التمهيدي تعريف كل من التفسير والتأويل مع ذكر أهمية الفروق بينهما، والشروط والآداب الواجب توفرها في المفسر.

وخصصت الفصل الأول حياة أبي النضر العياشي متضمنا عصره، وحياته العلمية، والوقوف مع تفسيره وأثره في غيره من التفاسير التي جاءت بعده، واكتفيت بذكر أثره في ثلاثة تفاسير هي: الميزان في تفسير القرآن" لمحمد بن حسين الطباطبائي، "نور الثقلين" لعبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، "تفسير الصافي" لمؤلفه: الملا محمد بن مرتضى بن محمود الكاشاني.

أما الفصل الثاني فعالج فيه أهمية أصول التفسير وأثرها في عصمة معاني النصوص القرآنية، موازنا بين أصول التفسير عند أهل السنة والجماعة والشيعة الباطنية.

وتناول الفصل الثالث موقف العياشي من عصمة القرآن الكريم، وموقف الشيعة عموما من مسألة عصمة القرآن الكريم من التحريف، مع ذكر نماذج من الروايات الباطنية التحريفية التي أوردها لأغراض متعددة ترجع في أصلها إلى إثبات أهم القضايا التي يؤمن بها الشيعة من خلال تحريف معاني النصوص القرآنية، مثل الاستدلال للولاية، وإثبات فضائل الشيعة والظعن في مخالفاتهم، مع الردّ عليها وفق أصول التفسير على منهج مفسري أهل السنة، وقد تضمنت الخاتمة، أهم النتائج المتوصل إليها، والله الموفق.

Summary

The title: The revisionist interpretation of the Qur'anic text according to the esotericism – the interpretation of Abu Al-Nadr Al-Ayyachi (320 AH) as a model-

Abstract:

This research is concerned with studying one of the deviant trends in dealing with Quranic texts. It is the esoteric trend, through an applied study on the narrations of the interpretation of Abi al-Nadr Muhammad ibn Masoudi al-Ayachi (320 AH), by answering a major problem: Is it possible to consider al-Ayyachi's interpretation of the Holy Qur'an an acceptable interpretation that Muslims refer to in understanding the Holy Qur'an?

The research included an introduction in which the most important elements that are usually included are mentioned. Such as the title of the research, its importance, its objectives, the reasons for choosing it, the problem it addresses, the previous studies and others.

The nature of the research required dividing it into an introduction and three chapters.

The introductory chapter dealt with the definition of both interpretation and interpretation, mentioning the importance of the differences between them, and the conditions and manners that must be provided in the exegete.

I devoted the first chapter to the life of Abu al-Nadr al-Ayachi, including his age, his scientific life, and standing with his interpretation and its impact on other interpretations that came after him. Juma'a Al-Arousi Al-Huwaizi, "Tafsir Al-Safi" by Mullah Muhammad bin Murtada bin Mahmoud Al-Kashani.

As for the second chapter, I dealt with the importance of the principles of interpretation and its impact on the infallibility of the meanings of the Qur'anic texts, balancing between the principles of interpretation among the Sunnis and the community and the esoteric Shiites.

The third chapter dealt with Al-Ayyashi's position on the infallibility of the Holy Qur'an, and the position of the Shiites in general on the issue of the infallibility of the Holy Qur'an against distortion, with mentioning examples of the distorted esoteric narrations that he cited for various purposes that are rooted in proving the most important issues that the Shiites believe in through distorting the meanings of Quranic texts. Such as inference for the mandate, proving the virtues of the Shiites and challenging their opponents, while responding to them according to the principles of interpretation on the approach of the interpreters of the Sunnis.

The conclusion included, the most important results reached, and God bless.